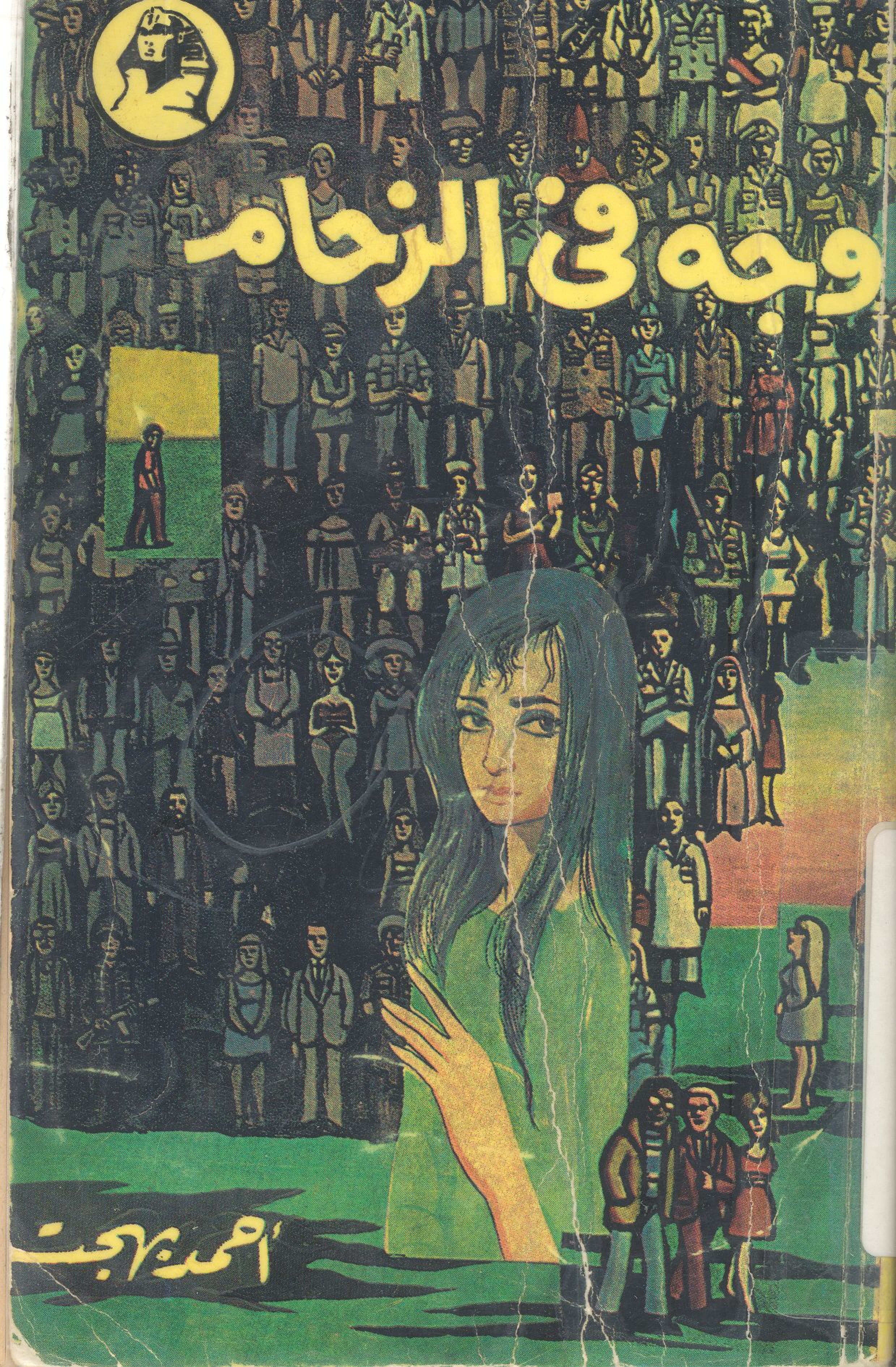
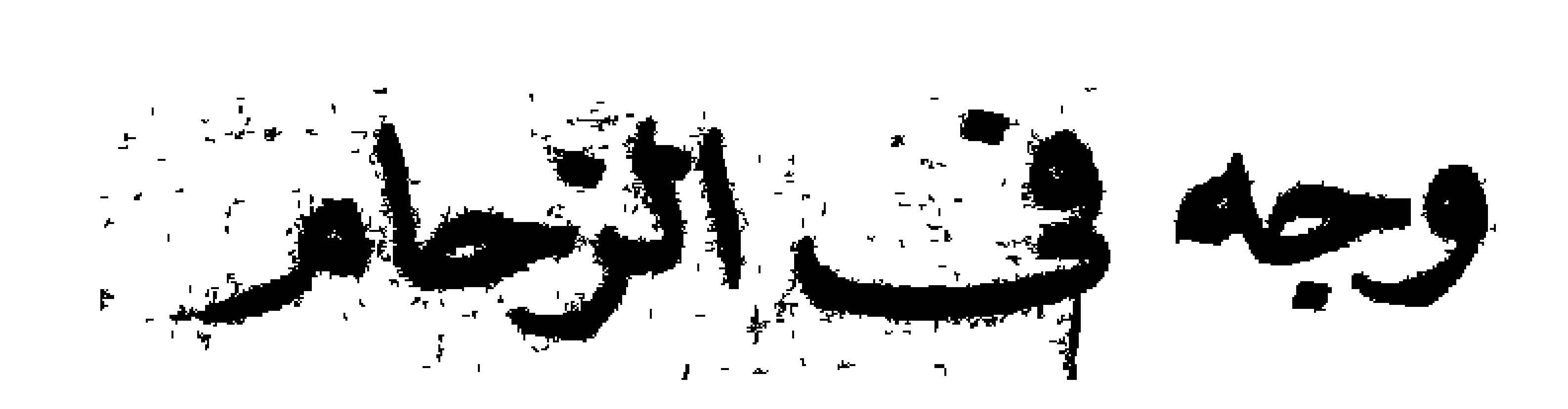


وجه فى الزحام
أحمد بهجت


وجه في الزحام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة واهـــداء

يمثل هذا الكتاب بالنسبة لى ، أول تجربة كبيرة فى بداية عملى الصحفى فى الاهرام . كنا فى خريف عام ١٩٥٩ ، وفى اجتماع من اجتماعاتنا لعدد الجمعة ، اقترح الاهرام فكرة باب أسبوعى اسمه وجه فى الزحام . كانت الفكرة أن تخرج عدسة الاهرام الى الطريق ، فى مهمة لالتقاط وجه يبدو ضائعا فى الزحام ، بعدها تحاول العدسة أن تقترب من احلام الوجه ومشاكله .

كانت الفكرة مثيرة وغريبة ، وقد أحسست بهذا القلق الساحر حين كلفت بتنفيذها .

واذكر أننى تساءلت يومها .

نختار اى وجه فى الزحام .. أى وجه .. حتى لو كان وجها ليس وراءه خبر .

قيل لى .. نعم .

قلت لنفسى أى وجه ليس وراءه خبر لابد أن تكون وراءه قصة أو موقف فى قصة .. عظيم جدا .. كنت من كتاب القصة القصيرة « سابقا » ، وقد فزت يوما باحدى جوائزها ، وكنت احن الى القصة خلال عملى فى الصحافة مثلما يحن الزوج الرصين لاول حب يائس فى حياته .

وبدأت العمل . كنت أفهم اننى لا أكتب قصة قصيرة ، ولا أكتب خبرا أو موضوعا اخباريا .

ما هو نوع الموضوعات التى ساكتبها اذن ؟ لم اشغل نفسى فى البداية بهذا السؤال وانصرفت الى العمل . كنت أعرف أن مهمة الصحفى ليست أن يبتكر او يخترع أو يبتدع .. هذه مهمة الفنان ، مهمة الصحفى أن يرى .. أن يشهد نبض عصره ويصل لاعماق الناس فيه .

وهذا ما حاولت ان افعله فى هذا الكتاب .

كنت أخرج ومعى المصور كل أسبوع . نبحث عن بقعة من الزحام وننقض على رجل فيها ونبدأ تصويره . بعدها أقحم نفسى عليه . وأمد له يدى مصافحا ثم أعرفه بنفسى ، وأضيف أننى صحفى أريد أن أدردش معه حول حياته . كنت أحس بالدهشة والخجل حين أقحم نفسى هكذا على الناس ، وأحطم عزلتهم مع أنفسهم . وأبدأ فى القاء الاسئلة عليهم .

ثم تعلمت أن أسكت واستمع ، ثم ايقنت أن أفضل شىء أفعله أن أصادق عددا هائلا من الناس ثم أختار من بينهم .

كانت مشكلة الاختيار مشكلة دقيقة حقا . والفن فى حقيقته اختيار من الواقع ، لم أصادف مشكلة فى عقد الصداقة مع الناس . فان المصريين قوم يفتحون آفاق أرواحهم للرياح الاربع . وتستطيع أن تجلس فى الترام ، ونقول للجالس جوارك : هذا الزحام غير معقول . وبعد خمس دقائق تكون منخرطا معه فى حديث تتبادلان فيه أدق أسراركما ..

نحن شعب متحضر ينبعث الشر فيه مما حوله من الظروف ولا يجىء الشر أبدا من داخله . على العكس سنعثر داخل أعماق كل مصرى على ميزان دقيق للاحساس بالقيم .. وهو ميزان يقيس به المصرى تصرفاته وتصرفات الآخرين ، وقلما يخطىء فى القياس . وهذا الميزان هو أعظم القوى الحافظة لمصر على امتداد القرون والدهور .. ورغم وجود هذا الميزان داخل نفس المصرى فان كثيرين لا يأخذون به . ولعل تعطيل هذا الميزان الدقيق ، قد جاء نتيجة تعطيل قوانين الانتخاب الطبيعى فى مصر خلال عصور الاضطهاد والاستعمار .. وهى قوانين ادى تعطيلها الى أن تتقدم وتحيا أسوأ الانواع لا أفضلها .. خلافا لناموس الطبيعة . ورغم ذلك يبقى هذا الاحساس بالقيمة قبسا من الضوء داخل الشخصية المصرية . قبسا

لا ينطفىء فى أعظم الكوارث والمحن . قبسا يمكن نتيجة وجـــوده أن يتغير المصرى من الشر الى الخير . ومن التخلف الى التقدم أسرع من أى انسان آخر فى الارض . وهذا هو المقصود بقولنا اننا شعب متحضر .

وقد رأيت ذلك خلال فترة كتابتى لوجه فى الزحام ..

يوما بعد يوم .. وعلى امتداد عامين كاملين .. رحت أقترب من وجه مصر الحقيقى ممثلا فى هذا الحشد الهائل من الشخصيات المصرية . ويوما بعد يوم كان حبى لمصر يعمق ويرق ويكتسى بهذا الحزن الساحر الذى هو جزء من أى حب حقيقى .

ولست أملك الجرأة لأزعم لنفسى أن هذا الكتاب يمثل وجه مصر أو نبض الحياة المصرية خلال العـــامين اللذين كتب فيهما (١٩٥٩ ـــ ١٩٦٠) .. انما هو فى حقيقته محاولة للاقتراب من هذا الوجه الحكيم الخالد .

وجه مصر .

والكتاب هدية لهذا الوجه .

أحمد بهجت

أى وجـــه فى الزحـــام يبـــدو
داخـل الزحـــام لونا جامـدا فى
صـورة ، هـــذا الوجـه نفسـه
لو خـرج من الزحـــام لحظــة
لأصـــبح قصـــة قصـــيرة

احمد بهجت

حدث فى يوم الطفل العـــالمى

على كتفها طفل ، والاطفال فى الشارع اكثر من الطوب ، ولا أحد فيهم يسير · كل واحد منهم يركب كتفى امه ·

ونهاية الشارع حارة ·· ومستشفى (ابو الريش) هو رأس الحـــارة ، وباب المستشفى أطفال وأمهات وعسكرى وممرض وزحام .

وهى تقتحم الباب وتنسى انها امرأة وتستعمل عضلاتها وتدوس قدم واحدة وتخبط كتف أخرى وتظل تجاهد فى صمت والناس يقاومونها فى صمت ولا احد يتكلم وكل واحد يبدو غريقا وسط العرق ·

.....

اخيرا تقف ··

ـ قطيعة العيال وخلفتهم !

قالتها وهى تعدل الطفل وتعدل ملاءتها وتمسح وجهها بيدها ·

ـ انتى جيتى تانى !

ـ آه ·

ـ تفتكرى حنلاقى ·· ؟

ـ انا عارفة ·

والحديث يدور بينها وبين امرأة تقف جوارها فى زهق وضيق ·· وتمر دقائق ويسقط صمت ··

وتقف نفيسة فرغلى واحدى يديها مشغولة بابنها واليد الثانية تتدلى منها شنطة داخلها ٧ شهادات ميلاد ··

شهادات الميلاد السبع هى عدد أبنائها .
زمان ·· رزقها الله سبحانه وتعالى ببنت سمتها فايزة ، وبعدها جاء محمد، وهل بعده عبد المنعم ، ثم شرف احمد ، وكل مرة كانت تحس بفرح غريزى يشبه فرح القطة بأولادها · وكل مرة كانت تشعر باختناق غريب ، فعدد الجنيهات التى يقبضها زوجها لا تزيد بنفس النسبة التى يزيد بها الاطفال ·
ثم حملت للمرة الخامسة · خلاص · اصبح الحمل والولادة روتين حياتها ، وكما يوقع الموظف أوراقا كثيرة ليقوم بأجازته .. وقعت هى أوراقا كثيرة لتلد فى المستوصف ·

وكانت فترة الولادة اجازتها التى تستريح فيها من خدمة البيت وممار الصغار ·

ـ ربك سبحانه بيسهل على عبيده ·

هكذا قالوا لها ·· وهكذا وقع الامر ،وولدت السيدة نفيسة فرغلى فى المستوصف ثم حدث ان افاقت وأمالت راسها ونظرت جوارها .
ـ يا خبر اسود · ايه دول ؟

ـ دول ولادك يا ختى ربنا يخليهم لك !
وعرفت ان الله رزقها ثلاث توائم · ثلاث بنات · نصره ، ومنى ، وزينب .. وعاشت الاسامى .
وعاشت هى مع الاسامى ·

وجاء واحد يقول انه صحفى : مشهورة ، مشهورة ليه بعد الشر ، طب دى مصيبة ، حيقولوا على ارنبة ، تصورنى ليه الله لا يسيئك ، يا سيدى ابعد عنى الله يستر عرضك ..

وذهب الصحفى يائسا ..

وعاشت هى مع الضيوف الجدد . احبتهم رغم كل شىء . ارضعتهم ثلاثة اشهر ، ثم قل لبنها وظل يقل حتى جف .

وذهبت لمستشفى (ابو الريش) .

حكت حكايتها واعطوها لبنا من هولندا للاطفال كانت تمزجه مع الارز المسحوق وتعطيهم يأكلون . ستة اسابيع وهى تأخذ اللبن حتى قيل لها ذات يوم .

ـ ما فيش

ـ ليه ؟

ـ كده .. ما عدشى بييجى .

ـ طب واعمل ايه ؟

ـ اشترى .

واشترت العلبةبـ ١٦ قرشا ونصف . ثلاث علب كل اسبوع ، وتعقدت الحسبة فى رأسها فاللبن وحده يكلفها جنيهين وهناك الارز المسحوق ، وهناك سبعة أولاد وابوهم وأمه وابنة خالته .. وأخيرا هى .. والمجموع ١١ شخصا بالصلاة ع النبى .

.....

ـ لسه ما جاشى ..

ـ ما جاشى .

ـ طيب .

وتنصرف ..

وتعود تحسب الحكاية من جديد .. وتتلخبط .. والاطفال لا يأكلون وعمرهم الان ١١ شهرا ولا بنت فى البنات الثلاث تقف ..

ـ صغار وضعاف وعضمهم طرى ياروحى .

وتذهب لمستشفى ابو الريش ، تلتقطها عدسة الاهرام وهى تسأل الموظف بصوت جاهدت كثيرا لتجرده من قسوته وضعفه ، ثم خامرها احساس قوى بأنها لم توفق فعادت تضيف الى الصوت مزيدا من الرقة والادب .

ـ لسه ما جاش .

ـ هو ايه ؟

ـ اللبن .

ـ لسه .. غيره .

قالها الموظف بصوت له رائحة الطعام الحامض .. وتحركت يده اليمنى حركة قصيرة وسريعة وضجره ، وسقطت من بين اسنانه كلمة .. غيره .

وعادت المرأة تعدل طفلها على كتفها وتسأل .

ـ هو بييجى منين .

ـ قلنا من هولندا .. غيره .

وتحركت يده نفس الحركة القصيرة السريعة الضجرة .

ومدت المرأة يدا مفرودة الى الموظف وهى تسأل :

ـ هى هولندا بعيدة .

ـ انتى حتهزرى معايا والا ايه .

انقبضت يد الموظف وهو يقول كلمته ويطلق وراءها .. غيره .

ملاحظة صحفية

حدثت هـذه القصة يوم ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٩ .. يوم الطفل العـالمى .

ثلاث ليمونات هدية

كان يعبث بثلاث ليمونات فى جيبه وهو يجلس ، ولم يكن يبدو عليه أنه يهتم فى قليل او كثير بهذه الوجوه الغريبة التى جاءت من البندر لتسأل العمدة وشيخ الخفر اسئلة كثيرة تلمع بعدها اضواء تؤذى عينيه من آلة يحملها احدهم على كتفه ·

ومرت دقائق .. واخرج الليمون من جلبابه الاسود وراح يتأمله · وتذكر هذا الصباح · تذكر أنه لاحظ أن شجيرات الليمون ليست خضراء كما يجب ·· خيط باهت اصفر كان يزحف لشجيرتين منهما ·· وأزعجه هذا الخيط أكثر مما ازعجه أى شىء آخر فى حياته ، ما معنى هذا . هل يمكن أن يكون العطش قد تسلل الى زرعه .. ولكنه روى الشجيرات منذ يومين ·· وهز رأسه كأنه يقذف هذه الفكرة خارجها ، وقطف من اكبر شجرة ليمون ثلاث حبات وضعها فى جلبابه الاسود ، فكر أنه عندما يعود الى القرية ويدخل بيته ، سيرسل احدى بناته لتشترى له الشاى والسكر. .ويشرب الشاى بالليمون.

وعاد الى القرية ليكتشف ان هناك وجوها غريبةجاءت من البندر .. وجوها لا تكف لحظة عن الاسئلة وتبدو متطفلة تحشر نفسها فى الهايفة والمليانة ·

ــ عندك كام ولد يا حضرة العمدة ·

سؤال القاه واحد من الذين جاءوا من البندر على العمدة ·

وغاص الرجل العجوز فى نفسه وهو يحاول معرفة

السر في هذا السؤال · هل يمكن أن تكون هذه الوجوه الغريبة من وزارة الشـئون التي تبحث حال الناس لتصرف لفقرائهم اعانات . .لكن العمدة ليس فقيرا فما معنى السؤال .

ومال على أقرب فلاح جواره ليسأله · وجاءه الرد ·

ـ يا عم دول جماعة صحفية ما حواليهمش اعانات ولا حاجة ·

وعاد العجوز يتكمش على نفسه حتى التفت اليه وجه جاء من البندر :

ـ هو ده اكبر راجل في السن في البلد ·

كان الكلام منصرفا اليه · ودهش ولم يجب ·· وسأله الوجه الغريب ·

ـ عندك كام سنة يا حاج ·

ـ أنا مش حاج ·

قالها بهدوء وحزن ·

وعاد الوجه الغريب يسأله :

ـ عمرك كام سنة ؟

ـ زي ٨٥ زي ٩٠ ·

ـ فاكر مولود أمتى ؟

ـ في هوجة عرابي ·

ـ ايه قصة حياتك ؟

ـ ايه ؟

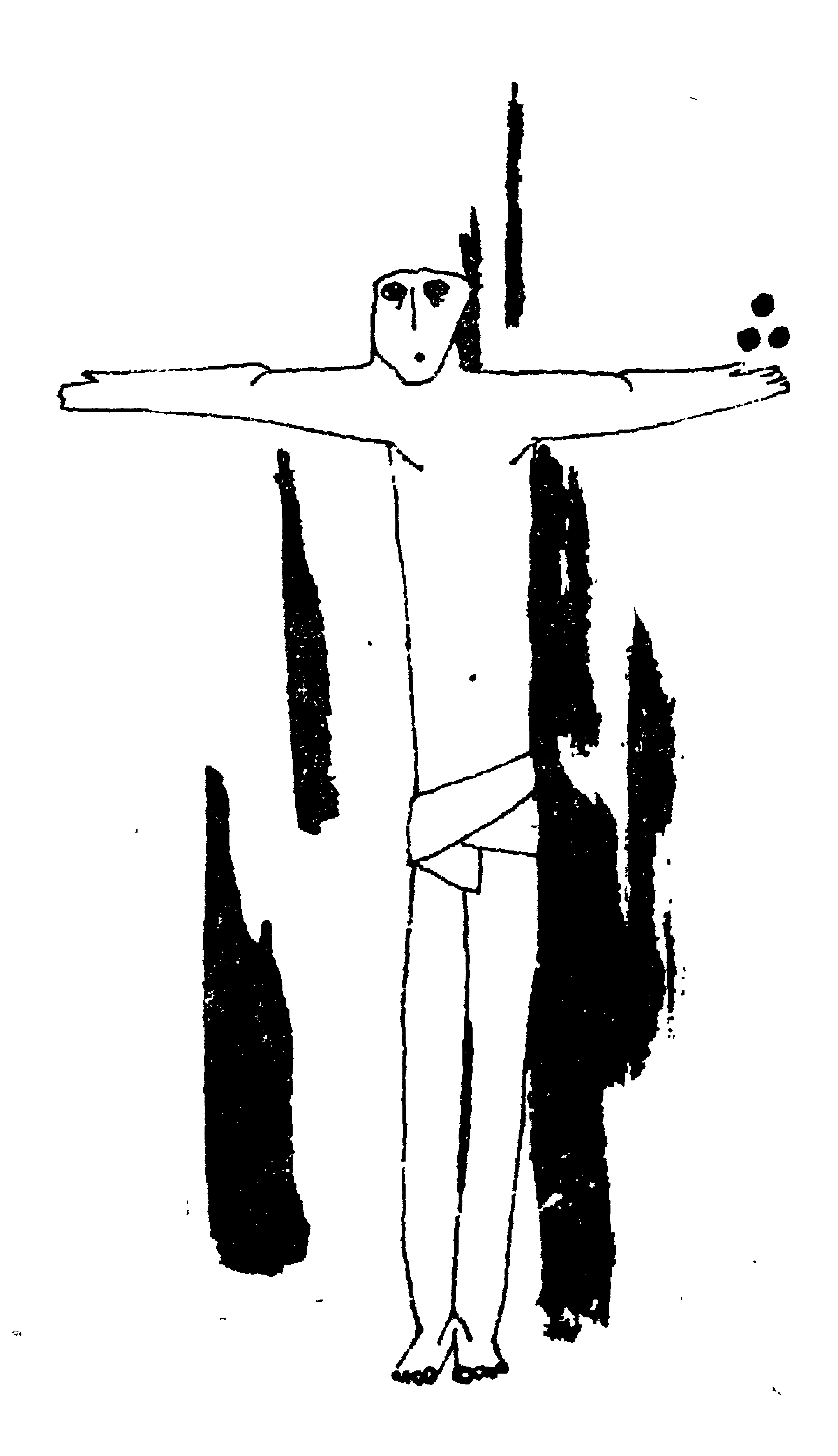
وتدخل الرجال ليقولوا أن سمعه ثقيل ·

ويعود السؤال عاليا ·

ـ ايه قصة حياتك من ساعة ما اتولدت لحد دلوقتي؟

ـ فلاح ·

قالها ببساطة كأنه يحكي بها تاريخ حياته كله · كانت بساطته تنطوي على دهشة خفيفة ، انه لا يذكر تاريخ



حياته . كل ما يذكره أنه ولد فى هوجة عرابى . وعاش طفولته وصباه وشبابه كالنباتات البرية التى تنمو احيانا وسط الحقول المزروعة . وتزوج مرتين أو ثلاثا .. لا يذكر .. وعاش حياته كأى فلاح .. كأى عود نحيل يأكل جذره الطين وتلفحه الشمس ويهزمه هذا الخوف المبهم من الدودة .

ـ أنت عندك كام فدان وكام ولد ياعم جاد ؟

ـ خمس قراريط وست بنات .

من زمان بعيد وهو يحلم أن يكون له ولد . ثم جاءه خمسة أولاد .. كل مرة كان الله يرزقه فيها بولد .. كان ..

ـ ربنا اداني خمس صبيان وخدهم تاني ، البنات هما اللى عاشوا ..

الشمس تنعكس هناك على الشجر والارض والترعة، وناس يسيرون وناس تدردش وصوت ضحكات ورائحة شاى يعد،وهو يجلس وحوله ناس كثيرون والضوء يلمع فى عينيه ويؤذى عينيه وهم يصورونه .. داخله فكرة واحدة .. انه حتى الآن ليس له فى الحقل ولد يأمره ان يجرى الى البيت ليحضر له الغداء .

ـ انت بتسمع الراديو يا عم جاد ؟

ـ أيوه .

ـ ايه اللى بيعجبك فيه

ـ اهم ساعة يغنو وساعة يهظرو ، وساعة يقرو حاجات .

ـ ايه مشاكلك .. ؟

ـ يعنى ايه

ـ يعنى تعبان من ايه ؟

ـ مزنوقين فى الاكل والكسوة ٠
ـ عملت ايه من ساعة الصبح لحد دلوقتى ٠
ـ مش سامع ٠
ـ عملت ايه من ساعة الصبح لغاية دلوقتى ٠
ـ قاعد كده هو ٠
ويجلس الوجه الغريب جوار عم جاد ٠
لا يسأله هذه المرة انما يعطيه سيجارة ويدردش معه ٠٠ ومع الحديث يحس عم جاد أن هذا الوجه الغريب طيب مثله ٠٠ فأبوه فلاح من مديرية قريبة وجده لم يزل يعود كل مساء وطين الحقل فوق أقدامه .
ـ خذ .
قالها عم جاد للوجه الغريب ٠
ـ خد التلات ليمونات دول اعصرهم ع الشاى واشربه ٠٠ خد ٠٠ خدهم هدية ٠



الصـــاغ

سقط الليل فى عين الصيرة .

فى الجو صمت نائم . وتيارات الهواء باردة كسكين جــزار ، والنوافـــذ مغلقــة على الضــوء ، والنــور يتسرب من خلال الشيش الى الشوارع الساكنة .

وأمام الاكشاك الصغيرة التى تبيع الجبنة والحلاوة تكومت الاخشاب . وفى التاسعة مساء اشتعلت فيها النار وجلس الرجال حولها صامتين . الساعة التاسعة والنصف تقريبا · فتح شباك أحد المساكن الشعبية ·· أطل من الشباك المضىء وجه · زعق صاحب الوجه

ـ محمد ··· يا محمد ·

وتحرك شىء داخل دكانة أحمـــد المصرى الصغيرة . خرج الشىء من وراء أكياس الارز وأهرامات الجبنة والسجاير والحلاوة · خرج محمد · سار خطوات ورفع رأسه وهتف ·

ـ أيوه يا بيه

ـ اطلع

وتدحرج النصف متر ، هذا هو طول محمد ، سارت اعوامه الثمانية ، هذا هو عمره ، مضى وهو يخب فى البالطو الذى يرتديه ، البالطو الذى كان جاكته أيام مجده ، ثم مر الزمن ، وذهبت بطانة الجاكتة وذهب معها المجد · القيت فى صندوق وظلت تعيش مع النسيان حتى جاء محمد وارتداها لتصل لابعد من ركبته وتمنحه وقار

الكبار ، وهكذا دخل محمد الشقة المضيئة فى عين الصيرة ويداه فى جيوبه .

ـ نعم يا بيه ٠

والتفت البيه الى الطفل الصغير ، لاحظ أنه حافى القدمين . لاحظ أنه يقف على البلاط ويكش أصابعه كيلا تلسعهما برودة البلاط ، وسأله صاحب الشقة وهو يزيح زجاجة داخلها سائل أصفر .

ـ أنت ما عندكش جزمة والا ايه يا ولد ٠

وأجاب محمد ٠

ـ عندى شبشب ٠

ـ ومش لابسه ليه فى السقعة ديه

ـ عشان ما يدوبش ..

ـ طب قول لابوك يبعت بقرشين جبنة (قديمة) وبقرشين جبنة (دلعة) ومخلل بصاغ ٠

قال محمد وهو يحفظ الاشياء داخل رأسه بالترتيب الذى قيلت به .

ـ فيه حلاوة كمان يا بيه .

وضحك من فى الحجرة ٠

ـ حلاوة ايه يا واد ، مع الزفت اللى بنشربه ، اجرى هات اللى بنقولك عليه ٠

وجرى محمد ٠

عاد بعد ثوان وهو يحمل ما طلبوه ٠ ويظهر أن الذين يجلسون فى الحجرة كانوا قد ابتلعوا نصف زجاجة من النسيان الرخيص واختل نصف تقديرهم للامور فأرسلوا محمد أكثر من ست مرات وغيروا رأيهم مرتين خلال هذه المرات الست ٠

مرة .. هات طرشى ، ومرة .. هات حتـــة جبنة بقرشين وغير الجبنة دى ·
ييه نسينا الصودا · طب ما نجيب ازازة بيرة ·
اجرى يا محمد
وكل مرة يذهب فيها محمد ويعود ، كان أحدهم يتأمل منظره ويستوقفه لحظة ويسأله أى سؤال ·
ـ أبوك فين يا محمد ! ؟
ـ فى الواحات
ـ بيعمل ايه هناك ··
بيشتغل ·· أصله جه مصر عشان يشتغل محدش رضى يشغله ، فراح واخدنى مصورتى وخد صورى معاه وسافر ، سابنى مع خالى ، هو صاحب الدكان اللى باشتغل فيه ·
ـــ وبتعرف تشتغل والا خيبان .
ـ لا باعرف أشتغل ، ببيع سجاير ، لسه مش بعرف أوزن الجبنة والحلاوة · لكن ببيع سجاير ·
ـــ طب وبتشتغل بكام ؟
ـ ازاى يعنى ؟
ـــ يعنى بيدوك فلوس أد ايه .
ـــ ما فيش فلوس .. باكل بس .
فى المرة الخامســـة التى جاء فيها محمد بطلب جديد وقف داخل الحجرة وانسرقت عيناه لتقع على بقايـــا الطعام فوق المائدة ولاحظ أحد الجالسين اتجاه عينيه فهتف ·
ـ تاكل يا محمد ·
وسحب محمد نظراته بسرعة الذى يسحب يديه من فوق طعام كاد يسرقه ، قال بارتباك :

ــ لا ابدا انا شبعان ٠٠ لسه متعشى .
ـ طب اتعشيت ايه ٠
ـ حلاوة
ـ طب اتغديت ايه النهارده
ـ فول نابت ٠
ـ طب فاكر اتغديت ايه امبارح ٠
ـ طبعا فاكر ٠ امبارح كلنا رز ٠

وتتسع بسمة محمد ٠ تصبح أكبر من وجهه وتنير جهه . ويعود يقول :

رز بدمعة ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠

بعد المرات الست التى طلع فيها محمد السلم ونزله ، دأ وجهه يحمر ويستقبل قطرات من العرق ٠ سخن جسده ٠ لم يعد يضع يديه فى جيوبه ٠

وأخرج أحد الجالسين فى الحجرة قرش صاغ من جيبه ودفعه اليه قائلا :

ـ امسك ده عشانك ٠
ـ لا يا بيه ٠ خالى يضربنى ٠
ـ امسك يا ولد ٠

قال محمد ونوع مبهم من الحيرة والسعادة يغمره .

ــ أجيب لحضرتك حاجه بالقرش .
ــ لا يا مغفل ٠٠ خده عشانك .

واطبقت يداه على القرش ، نظر فيه ثم قال بدهشة :

ــ لكن ده قرش صاغ .. خده .
ـ آخده ليه
ـ خده وهات تعريفة ٠ أنت غلطت ٠
ــ لأ خده كله .

ودس القرش فى جيبه ، وطار ·

أفكار كثيرة لمعت فى رأسه والقرش داخل جيبه ، أول مرة فى حياته يمسك قرشا ، واحتار ماذا يفعل به ؟

وسار ببطء ليفكر · هل يشترى به قطعة من الحلاوة · ولكن المفروض أن يبيع هو الحلاوة ولا يشتريها · هل يشترى به نداغة من المرأة التى تجىء دائما وتجلس هناك وتبيع النداغة ، ولم يرتح كثيرا لهذه الفكرة ·· هل يسافر لابيه بالقرش ؟ ولكنه شاهد أباه يدفع فى أجرة السفر أكثر من قرش ·

ماذا يفعل به اذن · ؟

وعادت الحيرة تغرقه · لمع فى ذهنه أن يرسل جوابا بيه فى الواحات يقول له :

ـ عاوز أشوفك عشان ··

عشان ايه ·· وفكر طويلا لماذا يريد أن يرى والده · لا يعرف · كل ما يعرفه أنه يريد أن يراه · ولفظ فكرة الجواب من رأسه لانه اولا لا يعرف الكتابة ولانه ثانيا لا يعرف لماذا يريد أن يراه .

ووصل الى دكان خاله وهو يسير على قشر بيض

ـ اتأخرت ليه يا ولد ؟

ـ أبدا

قالها وأسرع يقف وراء أهرامات الجبنة والحلاوة والسجاير وجاءت بنت لتشترى علبة سجاير هليود ·

ومد يده اليمنى اليها وهو يقول :

ـ مفيش علب فيه سجاير فرط ..

أما يده الثانية ·· فكانت داخل جيبه تداعب قطعة المعدن الباردة التى بدأت تسخن من حرارة اليد التى تحتضنها أصابعها بعنف ·

القطـــة المريضـــة

مرضت القطة التى يربيها عمال المطبعة فى الاهرام ·

منذ يومين كان سلامة يأكل ·· وجاءت القطـة جواره · مسحت جسدها فى قدميه وراحت تمــوء بضعف ·. وألقى اليها قطعة من الخبز ··

ـــ انتى لســه ما تعشتيش !

واقترب أنف القطة من لقمة العيش · عادت تمسح جسدها فى قدميه وتموء بضعف ·

ـ القطة عيانة والا ايه ·

قال عامل صغير وهو يضحك :

ـ القطط اللى زيها فى روسيا قربت تطلع القمر ودى قاعده هنا تنونو .

كان المفروض أنه يقول كلمته بضحك ·· رغم ذلك ·· أدهشــه أن أحدا لم يضحك . . وأطلت من عيون العمال وهم يأكلون نظرات جامدة وغاضبة وماتت ضحكته على شفتيه ·

· · · · ·

وانتشر خبر مرض القطة فى المطبعة · أخبار كثيرة كانت تتحرك عليها عيون العمال وأيديهم تحولها فى ماكينات الجمع الى رصاص ساخن ·

أخبار كثيرة وهامة وتغطى كل أحداث الدنيا ·

رغم ذلك تسرب خبر القطة المريضة الى العمال وعرفه كل واحد · كان هناك احساس ما بالعطف عليها ·· فهذه القطة زميلة سراء وضراء . . وهى تأكل اللحم فى

أول الشهر ولا ترفض الطعمية فى آخره ، وهى تعيش مع العمال يوما بيوم ، وهى كائن حى له أحاسيسه ودنياه ٠

٠ ٠ ٠ ٠

صحيح أنها لا تستطيع أن تشكو ، ولا تستطيع أن تقول أنها مريضة أو أن قلبها يوجعها ٠٠ ولكن هذا لا ينفى فى نهاية الامر أنها مريضة وتتعذب ٠

قبل أن تجىء الى الاهرام لم يعرف أحد من العمال اين كانت تعيش .. اكتشفوا يوما أنها معهم .. انها لا تعبأ بهم وهم يعملون .. فاذا جلسوا يأكلون بدأت ـسح فى اقدامهم وتقدم يد الصداقة .

حيلة مكشوفة يعرفها الناس عن القطط ٠

فى الاول كانوا يطردونها.ثم صعبت على واحدفيهم فألقى اليها قطعة من الخبز ٠. وأقنعته مظاهر الحنان التى أبدتها له ٠٠ أن يمنحها قطعة ثانية ٠ وأصبح العمال يطعمونها اذا جلسوا يأكلون ٠

واستقرت القطة فى المطبعة ٠

كانت القطة فى بداية الامر تتصرف كالضيوف ٠٠ بخفـــة الضيوف . ثم بدأت تتعــود المكان وتأخــذ راحتها فيه . وقد بلغ من احساسها بالامن أنها راحت تمارس كل حريتها بما فى ذلك الاكل والنوم وكل الحاجات الاخرى ٠

وقد أسعدها كثيرا أنها تجد كل حاجاتها من اللبن فى المطبعة ٠ ذلك أن العمال يحتاجون الى اللبن لعملهم الدائم مع الرصاص وبخار الرصاص ٠ وكل يوم تموء القطة فيسكب لها أحد العمال كمية من اللبن على الارض ٠٠ حتى أحضروا لها طبقا قديما تأكل فيه ٠

ومع الاحساس الجديد بالاستقرار قررت القطة أن

تتزوج ، وخرجت من المطبعة ، اختفت عدة أيام • بعد عودتها الى المطبعة عرف كل واحد أنها قد أصبحت أما •

وتغيرت القطة تماما • أصبحت تتمسح فى أقدام الكل وتقدم يد الصداقة للجميع • صارت عاقلة •• لم تعد شقية كما كانت • لم تعد تمزح مع أحد وتعض يديه برفق • شىء ما فى تصرفاتها كان يوحى بأنها أصبحت عاقلة لانها تطلب الحماية لما تحمله فى أعماقها . فهى الان أم وهى الان مسئولة •

وزاد عطف العمال عليها نتيجة العقل الذى هبط عليها فجأة • كانوا يسكبون لها أضعاف ما تناله من اللبن وهم يقولون •

ــ كلى كويس .. انتى دلوقتى بتوكلى اتنين .

وفاجأتهم القطة بأنها كانت تطعم ثلاثة • ولدت ثلاثة • اثنين يشبهانها تماما . . وواحد يشبه والده الذى لم يره أحد ••

وقد حدث منذ أسبوعين أن لاحظ العمال أن القطة بدأت تخس بشكل واضح •

قال واحد من العمال : ايه الحكاية •. ليكون بخار الرصاص حيموتها زى ما موت القطط اللى كانت قبليها •

وتحدث العمال وهم يأكلون عن قوة احتمال القطة •• وكيف أن بخار الرصاص يتسلل لرئتيها . . تحدثوا قليلا وقرروا نقلها من المطبعة •

ــ طب حنوديها فين ؟

ــ نطلعها التحرير •• بكره المحررين يحبوها ويوكلوها ويتوصوا بيها أكثر •

ونفذ الاقتراح ثانى يوم . . وعاشت القطة مع المحررين

نصف يوم كاملا .. اكرموها فيه وفرحوا بها ولكن شيئا فى تصرفاتها كان يوحى بأنها تعتبر نفسها ضيفة .. وبعد ساعات من الضيافة كانت تتمسح فى اقدام العمال فى المطبعة وعبثا حاولوا طردها • ان لقمة عيشها هنا فى المطبعة • وهى تتناولها مغموسة فى بخار الرصاص •. وهى ككائن رقيق لا يتحمل •• ولهذا تمرض •

.....

وأمس سكبوا لها اللبن فى طبقها ولكنها لم تأكل ظلت نظراتها ممددة أمامها فى ضعف لا يخلو من ان .. فقد كان أولادها الثلاثة يتواثبون كالكتاكيت ارها •

وخيل الى أنها تريد أن تقول شيئا ولا تعرف •



حادثة

يقول ايفان أحد أبطال الكاتب الروسى دستويفسكى :
« اذا كانت آلام الاطفال ضرورية لابتلاع الشقاء اللازم لمعرفة الحقيقة فاننى أقول .. طظ فى الحقيقة » .

.....

وقد بدأت قصتنا ذات صباح عادى فى شارع السكاكينى . وهو شارع متواضع ينبع من ميدان السكاكينى ، حيث يعشش العنكبوت على قصر قديم مهجور . ويمكن القول أن شارع السكاكينى يعيش بعيدا عن حضارة التروللى باس فهو مازال يشهد الترام كل يوم وهو يتحرك وسطه بسرعة ويثير الغبار فى الصيف ويتطاير منه رشاش الاوحال فى الشتاء . وشارع السكاكينى يستيقظ كل يوم فى السادسة والنصف .

وقد استيقظ الشارع كعادته يوم وقعت الحادثة . كان بائع الفول أول واحد هز نعاس الشارع ، فقد وقف الرجل بعربته الصغيرة على ناصية الحارة التى يحتلها كل يوم وزعق .. اللوز .

وبدأت خادمات صغيرات يقطعن الطريق بسرعة نائمة فى طريقهن اليه .. وفتح محمد اللبان محله وراح يشخط كل لحظتين فى صبيه النائم ليوقظه . بعد ذلك بدقائق فتح عم عزمى البقال دكانه هو الآخر ، واستغرق خمس دقائق ليخرج أشولة الارز خارج الدكان . وبدأ الشارع ينفض عنه النعاس تماما ويستيقظ ، وخرجت بنات المدارس الصغيرات فى طريقهن الى الحصة الاولى : كن يسرن شللا صغيرة ويمسكن

أيديهن وهن يقطعن الشارع ، ويتلفتن حولهن بخوف ، فاذا جاءت عربة مسرعة تركت كل بنت يد زميلتها وراحت تجرى ، وهكذا تركت رينيه يد زميلتها وراحت تجرى لتعبر الشارع .. ثم زال الخطر ومرت السيارة . وعادت البنت تمشى ببطء .. زال عنها احساسها بالخطر وتلفت سائق الترام وراءه يجيب عن سؤال سألته له سيدة ..

وضج الشارع فجأة .

اندلعت الصرخات حول الترام . أشاح كثير من الناس وجوههم وأغمضوا عيونهم وارتعشوا من الداخل .. خرج عم محمد اللبان ليجد ساقا يسيل منها الدم أمام دكانه .. وأبيض وجه الرجل واندفع الى الترام وراح يضرب سائقه وهو لا يدرى ماذا يفعل .. وخلال بقعة الزحام التى راحت تتكاثف وراء الترام .. كانت رينيه ترقد على الارض وسط دمها وقد فصل الترام ساقيها .. ومر عليها بعربتيه وتركها .

وبسؤالها شفاهة أفادت أنها لا تعرف السبب فى عدم تحركها من أمام الترام . هذا ما كتبه ضابط البوليس .

وفى تقرير المستشفى كتبوا أن البتر قد حدث للساق اليمنى فقط . ثم وصل والدها وصحح التقرير .

وقال المستشفى أن الترام قد بتر ساقها اليمنى للآخر بتر اليسرى لما تحت الركبة .

وقالت أمها لما وصلت بعد الحادث بدقائق : أن البنت فتحت عينيها وسألت : أنا حتأخر عن المدرسة يا ماما ؟

كانت رينيه خائفة .

.....

نصف ساعة .. ذابت بعده بقعة الزحام وعاد شارع

السكاكينى الى حياته العادية ، فين الحادثة .. لا يا شيخ .. ازاى لا حول الله . حاسب أنت يا بنى آدم .. تاكسى . هات كراس ومسطرة . فيلم يجنن .. بقرش تعريفه فول وكتر الميه .

والناس تبيع وتشترى وتسير وتتحدث فى مشاغلها المعتادة وهمومها المنزلية وكل واحد سجين نفسه .. والقاهرة دوامة أبنية وعربات وناس وحركة لا تهمد . وحياة رينيه الان قد تغيرت تماما .

زمان . كان أبوها يقول لها : مش فاهم أنا بتعمل ايه فى الجزم . كل شهر تدوبى جزمة .. بطلى تض الطوب زى الكورة .

والان لم يعد والدها يحدثها بهذه القسوة . وهذا يمنحها احساسا ساذجا بأنها تختلف عن الآخرين . انها لا تستطيع الان أن تمسك يد زميلاتها وتعبر الشارع . لم تعد تستطيع أن تجرى .. كل قطع الطوب الصغيرة تدفعها زميلاتها أمامهن وهى تتفرج عليهن ، جربت يوما أن تدفع قطعة من الطوب بأحد عكازيها الخشبيين لكنها انكفأت على وجهها ولوثت مريلتها النظيفة .. من يومه لم تعد تجرب ، حتى صديقتها سلوى التى كانت تمر على بيتها لتأخذها الى المدرسة لم تعد تأتى لها .

وأمس . قابلت رينيه سميرة .. وسميرة هذه هى الخادمة التى تعمل عند سلوى .. ونادت رينيه الخادمة . قالت لها وهى تجهد نفسها لتكون خطواتها الخشبية مساوية لخطوات الخادمة ، قالت بصوت حاولت بكل جهدها الطفل أن تملاه بالنفاق : ازيك يا دادة سميرة .. فين سلوى ما عدتش بتيجى ليه .. أنا

نفسى أشوفها خالص ·· ليه مش بتروح معايا المدرسة دلوقت ·· صحيح هى قالت أنى بتأخر عنها فى المشى وبعطلها ··

قولى لها راح أمد يا دادة سميرة .. قولى لها راح أمد ·



النظــرة العجوز

كل الاطفال يشعرون بالاهمية .

أى طفل لا يستطيع أن يتصور كيف تمضى الحيـــاة بغيره .

والرجال ٠٠ فى نهاية الامر ٠٠ أطفال كبار ٠٠ كل رجل تنطوى أعماقه على طفل .. ولا أحد فينا يتخيل كيف تمضى الحياة بدونه ٠. لا أحد يستطيع أن يعترف أنه بلا قيمة ٠٠ ان عمله بلا قيمة ٠

وكما يتصور الطبيب الصغير أن كل الناس خلقوا ليعالجهم هو ٠٠ وكما يعتقد المهندس الصغير أن الحياة لن تكتمل الا اذا انتهى هو من بناء الكوبرى الذى وضع تصميمه ٠٠ فكذلك يتصور الصحفيون أحيانا أن كل الناس قد خلقوا ليكتبوا عنهم ٠٠ وأحيانا لا يتصورون أن هناك سببا آخر لخلقهم ٠

. . . .

وانا أذكر تجربة عشتها بعيدا عن قنا بثلاثة كيلو مترات ٠

طفل خلع ملابسه ووقف يلعب عاريا فى الطين ٠٠ أو هذا ما ظننت أنه يفعله ٠

والمكان الذى يقف فيه الطفل غريب كأسطورة .. البيوت الصغيرة التى تنتشر فى المكان صنعت من الازيار ٠ وسدت الثغرات بينها بالطين ٠٠ وهناك أزيار كثيرة لم تزل طينتها مبللة ٠

وعلى البعـــد .. فى باطن الجبــــل ارض رمادية

ساخنة ·· تحتها حفرة يضعون فيها الازياروبحمون النار حولها لتجف .

ونظرت للطفل العارى الذى يقف وسط الحفرة ويقلب بيديه الطين ·

· · · · ·

فى الاول ظننت أنه يلعب ·· وتخيلت أن له رفاقا فى أماكن أخرى ·· رفاقا يلعبون بالكرات الملونة ويشربون اللبن ويسمعون حكايات مشوقة عن ست الحسن والشاطر حسن .

وصعب على الطفل ·

ثم لاحظت أنــه يضرب بيديه الصغيرتين فى الطين بطريقة منظمة ·· كأنه يؤدى مهمة ما ··

كان ينحنى على الطين ويتقوس ظهره كالكتكوت المريض · ويدفن يديه حتى صدره فى الطين ·· ويقلبه مرات ·· ثم يضربه ·

وتصفع الشمس الطين أمامه فيجمد. .ويحمل القطع الجامدة على صدره ويكومها وحدها ·

وعلى البعد باب بيت ضيق يختنق الضوء عند بابه وتدور داخله آلة ساذجة يجلس أمامها شيخ فــي الستين ·

ـ صباح الخير .

قلتها للطفل ·· ورد على بغير أن ينظر ·

عدت أقول له وأنا أبتسم ·

ـ بتلعب فى الطين ··

وترك الطفل ما بيده فجأة والتفت الى ·· قال وهو يقطب وجهه بدهشة :

ـ مين اللى بيلعب فى الطين ؟

كان يسألنى هو الان بكل براءة السنوات العشر التى يقف بها وسط الحفرة ·

وخرج شيخ من الباب الذى يختنق عنده الضوء ·

ـ ده بيشتغل مش بيلعب ·

قالها الرجل العجوز الذى خرج من البيت بأسلوب من يدفع عن ابنه تهمة كبيرة ··

ودخلت مع العجوز بيته .

خنقت الضوء داخل البيت ورحت أتفرج على عروق الرجل التى تنتفخ وهو يدير بقدمه آلة ساذجة عليها طين يتحول فى يده الى زير .

.....

حمدان محمد حسن هذا اسمه ·

وعمره ٤٠ سنة فى صناعة الازيار و٢٠ عاما قبلها ، وكل يوم يدير بقدمه الالة ليصنع عشرين زيرا ، ويوما يعملون ويوما يبحثون تحت الشمس عن شيء يملأفراغهم وأوقات العمل قليلة والزير يباع بقرشين ، يأخذهما هو ، والصنايعى يأخذ قرشا فى الزير والزير يحتـاج لطين مزبلة بما قيمته قرش ونصف ، ونتيجة الحسبة المعقدة فى نهاية الامر أنه يصنع من الزير قرشا يأكل به ·

وهذا الطفل الذى يقف وسط طين الحفرة يعمل · يخدم الطينة بيديه ثلاثة أيام ··

ـ بيبرحها يا بيه .

هذا تعبيرهم عن الطفل الذى يعجن التراب ويبلله ويخمره ويصفيه ويكومه وينتظر حتى تصفعه الشمس ويصبح صالحا للعمل فيدخل به لابيه ليصنع منه لقمة عيشه ·

وطوال أشهر الصيف يبدو البيت المنحوت فى الجبل

والمصنوع من الازيار .. يبدو مليئا بالعمل .. فبعدأن ينتهى الطفل من عجينه .. يحمل الازيار من داخل البيت ويتركها للشمس .. ثم يحملونها بعد ذلك للفواخير حيث تحرق لتباع بعدها والفاخورة تضم ٩٠ زيرا وأحيانا تكسب الفاخورة جنيهين وأحيانا تكسب زيادة .

ـ زى البطيخة المجفولة .. حاجة بتاع ربنا .

● ● ●

والشتاء يقترب ..

وملامح الرجل العجوز ترتعش لذكر الكلمة ، ففى الشتاء يأتى البرد فيشرب الناس من الحنفيات ولا يشترون الازيار .. وفى الصيف يملا البيت رائحة طعام حار وفى الشتاء يملؤه دعاء حار .

والشتاء يقترب لكنه لم يأت بعد .

الطفل العارى يعمل تحت الشمس وأنا أسأله ..

وجهه لا يكاد يلمع بقطرات طفلة من العرق حتى تجففها الشمس مع الطينة التى يعجنها بين يديه ..

ـ لم أزل أسأله عن عمره .. كيف يقضى صباحه .. كيف يلعب اذا كان يشتغل الان .. أين يذهب عندما يأتى المساء فى قنا .. هل يروح الى السينما .. هل يتفرج عليها . ما معنى السينما . لماذا لا يضحك .. لماذا لا يبتسم . لماذا يبدو جادا كأنه رجل .. لماذا يبدو جادا أكثر منى . لماذا لا يجيب .. لماذا ينظر الى كأننى أضيع وقته .. كأننى ألعب وأعطله عن عمله .. لماذاينظرالى هذه النظرة الطويلة العميقة الغريبة .. لماذا تطل من عيونه المرارة .

لماذا هذه النظرة العجوز .

لماذا ... ؟!

وانا مالى هى اللى قالت لى

أهلا وسهـلا ·· الله يحفظك ·· أيوه يـونس القاضى ·· طبعا حضرتك ما تفتكرشي الاسم ·· فين من زمان ·· دلوقتى حاجة بتاع ٧٢ سنة ·· لا متشكر ·· الدنيا رمضـان .. الحمـد لله من زمان .. أهـلا وسهلا ·· طبعا نسيت ما هى ايام كتير فاتت ·· أنا فاكر ايام ما كنت باشتغل مع الشيخ على يوسف فى المؤيد ·· كان يقول لى الله يرحمه أنت عيل وولد صغير ما أحطش اسمك وكان يكتب على مقالاتى لحضرة صاحب السعادة صـاحب الامضاء ... وبعـدين يروح كاتب اى اسم عربى .. الفرزدق .. الاخطل .. وكان غايتى أنا أيامها انى أحط اسمى وكنت أكتب الموضوع من دول وأعربه وبعدين ابيضه وأكتبه بخط رقعة جميل كنا بنتعلمه فى الازهر ·· كل ده عشان الشيخ على يحط اسمى ·· وكان يشيل اسمى . وبعدين رحت جرنال تانى فقالوا لى أكتب موضوع واشتم فيه الشيخ على يوسف وشتمته بمقال أدبى جدا ·· تعرف أنا بكلم حضرتك دلوقتى وأنا خايف من الشيخ على يوسف ·· صحيح هو مات الله يرحمه ·· لكن لسه برضه خايف منه ·· كانت له هيبة ·· طبعا قابلنى بعديها وضربنى بالشلوت وكان هو يتكلم باللغة العربية الفصحى ·· الله يرحمه قال لى بعد ما ضربني بالشلوت « أعلمه الرماية كل يوم ، فلما اشتد ساعده رمانى » ·

وعشت ·· وكتبت زجل فى كتاب اسمه (تسالى رمضان) وكسبت منه أربعين جنيه وبعدين اشتغلت فى

جريدة السيف اللى كان صاحبها أحمد عباس . قعدت اشتغل فيها وكانت بتطبع الفين نسخة بقت تطبع سبعين ألف نسخة .. كنت باكتب زجل سياسى على الحالة الحاضرة .

ايوه يا يونس القاضى .. ايوه يا يونس . بافتكرلك انا هو،ما عدش فيه ذاكرة،حاحكيلك أهو اتعرفت ازاى بسيد درويش .. كان بيشتغل مبيض حيطان وبعديها اشتغل نجار موبيليا قديمة وبعدين اشتغل فقى .. واتعلم العود من كتاب اسمه (الايام السود فى تعليم العود) للشيخ الحريرى . ولحد كده ما كنتش أنا أعرف حاجة اسمها الشيخ سيد درويش وفى مرة من المرات .. كان فيه واحد اسمه زكى أفندى صالح ، وكان معاون بوسطة باب الخلق .. وكان راجل تلم جدا .. وقابلنى مرة وأنا رايح اكتب الزجل فى الجريدة قعد يقوللى والنبى يا أستاذ يونس تكتب لنا حتة اغنية يلحنها راجل فقى صاحبنا اسمه سيد درويش .. أنا قلت فى نفسى أنا راجل محترف وده فقى ومش حيدفع .. حاولت اتخلص منه بأى طريقة ما عرفتش .. كان راجل تلم بقول لك .. النهاية قلت والله لاكتب له حته لا يمكن يعرف يلحنها .. يلله .. رحت كاتب له وأنا واقف :

وأنا مالى هى اللى قالت لى
روح اسكر وتعال عالبهلى
شربت شوية وبعد شوية
بعتت لى الخدام ينده لى

راح صاحبك ده حاطط الورقة اللى انا كاتبها فى جوانب وراح بعته اسكندرية،وبعد أربعة أيام وأنا ماشى

فى حلوان ·· حاكم أنا كنت ساكن فى حلوان ·· بصيت لقيت العيال بتغنى ·· وأنا مالى هى اللى قالت لى ·· روح اسكر وتعال عا البهلى .. أنا اتجننت .. قلت اروح ادور عليه وأشوفه ·· رحت له اسكندرية ··

كانت أحسن لوكاندة فى اسكندرية آياميها بأربعة صاغ الليلة ·· وحاولت الاقى سيد درويش ما لقيتوش كان متخانق مع واحدة بيحبها اسمها جليلة وكان بطحها وراحوا القسم واتعملت قضية والنيابة بتدور عليه ·· النهاية ما أطولش عليك ·· حاكم يظهر أنا بضيع وقتك ·· الله يبارك فيك ·· العفو ·· لقيته فين إنا بقه ·· لقيته مستخبى فى قهوة عربجية خدنى بالحضن ·· عرفنى ·· ومن اياميها عرفت سيد درويش ·· وعشت معاه ·· كان غريب ·· كل انتاجه الفنى ده عمله فى أربع خمس سنين ومات ، وعملت له أنا اغانى كتير ··

وكان فنان كبير ··

أيام كتير كانت تمر علينا واحنه بندور على قرش صاغ .. والناس تشاور علينا وتقول آدى سيد درويش وآدى يونس القاضى .. كنا مشهورين .. ومفلسين .. وكان الشيخ سيد درويش ييجى ايام يقول لى هات جنيه سلف ·· اقول له ما معاييش ·· يقول لى وأنا مالى أنت اللى جايبنى مصر وانت اللى تتكفل بى .. وكان لما يقبض من فرقة الريحانى ·· كان بياخد ٢٠٠ جنيه ·· كان ياخدهم ويروح قهوة بتاع واحد مش فاكر اسمه ايه ·· قهوة بتبيع حشيش ويروح دافع كل الفلوس لصاحب القهوة ويقعد يشرب وياكل وينبسط لحد ما صاحب القهوة يقول له : الفلوس خلصت يا شيخ سيد .

يقوم هو يستلف منه تعريفه يركب بيه ويدنته جاى لى ·· وعشنا ايام مع بعض ·· وألفت أنا بيجى عشرين ألف أغنية و٥٦ أوبريت و١٠ أوبرات ومقدم تفرغ فى الروايات ·· روايات واقعية اللى كتبتها ·· حوالى ٥٦ رواية مافيش واحدة فيهم قصة حب .. ومرة كتبت رواية اسمها «كلها يومين» وصادرتها الرقابة ١٧ مرة ·· ومرة كتبت رواية اسمها حماتى ·· وكنت حنضرب فيها بالرصاص ·· واحد اسمه ابراهيم غيته اصله من بنى سويف عزمنى على الغدا ورحت له قبل ما ناكل جاب مسدس فى طبق وجنبه ست رصاصات وقال لى أنت تعرف أمى والا مراتى ·· ليه يا سيدى ·· قال لى كده ·· ماهوش معقول الرواية اللى أنت كاتبها دى كاتبها من مخك ·· كل الحوادث اللى فيها حصلت بين أمى ومراتى ·· وحلفت له بالطلاق لما صدق ··

خايف أكون بازعجك ··

الله يحفظك ··

السينما

لم يكن يحب السينما ، ولكنه لم يكن يعرف أين يذهب ، وتوقف عند باب السينما لحظة ، رفع عينيه ليقرأ اسم الفيلم المعروض ، وتردد قليلا ثم دس نفسه فى الزحام ووقف يتفرج على الصور ، أعجبه وجه فتاة فى صورة ، لم تكن نجمة شهيرة ، كان أنفها طويلا وعيناها تنظران فى اتجاهه ، وتذكر وجه فتاة عرفها وهو طالب بالجامعة ، فتاة لها مثل هذا الانف ٠

كان أيامها يؤمن بالله والحب ووجه فتاته ثم مرت سنوات ٠٠ خمس سنوات ٠ وسقط ماضيه دون ضجة كمعطف يقع عن المشجب الى الارض ٠

صور كثيرة كانت تسكن رأسه منذ خمس سنوات ، كلها سقطت بالتتابع كلوحات تسقط من الجدران بعد أن ترفع المسامير التى تثبتها ٠٠ سقطت اللوحات التى تمثل الصور الحبيبة الى نفسه ٠٠

تراكمت بعضها فوق بعض ٠٠ وغطاها تراب ٠

لم يعد قادرا على ابقائها أمام عينيه ٠ الشيء الوحيد الذى رفض أن يسقط مع ذكرياته هو رأسه .. ظل عقله كالعلم يرفرف فوق ماضيه ٠

ومرت ثوان وهو يحدق فى الصورة ٠

أحس أنه اطال اليها النظر ٠٠ وادار رأسه وقرر أن يقطع تذكرة ليرى الفيلم . ووقف فى نهاية الطابور وداخل نفسه صورة وجه انثوى ، وشبه ابتسامة حزينة ٠ كان الطابور طويلا ٠ وظل هو واقفا خمس

دقائق ·· ثم بدأ الملل يزحف عليه · ماذا لو خرج من الصف وذهب الى مكان آخر ·· أى مكان آخر ·· وبحث فى ذهنه عن مكان ثان فلم يجد ·· وقرر أن يسجن نفسه وسط الظلمة ساعتين ويرى الفيلم · وهزته فرحة لانه سيمضى ساعتين كل شىء فيهما جديد ·

كان الصف امامه طويلا ·· وكان واضحا أن وقفته ستطول ·· وبدأت نظراته تتبعثر حوله ·

كانت هناك فتاة تقف جوار واحد ، لم يكن فى وجهها شىء جميل غير ابتسامة ، ودهش لان الفتاة تنظر نحوه وتبتسم ، ابتسمت ملامحه لها ، حدق فى وجهها واكتشف أنها تنظر اليه ولا تراه ، انها تنظر أمامها فحسب ، وتبتسم للكلمات التى يهمس بها صديقها فى اذنها ·

وفكر فى الدنيا الغريبة التى تختبىء فيها هذه الفتاة عن العالم ·· الدنيا التى صنعتها من كلمات حبيبها وصوته وصمته ·· هذه الدنيا التى لن يدخلها هو بعد اليوم · يحس بهذا لان الحب عاطفة ، وكثير من الناس اليوم يعجز تماما عن اظهار اى عاطفة ، لسبب بسيط ، ان الحب ·· تلك العاطفة البليغة ·· لا يمكن أن يعيش الا فى مجتمع يؤمن بأن الانسان فريد ·· انه هو الحقيقة ·· انه لا يمكن استبداله ·· والمجتمع الذي نعيش فيه يؤمن أن كل رجل يمكن استبداله بنفس البساطة التى نستبدل بها ترسا متآكلا فى آلة ·· وبمثل هذا الاعتقاد ·· لا يمكن لاحد أن يحب ·· أو يتبنى عاطفة الحب ·

ـ تذاكر بلكون وفوتيل لوج ·

كان الصوت مهموسا وخائفا ومليئا بالحذر ، والتفت جواره ليشهد رجلا يمسك فى يده بضع تذاكر يعرضها

على الواقفين ٠
كان الرجل يبيع تذاكره فى السوق السوداء ، كان وجهه خائفا وذكيا وعيناه تدوران وسط رأسه ٠

وتأمله لحظات ثم عادت نظراته تتوه منه وسط الزحام ٠
ومرت دقائق ٠٠ وفقد رغبته فى دخول السينما تماما ٠٠ قرر أن يخرج من الصف ٠٠ واستدار فوقعت عيناه عليه ٠

رجل ريفى يشرب زجاجة من الليمون ٠٠ امتصته الطريقة التى يشرب بها القروى زجاجة الليمون ٠ كان يبدو غارقا بكل اعصابه فى الزجاجة . كان يرفع الزجاجة الى فمه وتتحرك تفاحة آدم فى رقبته ، ويشرب ، وتنبسط ملامح وجهه ، ثم يخفض الزجاجة برفق شديد ، ويلقى عليها نظرة خائفة ليرى الكمية الباقية ، ويعود يرفعها فى تبتل ، ويعود ليلقى نظرة على الذى بقى منها . . كان يبدو مشغولا بها عن كل شىء آخر يحدث حوله ٠٠ كان ساكتا سعيدا مستغرقا فيها ٠

ظل يرقب القروى حتى انتهت زجاجة الليمون ووضعها الرجل بأسف ٠٠ لم يعد راغبا فى الخروج من الصف وفكر أنه لو ظل واقفا هكذا فقد يموت من الملل ٠ وتذكر الدوسيه الراقد فى بيته ، فكر أنه يجب أن ينتهى منه خلال يومين ٠٠ فهو يعمل موظفا ، وهو لا يحب عمله ولا يكرهه فهو مصدر رزقه فحسب ، وهو يعيش وسط روتين تشترك فيه الشمس التى تشرق كل يوم والليل الذى يجىء ويذهب ٠

وهو كأى ابن لهذا العصر يعشق هواية ، وهوايته

كتابة القصة ، مجموعة قصصية له تعد الان لتصدر فى كتاب ٠

ومنذ يومين فقد اهتمامه بالكتاب ٠ لم يعد يهتم بصدوره ، الشيء الوحيد الذى يجعله يستمر فى مشاويره للمطبعة انه قد التزم أمام الناس باصدار الكتاب وهو حر ومسئول ولابد أن يفي بالتزامه ٠

وعاد يتأمل وجوه الناس فى الزحام حوله ٠

لم تعلق نظراته بشيء ٠٠ لم يفهم سر الاختناق الذى كان يحسه ٠٠ لم يكن فى حياته شيء غير عادى ٠٠ لا مأساة ولا فرحة . . كل افراحه ومشاكله وأحزانه عادية وفى طول واحد كأسنان المشط ٠٠ حتى آماله يسجنها داخل نفسه ولا يسمح لها أن تتخطى أسوارها .

وعاد يفكر فى الخروج من الصف والعودة الى بيته ٠٠ كانت كل احاسيسه وتصوراته وافكاره تنعزل عن بعضها بعضا داخل نفسه . . وأحس أنه مشوش . . وزحف الناس امامه واقترب من الشباك ٠٠

وعاوده الاحساس بالفرح الوحشى لانه سيدخل السينما ويهرب من كل قلقه فى الفيلم . .

وشعر بيد توضع على كتفه ٠٠ والتفت ليجد صديقه محمود سالم ٠٠ واضاءت وجهه ابتسامة ٠

ــ حتخش السينما ٠

ــ مش عارف ٠

ــ ده بيقولوا الفيلم مقلب .

ــ مين اللى قال ؟

ــ ما تسيبك من الفيلم وتيجى معايا ٠

ــ حتروح فين ؟

ــ مش عارف ٠٠ أدى احنه نمشى وخلاص ٠

وسارا معا ٠

شــهر المرور

كثيرا ما يخطىء المؤرخون فهم التاريخ ، واخشى ما اخشاه بعد كل هذا الحديث عن شهر المرور ان يجىء احد المؤرخين بعد الف سنة ليقول انه حدث ٠٠ فى النصف الثانى من القرن العشرين ٠٠ ان زادت شهور السنة شهرا جديدا واصبح عددها ١٣ شهرا ٠

ويذكر المؤرخ شهر يناير حتى يصل لشهر ديسمبر ثم يضيف اليها شهر المرور ٠

ولهذا السبب يجب توضيح الفكرة التالية من الان ٠ فكما يجىء التلميذ البليد فى آخر السنة ليذاكر شهرا واحدا ، وتكون النتيجة انه يسقط ، كذلك يجىء شهر المرور ٠

لماذا يكون المرور شهرا واحدا .. لماذا لا يكون هناك نظام للمرور طوال السنة .. هذا ما لا يدريه أحد ...

ولما كان محمد خليل ابراهيم الذى يسير فى الشارع رجلا طيبا وغير متعلم ، فهو لا يدرى السبب ولا يعنيه بحال من الاحوال ان يسأل عن السبب ٠ كل ما كان محمد خليل ابراهيم يدريه وهو يشق طريقه وسط القاهرة ، انه ذاهب لقضاء احدى حاجاته ٠ فالرجل كملايين الرجال غيره يكافح من اجل لقمة عيشه ، وهو ليس فيلسوفا ولا سائقا ليناقش مشاكل المرور .

وقف محمد خليل ابراهيم الشــهير بحلاوة ، على الرصيف وراح ينظر الى الشارع ٠

انه يعبر هذا الشارع من زمان ، ويعبره كل يوم ، فلماذا يبدو الشارع اليوم غريبا هكذا ، لماذا يبدو كأن

فيه فرحا . كل هؤلاء الناس ، وكل هذا الزحام ، واطفال يقفون ليشيروا للعربات ، ودنيا ..
ومرت دقائق .. وعبرت السيارات الشارع .. وتهيأ محمد خليل ابراهيم ليعبر الشارع ، نزل بقدمه من الرصيف وسار خطوتين ..
ـ انت يا ..

ولما كان محمد خليل ابراهيم له اسم يعتز به ، رغم أن الذى يحمله رجل فقير ومريض ، فلهذا لم يهتم فى قليل او كثير بهذا الذى ناداه ، ـ انت يا .. وعاد يسير ، وامتدت اليه يد شاب فى سن ابنه .. ابدا .. فى سن اصغر .
ـ انت يا .. ماشى ازاى .. مش شايف ان المشاة لسه ما جاش دورهم .. مش عارف ان ده شهر المرور ..

واستمع محمد خليل الى كلمات الشاب ثم رأى ، وهو رجل مسالم وطيب ، ان الاحسن له ان يرجع الى الرصيف وكفى الله المؤمنين شر المرور .
وعاد الى الرصيف . بعد أن عاد الى الرصيف اكتشف حقيقة حملت لنفسه غيظا شديدا .
فقد حدث فى الوقت الذى كان يتناقش فيه مع الشاب ، حدث إن اغلقت اشارة المرور فسار الناس ، وها هى الاشارة تفتح والعربات تسير .
كان واضحا ان هناك شيئا فى الطريق ، شيئا يختلف عن كل يوم ، فالعربات لا تسير بهدوء وكل شىء مرتبك .
وفكر عم محمد انه طوال حياته وهو رجل مغامر .. كان يعمل حلاقا ثم غامر وترك مهنة الحلاقة .. واشتغل

نقاشا ·· ثم ترك النقش واشتغل فى قهوة ·· وكل مرة يغير فيها مهنته ·· كان يغامر ·

فماذا لو غامر الان وترك الرصيف وعبر الشارع بسرعة · المفروض ان يكون الان عند المصوراتى ، انه يريد التقاط صورة لنفسه ، صحيح ان هذه هى المرة الثانية التى يصور نفسه فيها . كانت المرة الاولى لما طلبوا منه بطاقة تحقيق الشخصية · وهذه المرة يدفع الرجل اقدامه المتعبة الى المصور لسبب آخر ·

ابنته تتزوج ·· ومنذ اسبوعين قالت له :

ـ ما لكشى صورة يا با ·· انا سايبة البيت وعايزة صورة لك ·

ـ انت يا راجل انت ·· رايح فين والعربيات بتعدى ·· ارجع الرصيف تانى

ذلك انه خلال تفكيره كان قد بدأ يعبر الشارع .. ولم يهتم بنداء هذا الشاب الصغير الذى يبدو هو فى سن جده .. ثم بدأ سيل العربات يعبر الشارع ، وهجمت عليه العربات . واكتشفت ان الجزء الذى عبره من الشارع اقل من الجزء الذى عليه ان يعبره ، وعاد الى قواعده بسرعة ..

ــ انت عايزنى أخدك مخالفة .

قالها له الشاب الصغير الذى ينظم المرور ·· وضحك عم محمد .. لاول مرة من شهور ، لم يضحك بهذا الصفاء الذى يضحك به الان .

ــ تاخدنى مخالفة ايه بس ·· هوه انا عربية ·· ده اسمه شهر المرار ده مش شهر المرور ·

وعاد يضحك من قلبه ·

ســلف

كان يعبر الطريق عندما مر من جواره بائع الصحيفة ومد يده وامسك بائع الصحف بحركة مفاجئة ٠

ـ هات المسا يا واد ٠

وجرى بعينيه على الســطور العريضة الحمراء . لم يعثر على الخبر .. راح يعبر الطريق وهو يقلب صفحات الجريدة . أخيرا وبعد أن عبر الطريق أيقن انه لن يجد الخبر .

وطوى الجريدة بيأس وبدأ يحس انها ثقيلة فى يده ، انها فى وزن دولاب ملابسه ٠

وتذكر ان زوجته اكتشفت .. جريا على عادتها .. ان العنكبوت يعشش عند ارجل الدولاب ٠٠ وحاولت زحزحته فلم تستطع .. ولجأت اليه ليزحزحه .

وانحنى هو على الدولاب وشد عضلاته ٠٠ وخلال اللحظات التى حاول فيها زحزحة الدولاب عبر ذهنه سؤال ٠

ـ الدولاب تقيل كده ليه ٠

وتذكر انهم قالوا له قبل الزواج ٠

ـ خلى بالك الموبيليا الثقيلة هى الكويسة ٠٠ تبقى خشب زان ٠

وفكر وهو ينحنى على الدولاب ويشد عضلاته ، فكر فى خشب الزان والدولاب وزوجته ٠ وخيل اليه إنه لا معنى لثقل الدولاب ولا معنى لزواجه ولا معنى لاى شىء فى حيــاته . وحين اعتــدل كان الدولاب لم يزل فى

مكانه .. وكان هو يمتلىء باحساس بأن حياته تخلو تماما من المعنى . اى معنى .

وثنى الجريدة فى يده ووضعها تحت ابطه وسار .

كان يتساءل عن السر فى خلو الجريدة من اى خبر عن اقراض الموظفين . ما معنى اهمال الجريدة لهذا الخبر . هل تظن الجرائد انه يكفى ان تكتب أن مجلس الامة وافق على المشروع ، ثم تسكت بعد ذلك .. الا تعلم الصحف انها يجب ان تظل تكتب عن اقراض الموظفين حتى يضع هو السلفة فى جيبه ويطمئن .

ومد يده فى جيبه بحركة لا ارادية . واصطدمت اصابعه بالتعريفة الذى بقى حزينا فى جيبه بعد ان دفع في الجريدة صاغا كان المفروض ان يركب به الترام .

وتذكر ديونه وهو يعبث بنصف القرش فى جيبه ، ووقعت عينه على وجه رجل سمين وغبى له وجه صاحب العمارة التى يسكنها . واحس بالغضب حين فكر انه يدفع نصف مرتبه كل شهر ليسكن . وعاد يسأل نفسه للمرة الالف .. لماذا يملك هذا الرجل عمارة ويمتص دمه . لماذا لا تنظم الدولة حكاية الايجارات .. لماذا يتركون صاحب العمارة عليه كل شهر ليستفرد به ويأخذ نصف مرتبه .

انه يذكر انه يقبض من هنا ، وهات لايجار الشقة وهات للخدامة وهات للبقال وهات للجزار ، وتمضى السلسلة المعقدة المتشابكة التى تبدأ كلها بكلمة هات .. حتى يكتشف أخيرا انه يقول لاقرب واحد يعرفه .. هات جنيه سلف لاول الشهر .

وهو لا يعرف تماما متى اقترض .. ولا كيف بدأ

يقترض أول مرة . . كل ما يعرفه ان اصدقاءه يسمونه كمسارى الترام ·

ـ يا أخى الجدع ده زى كمسارى الترماى . . الواحد ساعة ما يشوفه يحط ايده فى جيبه . .

وراح يسير حتى وقعت عيناه عليه فجأة .

انه يذكر هذا الوجه ·· ملامحه ليست غريبة عليه ، ايكون صاحب الوجه قد جلس جواره في الثانوى · سنة اولى سادس او ثانية رابع مثلا · وحدق فيه الوجه هو الاخر · وحركة المرور تمضى في الشارع ، ووجهان يلتفتان ويلتقيان ، وأربع عيون تتصافح ، ثم يتـــوقف اثنان ·· كان احدهما يذكر اسم الاخر ·· وكان صاحبنا كعادته هو الذى نسى اسم زميله ، والصديقان يسيران معا ، ينبشان الماضى ويتحدثان .

وبدأ صاحبنا الذى يمسك فى يده الجريدة المسائية يغوص فى نفسه . لم يعد يسمع . كان يفكر فى الصدفة الهائلة التى ساقت اليه هذا الزميل القديم · هذا الزميل الرائع الذى لم يزل يذكر اسمه . .ماذا لو اقترض منه . يجب ان يرسم بملامح وجهه صورة الصديق الذى ينصت لهراء صديقه بحب ·· يجب أن يجد ثغرة ينفذ منها للاقتراض منه بسرعة ·· فالحديث يقارب نهايته وربما ودعه الصديق ومضى . وأفاق على صوت صديقه وهو يسأله :

ـ سرحان فى ايه ..

ـ ابدا بفكر فى اول الشهر ·· الاقيش معاك جنيه سلف لبكره ·

حركة المرور تمضى فى الشارع ·· والعربات والناس

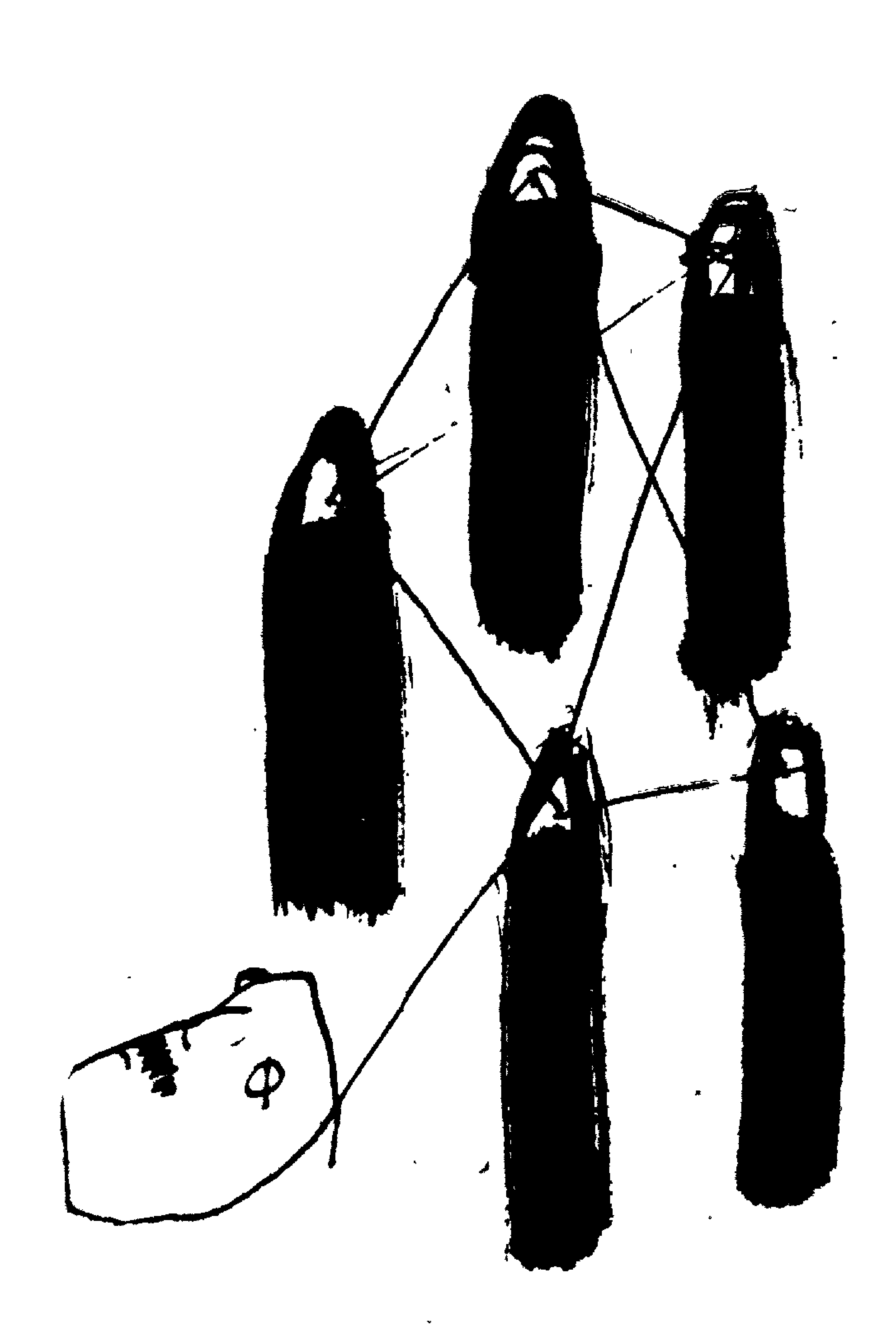
والباعة والترام والتراب والبيوت والحر تطبق كلها على صدره ·· لماذا سأله ان يقترض منه جنيها ·· لماذا لم يقترض منه خمسين قرشا ·· لماذا لم يقترض منه عشرة قروش ··

لماذا لم يلاحظ أن ياقة قميص الزميل القديم تكاد تودع القميص وتنفصل عنه ·

لماذا لم يفهم ان صديقه موظف مثله ·· لماذا لم يقترض منه خمسة قروش

لماذا لم يأخذ منه قرشين ليركب الترام ·

لماذا ·· ؟



عم كابوريا

فى الصباح قالوا له :

ــ خلاص يا عم كابوريا ·· الترماى حيتلغى ·· الجرايد هى اللى بتقول كده · ومر الاطفال الاشقياء وجلس الرجل العجوز فى مواجهة الشمس وحده . ووضع نظارته السوداء على عينيه وجلس ·

ــ الترماى حيتلغى ·· الترماى مش حيتلغى ·· بكره يعلقوا الناس فى الهوا ويمشوا بــالفريك (يقصد التليفريك) . الجرايد بقت كدابة زى الناس بالضبط . وزحف الحزن لتفكير الرجل العجوز الذى بلغ من عمره ٩٣ سنة ·

كيف يلغى الترام وهو الخيط الوحيد الذى يشده لشبابه ·· كيف يسمحون بالغائه ؟ انه اشتغل زمان اول سائق له ·

زمان ·

والكلمة تدفع داخله حزنا هادئا وغير مفهوم ، حزنا كئيبا يشبه اللحظة التى تنساب فيها دموع العين بيسر وغزارة فاذا ما وصلت الى الفم ·· بلغ الاستسلام الصابر بالانسان ذلك الحد الذى يشرب فيه دموعه دون مقاومة .. ودون تغيير لمجرى هذه الدموع .

زمان ··

ايام كان شابا لم يكن اسمه كابوريا ·· كان له اسم محترم آخر لم يعد هو نفسه يذكره ولكنه يذكر انه جاء الى القاهرة وعمره ٨ سنوات مع والده ليكشف ما كانوا يسمونه « هوجة عرابى » ·

موجة ·· اشترك فيها وهو طفل بدافع الحماس الغريب الذى شد الكبار والصغار ثم حدث بعد هوجة عرابى ان ضاع وسط زحام القاهرة ·

ـــ تشتغل مرمطون ·

ـ اشتغل ·· بس ايه مرمطون دى ·

واشتغل مرمطونا فى منزل مدير شركة الترام ، لم تعجبه الشغلة وقال للمدير :

ـ عاوز اشتغل سواق فى الشركة ·

ودربه الخواجة فانوس على السواقة ، اجره فى اليوم كان ستة قروش وهو يعمل على خط العباسية ـــ عتبة .

لم يكن الترام يحمل هذا الاسم ·· كان اســمه الكهربائية ·· كان يتكون من عربة واحدة مفتــوحة وحجرة خاصة للحريم هى وحدها المقفولة ·· وكل سيدة تركب الترام كان يصحبها عبد او حارس يقف بعد أن يغلق الباب ككلب الصيد اليقظ ·

ثمن التذكرة كان أيامها أربعة مليمات ، لم يكن هناك زحام ولا شعبطة ·· كل ركاب الكهربائية او الترام لم يكن عددهم يزيد عن ستة ·

وتمر أربعة عشر عاما وهو يسوق الترام .

ويهج بعد ان يكتشف ان اجره لم يزد مليما واحدا

غفير فى بيت محمد باشا الشواربى ·· مهنته الثالثة التى تمتع بها ولم يبق فيها طويلا ، هجرها بعد ان قرر سعادة الباشا ان يزوجه من احدى الخادمات وكان شكلها والعياذ بالله !

سفرجى عند صاحب فندق فى محطة مصر ·· مهنته الرابعة التى تمتع بها بحق وحقيق

.. سافر سيده الى ايطاليا ليتزوج واخذ معه عم عبده .. اسمه عم عبده .. انه يذكر اسمه الان .. فقد حدث فى ايطاليا ان اعجبت به زوجة سيده .. اعجبت بشكله الملخبط فسمته كابوريا .. من يومها التصق الاسم به . اعجبته فى ايطاليا الحدائق المزروعة فوق أسطح المنازل وضايقه أن الثلج كان يملأ البلد .. واحتقر هناك البنات ..

– كانوا يمشوا يضحكوا كده فى الشوارع.من غير رجالتهم .

وعاد الى القاهرة .. تزوج خمس مرات .. طلق الاولى لانها رفضت ان تعيش معه فى منزل يبعد عن امها .. وطلق الثانية بعد ان تكررت ملاحظته ان كعب حذائها متسخ دليلا على انها خرجت فى غيابه . وقرر ان يتزوج الثالثة من البلد .. قطة مغمضة .. وعاشت معه القطة المغمضة ١٥ عاما ثم رحمها الله .

.. وتزوج الرابعة والخامسة وطلقهما لاسباب لم يعد يذكرها .

خمس زوجات وليس له ولد واحد يسير مع الاولاد فى الشوارع ..

خمس زوجات وليس له ولد

ثم جاء من يقول له .

– الترماى حيتلغى يا عم كابوريا .

نظرة طويلة القاها على الترام .. نظرة طويلة وحزينة .. قرر بعدها ان يركب الاوتوبيس وهو فى طريقه لزيارة اخته التوأم العجوز .

– كده اسلم .. ما يمكن يلغوا الترماى واحنا راكبينه .. ولا هيه عطلة بس .

الباركيه اللامع

عندما يهرم الانسان يسلم نفسه للتأمل ·· ومنذ شهور وعم صالح يعيش داخل نفسه ويتأمل حياته ويحاول أن يعثر على سبب لهذا الشعور الجديد الذى يملأ وجوده ·

انه يحس أنهم يهملونه ·· ان احدا لا يشعر به ·· انه يعمل ساعيا فى مؤسسة كبيرة . وكل يوم يبدأ عمله من الرابعة مساء حتى الثانية عشرة . وكل يوم يصل الى عمله ويطوف بالمكاتب . . الفوطة الصفراء فى يده ، وعينه على الارض والجدران والمكاتب ، منذ ٣٨ عاما وعينه لا ترتفع عن الارض والجدران والمكاتب .. والويل لذرات التراب المسكينة التى تتسلل الى المبنى .. ان حكما بالاعدام يصدر عليها من الفوطة الصفراء .

نظرة اخيرة ليلاحظ خشب الباركيه ·· اذا كان هناك احتمال لان ينزلق فوقه ، اذا رأى وجهه فيه فهذا معناه ان الخشب نظيف ، وبهذا ينتهى نصف عمله ويجلس فى انتظار الموظفين · ويجىء رئيس القسم فى الساعة الخامسة · تموت يده على الجرس ··

ــ عم صالح · واحد قهوة وواحد ليمون ·· اسمع ·· بلاش قهوة ·· وهات ليمون الاول وأجل القهوة ·· يللا بسرعة ·· ويجرى عم صالح ·· ويأتى بقية الموظفين ·· ويدق الجرس طوال الوقت ·· ويظل طوال الوقت يسمع .

ــ واحد شاى .. واحد قهوة .. اتنين ليمون .. واحد فراولة .. الشاى بارد رجعه . القهوة من غير

وش هات غيرها .. الليمون ناقص سكر هات سكر .
اجرى ..
ويجرى ..
ويظل عم صالح طوال اليوم يجرى بالقهوة والشاى والليمون ..
فاذا جلس ليشرب كوبا من الشاى صرخ الجرس وسط الصالة يستدعيه . ثم ينتهى اليوم .. وينصرف الموظفون ويظل هو ساعة ينظف المكان .. يطرد كل ذرات التراب .. يتركه لامعا كمرآة .
وفكر عم صالح يوما أن الناس لا تحس به لانه لا يغيب ..
فكر ..
ان الموظفين يعتقدون ان نظافة المكان شىء طبيعى فى المكان ..
وقرر أن يأخذ اجازة ويترك المكان يمتلىء بالتراب ويترك الموظفين يعرفون قدره .
وأخذ عم صالح ثلاثة ايام اجازة . قبل أن يمضى قال لرئيس العمل :
ــ أنا واخذ اجازة تلات أيام يا بيه . بس ابقى سيادتك شوف الفراشين التانيين حيعملوا ايه في الارض والمكاتب . ابقه لاحظ النظافة .
وكان رئيس العمل ساعتها مشغولا فصرفه برفق .
وظل عم صالح جالسا فى بيته يوما ونصف ..
كلما هبت عاصفة من التراب على الشارع الضيق .. ملأه الفرح .. كان يتصور ساعتها منظر المكاتب والارض فى المؤسسة التى يعمل فيها .. كان يعلم تماما ان أحدا من السعاة هناك لن ينظف الارض ولا المكاتب ،

وهو يحس بعد ان تنتهى اجازته ، أنهم سيعرفون قدره.
وفى نهـــاية اليوم الثانى احس عم صالح أن صبره قد نفد .

قرر أن يذهب ليرى مما حدث .

وذهب الى المؤسسة .

كان يتصور وهو فى الطريق اليها منظر الحجرات والمكاتب .. منظر خشب الباركيه .. ووصل عم صالح .. نظرة سريعة القاها على خشب البـاركيه واحس بالخوف .

شعور بارد وغريب من الخوف .

كان الخشب لامعا ومصقولا كمرآة .
وسار عم صالح بسرعة يتفقد الحجرات .. كلها كانت لامعه ونظيفة كأنه موجود .

لم يفهم شـــيئا .. وجلس فى كرســـيه حيث كان يجلس .. وجاء الساعى الثانى يصافحه ويسأله عن أحـــواله .

وسأله عم صالح ،
ـ مين اللى نضف الارض
ـ احنه .
ـ من امتى انتو بتنضفوها .
ـ ما هو لما أنت غبت قلنا ننضفها احنه .
ـ من امتى انتو بتنضفوها .

كانت هذه هى الجملة القصيرة التى قالها عـــم صالح . ساعتين وهو جالس فوق كرسيه بلا حركة . ساعتين وهو صامت .

داخله شىء بارد .

بنت من فلسطين

اصعب ما فى الحياة ان علينا انْ نعيشها كل يوم ·

وهى لا تعيش حياتها وانما تعانيها .. وهى تذكر اسطورة قديمة تقول ان أميرة سعيدة عرفت أنها ستتعذب نصف حياتها ·· هكذا قالت العرافة ·· ولجأت الاميرة السعيدة الى الساحر . ونظر الساحر ذو اللحية البيضاء فى كرة من الزجاج .. واطلق بخوره وتمتم باسراره واعطاها بكرة مليئة بالخيوط ·· قال لها ·· هذه البكرة المليئة بالخيوط هى حياتك ، كل يوم تعيشينه ينسحب الخيط من البكرة قليلا وتستطيعين اختصار نصف حياتك لو شددت نصف الخيوط ·

وهكذا شدت الاميرة خيوط البكرة وجذبت معها كل خيوط الشقاء فى حياتها واصبحت سعيدة ·· ثم اكتشفت الاميرة أنها قد اصبحت عجوزا ·· ان شعرها الاسود قد بدأ يشيب ·· ان وجهها الناعم يفقد نعومته · وتمنت الاميرة لو لم تجذب خيوط البكرة وعاشت شبابها فى الشقاء . هكذا تقول الاسطورة الساذجة التى تعرفها شوق صالح محيسين البنت الفلسطينية اللاجئة فى القاهرة ·

هكذا تقول الاسطورة .. وكثيرا ما تمنت شوق لو أصبحت عجوزا ··

ان أحزانها ليست تافهة وليست مترفة كأحزان هذا العصر .. ان عمر أحزانها ١٣ سنة والحزن داخل القلب يصدأ مع الزمن ·· وهى لا تذكر انها بكت طوال

حياتها القصيرة لكنها تعرف طعم هذه الدموع التى تبقى معلقة فى الحلق ثم يبتلعها الانسان وهو يبتسم .

● ● ●

انها تعرف أنها يجب أن تبتسم ·· وهى تعرف كيف تبتسم ·· فكثيرا ما ضحكتشوق خلال طفولتها فى رام الله بفلسطين

والانسان الذى يعيش وسط سعادته لا يذكر طفولته السعيدة · فهو ليس بحاجة لان يذكر ·· اما الذين يعرفون الشقاء فيحفظون فى أعماقهم كل لحظات الفرح الطفلة التى عرفوها زمان ·

وهى تحكى بفرح ايام كانت تعيش فى رام الله ·· الصورة الان بعيدة وباهته يلفها الضباب ·· لكنها ترى فى الصورة حقول البرتقال وسهول الزيتون وشجرة عجوزا كانت تعجبها بشرتها الخشنة الحنون ..

وأبوها كان اسمر ويعبدها ويغيب عنها خلال عمله فى الطيران الحربى وأمها الطيبةكانت اذا جاء الليل تضمها لجسدها كقطة تدفىء صغارها المولودين ·

ثم حدثت اشياء كثيرة فى العالم ·· مئات الاشياء التى لا تفهمها شوق ·· لم تفهم مثلا كيف يمكن أن يؤثر أحد صناديق الانتخاب فى امريكا على حياتها .
وتغيرت كل حياتها سنة ١٩٤٨ ·

لم تعد تعيش داخل صورة اطارها حقول البرتقال وسهول الزيتون وشجرة عجوز · تحولت حياتها فجأة الى مسرحية رخيصة لا يعرف المؤلف كيف ينهيها ولهذا يقتل كل أبطالها .

وهكذا نزف دم ابيها على مقعد طائرته وهو يقاتل اسرائيل ·· واصيبت امها بشظية فى معركة جوية على

رام الله وراحت احذية اليهود تغوص فى دماء العرب وهم يطفئون الحياة أمامهم ويتقدمون لرام الله ٠

ولم يبق لها فى الحياة غير جدتها والقاهرة ٠٠ وجاءت الى القاهرة مع الالاف الذين جاءوا القاهرة . . وفى شرق حلوان ٠ مع عائــلات العــربان التى تسكن الجبال . . عاشت شوق مع جدتها وعمرها ٨ سنوات ، كان عليها أن ترعى غنم جدتها التى اشترتها بعد أن باعت حليها الذهب ٠٠ والحياة فى الجبل قاسية ولكن هذه القسوة لا تدوم فالدنيا مغرمة بالتغيير ، والتغيير أن جدتها ترفض ذات صباح أن تستيقظ .

ويبكى الناس حولها لموت الجدة وهى لا تفهم لماذا يبكون ٠

كل ما فهمته انها اصبحت وحيدة ٠٠ هذا النوع من الوحدة الذى يجعل الانسان يصعب على نفسه ٠

. . . . .

القاهرة ساعة الغروب

شوق تسيــر فى الشوارع العريضة ٠٠ العــربات اللامعة تجرى جوارها وتسبقها ، ويسقط الليل لينهض بعده بثوان صباح أخر تصنعه ملايين الانوار الكهربائية وأنوار الاعلان والنيون ، والثلاثة ملايين ونصف يصنعون داخل المدينة دوامة تتحرك وتسرع وتجرى ولا تنظر خلفها الا لتسأل عن الساعة والملاهى والمسارح والسينما ٠٠ ويسقط الليل على مشكلة بنت من فلسطين ، بنت تسير وسط المدينة ٠٠

وتتعرف شوق على عائلات عربية فى القاهرة وتدخل مؤسسات وزارة الشئون وتغنى احيانا فى عيد الام

وتدرس الموسيقى أحيانا أخرى ولكنها طوال الوقت تحس انها وحيدة ·· وانها بنت وان عمرها ثمانية عشرة عاما وان عليها أن تستند دائما الى جدار الحياة النظيف وتتشبث بكل نتوء فيه وتعيش بنفس براءتها ايام كانت طفلة ··

.....

وأمس كانت شوق تسير فى شارع الجلاء ·· ومرت امام عمارة يشتغل العمال فى بنائها وأخرجت منديلها ووضعته على أنفها واسرعت فى السير ·· كان العمال يحملون الاسمنت ويصعدون السقالات ويخلطون الرمل ويثيرون التراب ويغنون ·

وخلال سيرها السريع سمعت صوت واحد يحكى أساه فى موال ياعزيز عينى أنا بدى اروح بلدى

واستدارت شوق ·· ثم وقفت ··

وطالت وقفتها امام الاتربة ·

رجـــل طفـــل

أنا شاب لكن عمرى ولا ألف عام .
وحيد ولكن بين ضــــلوعى زحام .
خايف ولـــكن خـــوفى منى أنـــا .
أخرس ولكن قلبى مليـــان كلام .

لم يقل عجبى هذه المرة .. كان يقول الكلمات لنفسه والدنيا عيد .. رابع يوم العيد . الشوارع بحر من جباه الاطفال والبالونات والصواريخ والبمب وكل شىء عيد وأبيض وصغيرا وبلا مشاكل ·· وهو كان بلا مشاكل ·· فداخل جيبه ١٧ قرشا ونصف ، وليس وراءه عمل ·· انتهى من شغله وخرج بلا هدف .. سار صامتا وقلبه مليىء بالكلام ولم يكن جواره أحد يكلمه .

ووقعت عيناه على بائع « نبق » .. كان الرجل يجلس وامامه مقطف مليء ·· لم يكن النبق مشجعا ·· لم تكن فيه دودة واحدة تشير الى حلاوته .. وهو لم تكن نفســـه فى النبق .. كل ما فى الامر انه كان فى حاجة لانسان يتحدث معه ·

ـ سلامو عليكو ·

ورفع بائع النبق رأسه دهشا ·

لم يتعود أن يحييه أحد ، تعود دائما أن يسمع بكام ، او هات بصاغ ، او حط شوية دول شوية ، ورد السلام والدهشة تحتل وجهه ، وعاد يجيب عن السؤال الخالد ·

ـ بثمانية صاغ الرطل ·

ـ هو النبق بيتوزن بالرطل ، ده بيتكيل بالقدح ··

ـ الكلام ده فى اسيوط ·

ـ امال انت منين ·
ـ انا من سوهاج ·
ـ طيب هات بنص فرنك ·
ومد الرجل اليه يده بقرطاس النبق ، وسار صلاح جاهين وهو يقزقز ·
بعد أن سار خطوتين اكتشف أنه لا يختلف عن اى طفل يعبر الشارع ، غير أنه اطول واتخن من أى طفل يعبر الشارع ·
وتذكر آخر مناقشة دارت بينه وبين ابنه الصغير بهاء (٣ سنوات ونصف) ·

لاحظ صلاح جاهين فى الفترة الاخيرة ان ابنه بهاء قد بدأ يتصرف كالرجال ويخرج وحده ويتأخر ولا يقول اين كان ، وقرر صلاح جاهين أن يقنعه بمضار الخروج بطريقة ناعمة . وحكى له حكاية أرنبين خرجا وحدهما وأخذهما الثعلب لبيته وكاد يأكلهما لولا أن صرخا وانقذهما الكلب ·

وظل صلاح يحكى كل تفصيلات القصة حتى اقتنع هو نفسه أن الخروج امر له مخاطره الشديدة ، وسكت بهاء قليلا بعد أن سمع الحكاية وسأل والده .

هو التعلب وحش يابابا ·
ـ آه يا حبيبى ·
ـ ليه ؟
ـ عشان كان حياكل الارانب ·

ـ طيب ما احنه كمان بناكل الارانب .
ولاحظ صلاح ان الكلام مقنع جدا ، هو نفسه لم يأخذ وقتا طويلا ليقتنع ، ولكنه كأى واحد من الكبار لابد أن

يقاوح ويدافع عن رايه للنهاية ، وعاد يقول لابنه :
ـ لا يا حبيبى ، مش فيه صبيان اطفال وبنات اطفال ، فيه كمان أرانب أطفال .. دول بقه أرانب أطفال ..
وسأل بهاء ـ فيه رجاله اطفال ··
وقال صلاح ـ لا مافيش ·
وهتف بهاء ـ لا فيه .. أنت راجل طفل يا بابا ، أنت راجل طفل ·

راجل طفل ·· هذه هى الكلمة التى يمكن اطلاقها عليه وهو يسير رابع يوم العيد ، وهو يشهد احد مصورى الارصفة فيقف ليحييه ويسأله عن ثمن الصورة ويناقشه فى الثمن · ثم يسير فيشهد احد ماسحى الاحذية فيقرر تلميع حذائه المرسيدس ··
هكذا يسميه ·
ـ اصل الجزمة شكلها زى العربية المرسيدس ·· سودة وبوزها مربع وحواليها افريز وشكلها عظيم ·

ثم يسير فيذكر شيئا يضحك له ، آخر رباعياته التى كتبها ، كيف راح أصدقاؤه يسألونه عن معناها وهو يقول :
ـ أنا نفسى مش فاهم معناها ·
ـ ازاى يا صلاح ·
ـ هو كده ·· اصلها شعر بحت ·· زى الرياضية البحتة ·· طلع فى مخى انى اقول شعر بحت رحت قايل ·

منزل قديم ادامه مربط خيول .
وفى السحاب مارد مجرجر ديول .
وبقعة ضلمة منها طالع نغم .
نعم نعم .. الورد بعد السيول .

ويسأله أصـــدقاؤه .. طب ايه حكاية الورد بعـــد السيول ٠

ويقول هو بمنتهى البراءة ٠٠ طبعا انا فنان هادف ٠٠ فضرورى اقول حاجة لذيذة فيها أمل بعد الكلام الفارغ ده ٠

●●●

راجل طفل ٠

دائما يتحول الى طفل مشاغب كلما أمسك اوراقه وبدأ يرسم ٠٠ ساعتها ينسى ان عمره ٢٩ عاما ، يذكر فحسب تجارب الالف عام التى عاشها ، ويتحول الى طفل مشاغب ٠٠ يضحك من النآس ٠٠ ويضحك معهم ٠٠ ويضحكهم ، ويضع ايديهم طوال الوقت على اوضاع كثيرة محترمة ٠٠ ومع الوقت يفهم الناس أن هذا الوضع مضحك ٠٠ انه غير محترم ٠

ويمد صلاح يده فى جيبه ويسير ٠٠ يجرفه الحنين لابنته امينة ٠٠ صحيح انه يعبد ولده بهاء ، ولكن هناك احساسا آخر تجاه أمينة ٠

ــ أصل الواحد لما يخلفولد يشوفنفسه فيه،ولافيش فرق بين أنك تشوف نفسك فى المراية او فى ولد ٠٠ انما لما تخلف بنت ٠٠ وتشوف نفسك بنت ٠٠ اهى دى الحاجة الظريفـــة ..

ويسير صلاح ٠٠ وتجىء وقفته امام بائع للحلوى ٠ ويتأمل كحك العيد بنظرات فاترة ، ويفكر أن الحب مثل كحك العيد تماما ٠٠ يستطيع الانسان صنعه حسب مقدرته ٠

ــ فيه كحك من غير سمن وفيه كحك بزيت وفيه كحك محشى فزدق وكحك محشى عجوة وكحك محشى الملبن او ما

يعادله طبعا .. كل واحد حسب مقدرته..والحب هوه راخر كده ·· انواع · بس ما فيش داعى تكتب الحكاية دى ··

على فكرة ·· انا عايز اقرا الكلام اللى حتكتبه ·· اصل ضرورى تفهم انى متراقب من اثنين ··

اولا احسان عبد القدوس ·

ثانيا ·· مراتى

بائع الحمص

فشلت تيارات الهواء البارد أن تدخل ميدان سيدنا الحسينيوم الثلاثاء الماضى · كانت القاهرة كلها ترتعش من البرد وميدان سيدنا الحسين حر ··

ــ مدد

الكلمة يقذفها مجذوب كانت كلمته تجلجل فى السكون قبل ذلك وتهز البيوت المتساندة وتوقظ النائمين فيتبعونه بألفاظ السباب ·

أما اليوم ·· فى المولد ·· فى ليلة المولد الكبيرة ·· فالكلمة لا تكاد تتدحرج من فمه حتى تضيع وسط الزحام ·

لا أحد يسمع أو يحس أو يلتفت ..

الميدان كله عجينة من الناس والبخور والزعيق ·· زعيق هائل ، وقرآن يتلى ، وغناء ، واهتزازات ذكر ، ودعاية ·· وكل شىءفى المولد يعلن عن نفسه بالدعاية · الكبدة والمخ اصبحت خطوطا من النيون المتراقص ، وتاجر الحلاوة الرشيدى وضع امامه ميكروفونا أيقظ به موتى مقابر الغفير داعيا اياهم الى تناول الحلاوة ، وأعمدة النور فى الميدان ترتدى جلاليب من اللمض الملونة الصغيرة ، ومئذنة المسجد تتنبه أخيرا لاهمية الدعاية فتحيط نفسها بنور أخضر شاحب ·

وحركة الناس فى الميدان تشبه مد أمواج بحر كان المفروض أن ينحسر ·· وفى الميدان رجل واحد لا يقوم لنفسه بالدعاية ·· بائع الحمص فرح مسعد · طوال الوقت وهو ينظر فى الزحام ويتحسس معدته .

ان طبق الفول الساخن الذى التهمه فى الغداء قد تبخر من معدته • أصبحت معدته فراغا •• أصبحت هى الفراغ الوحيد الموجود فى ميدان الحسين •
ومد يده الى الحمص وراح يلعب به بين اصابعه •

٧٥ عاما مرت عليه منذ ولد ، لم يكن وهو طفل صغير يشبه بائعى الحمص ، لم يكن يبدو فى ملامحه الطفلةأنه سيصير واحدا منهم عندما يكبر ، لكن هذا حدث . منذ خمسة وعشرين عاما وجد نفسه يشترى الحمص ويبيعه فى طنطا ، شى الله يا سيد يابد وى ، وكل عام يترك طنطا ليجىء جوار الحسين • لا يغضب السيد البدوى فأفقه الواسع لا يسمح له بالغيرة ، والسيد البدوى قريب سيدنا الحسين ، وكل الاولياء اقارب وأهل ، وكما يوجد القريب الغنى والقريب الفقير ، والقريب الوزير والقريب الغفير فكذلك يوجد فى الاولياء ، والحسين بين الاولياء وزير يحتفلون بمولده منذ سنة ٣٩٠ هجرية • وفرح مسعد لا يعرف أن هذا المولد يحمل رقم ٩٨٩ ، لا يعنيه أن يعرف ، كل ما يعنيه أنه يخرج من طنطا كل عام فى مثل هذا الموعد . ينحشر فى أحد كراسى الدرجة الثالثة بالقطار ويهبط القاهرة ، ومن هناك يركب الترام للحسين ويؤجر عربة يد بخمسين قرشـــــا طوال فترة المولد ويشترى شوالا من الحمص ، ويرص الحمص على العربةويشترى الحلاوة ليرصعه بها •• ويقف محشورا وسط الزحام يحاول أن يجد ثغرة يقول منها :

ــ حمص وحلاوة •• أو حلاوة وحمص •• أو حمص البدوى •• أو أى شىء •

ويكتشف كل مرة يحاول فيها ان يمارس مهنته . . انه

ـ بالصلاة على النبى ـ يهمس وسط زعقة هائلة اطرافها كلاكسات تصرخ وباطنها ناس يغنون ويهتزون وينشدون .

● ● ●

ويسكت الرجل ..

يسلم أمره الى الله ويسكت .. يعدل من وضع الكلوب ليراه الناس ويروا الحمص ، ويلسعه شيء .. ويمد يده بين ملابسه ويفكر فى الفندق اللعين الذى ينزل فيه . انه يدفع سبعة قروش فى الليلة أجرا للمبيت .

ـــ ازاى تبقى اكاندة وسخة بس ازاى ؟

وينزلق من تفكيره فى اللوكاندة الى النقود .. كل حبات الحمص التى تصنع أهراما فوق عربته .. كلها شوال واحد .. والشوال ثمنة ورقة بخمسة جنيهات والشوال لا يكسب اكثر من ورقة بخمسين قرشا .

وهو يكسب ويدفق مايكسبه .

● ● ●

ـ مدد .. مدد .

الناس حائط عملاق يتحرك .. وهو يفكر فى الله سبحانه وتعالى ، فى الرزق الذى يبسطه كيف يشاء .

زمان .. كان هو تاجرا كبيرا وعنده عمارة .. ثم افتقر .

افتقرت ليه يا فرح .. اسأل ربنا افتقرت ليه

انه رجل مؤمن ولا يناقش الاسباب فهى كلها فى يد الذى خلق كل هؤلاء الناس ..

● ● ●

ـ مــــــدد ..

ويكح بائع الحمص .

السبب هو الدخان الذى يدفع فيه كل يوم سبعة قروش ينتزعها من طعامه .

ويجىء واحد يشترى ويسير ويجىء غيره ، وتزحف ابتسامة للوجه العجوز الذى عاش ربع قرن يبيع الحمص فى الموالد ، ويجىء واحد ولا يشترى انما يسأل أسئلة كثيرة متلاحقة تندفع من فمه ويضيع نصفهاوسط الزحام ويصنع باقيها كومة تشبه تل الحمص الذى أمامه • ويتلم الناس • ايه ده؟ •• صحفى ايه؟ أوعى ياعم تكون مأمور ضرائب وحتأذينا • يا عم خدلى بالك بس •• لافيه مكسب ولا فيه ضرائب • خدلى بالك بس وصلى عاالنبى ••

الفلوس اللى بعنا بيها حناكل بيها •• وادى احنه حنطلع م المولد بلا حمص •

أم سـيتى

عشـرون يوما عشـتها فى الصـــعيد ... ووجوه كثيرة صادفتها فى الزحام ·· وفى الصعيد يبدو الحلم معجزة فهناك واقع قاس يعلن عن نفسه بخشونة ·

رغم ذلك أذكر حلما عشـــته هناك فى سوهاج .. بعيدا عن البلينا بسبعة كيلومترات تقع قرية العرابة المدفونة .. والقرية ككل قرى الصعيد · بيوت من الطين وناس بسطاء وعيدان قطن وزحام حول شاى المساء ·
لاشىء يختلف فى قرية العرابة المدفونة عن باقى الصعيد ·

لا شىء غير كمية هائلة من الاحجار المتناثرة على الارض ·· أحجار عجوز عمرها ثلاثة آلاف سنة ·· ووراء زحام الحجارة معبد أوزوريس ووسط خرائب المعبد تعيش امرأة · امرأة تعبد أوزوريس ··· يسمونها فى القرية أم سيتى ·· نصف انجليزية ونصــف ايرلندية · أسلمت منذ ٢٧ سنة وأصبح اسمها بلبل عبد المجيد . تزوجت وصارت أما لطفل سمته سيتى · وكبر الطفل وأصبح رجلا وغير اسمه الى أمين ·
وأم سيتى أو أم أمين تشتغل الان فى مصلحة الاثار · تعمل باليومية . كل يوم تقبض ٦٥ قرشا . تعيش فى قرية أبيدوس سابقا والعرابة المدفونة حاليا · عمرها ٥٦ سنة · ومنذ ٥٦ سنة ·· لما ولدت فى انجلترا لم تكن تصدق أنها ستعيش شيخوختها فى احدى قرى الصعيد بجوار معبـــد هزم الزمن حجـــارته واوقعهـــــا على

الارض ·· ولم يستطع أن يهزم نقوش هذه الحجارة ويمحوها !

لم تكن تصدق ·· ولا كان أحد يصدق · طفولتها كانت عادية ·· كطفولة أى بنت انجليزية ·· وكانت ككل البنات الصغار شاطرة فى الانشاء ضعيفة فى الحساب ·· وقد حدث وهى طفلة عمرها عشر سنوات أن قرأت كتابا · قصة خرافية اسمها (هى أو عائشة) مؤلف القصة كاتب انجليزى يعرفه كل من قرأ روايات الجيب فى مصر . سير هنرى رايدر هيجارد . والقصة تدور حول امرأة غسلت جسدها بنار الخلود . أصبحت تملك قوة رهيبة وغير مفهومة ·كان يكفى أن تغضب من انسان لتشير نحوه باصابعها · مجرد اشارة باصابعها ليجمد هذا الانسان ·· ويتحول الى تمثال ··

تخريف رائع تضمه صفحات القصة .. وتعيش الطفلة الانجليزية فى القصة .. ترفض بعد ذلك أن تعيش حياتها العادية ·· وفى حصص الحساب الثقيلة الدم .. كانت تتمنى أن تكون هى بطلة القصة عائشة .. حتى تشير لمدرسة الحساب .. وتحولها لتمثال وتستريح منها ·وتناثرت من النتائج أوراق عدة سنوات · وكبرت الطفلة ·

لم يزل جو قدماء المصريين يثير أحلامها · لم تزل كل كتبها المفضلة تتحدث عن تاريخ الفراعنة .

وحانت فرصة لتسافر الى القاهرة · امسكت فرصة العمر وجاءت . تزوجت مصريا وأصبحت بلبل عبد المجيد (وهذا اسمها الجديد) أصبحت أما لطفل لم تسمه بعد .. وراحت تستعرض أسماء الفراعنة لتختار

من بينها أسما له ٠٠ وأصعب ما فى الحياة أن علينا أن نختار كل يوم ٠٠ فاذا لم نختر نحن فهناك من يختار لنا ٠٠ وهى لا تترك أحدا يختار لها ٠٠ لم تترك أحدا يختار لها أن تسمى ابنها (سيتى) لم تترك أحدا يختار لها أن تدرس الاثار ٠ لم تترك أحدا يختار لها أن تعمل وسط غبار آلاف السنين ٠ وقد عملت بلبل عبدالمجيد كتلميذة لخبير الاثار العالمى سليم حسن ، رافقت كل بعثاته وحفرياته وتعلمت منه أشياء كثيرة . بعد ذلك عملت مع الدكتور احمد فخرى وتعلمت منه أيضا أشياء كثيرة .

والان تستطيع أم سيتى أن تنظر لقطعة الحجر المحفورة وتقرأ كتابتها الهيروغليفية وتحدد عمرها على الفور . تستطيع أن تجمع من بين آلاف الحجارة المتناثرة على الارض تمثالا قديما وتضع الحجر وترمم التمثال وتعيده للحياة ٠ وهى تنظر لتاريخ الفراعنة كما لو كانت تقرأ كتابا مفتوحا وسهلا ٠

ويجىء يوم تتحقق فيه أحلام أم سيتى ٠٠ طلبت أن تنقل الى العرابة المدفونة ووافقت مصلحة الاثار على طلبها .. ووصلت ام سيتى لقرية العرابة المدفونة . بكت وهى تنظر لمعبد أوزوريس المنهار ٠ لم تر انهياره ٠٠ انما سبحت ضد تيار الزمن ثلاثة آلاف عام الى الوراء .

هنا فى العرابة المدفونة دفن الاله أوزوريس بعد أن قتله (ست) .. وهنا كانت الألاهة ايزيس تبكى زوجها وشقيقها وحبيبها اوزوريس ٠ وتظل ايزيس تبكيه حتى تتجمع دموعها وتصنع فيضان النيل . وتظل ايزيس تبكيه بدمها ٠٠ ولهذا يجىء لون الفيضان أحمر ٠ وام سيتى تذكر هذا كله وتبكى هى الاخرى .. فهذا المكان

مقدس ·· كان مكانا مقدسا يحج اليه القدماء ·

وأم سيتى تؤمن أن أىصلوات تقال لاى اله فى اى مكان ، لاتذوب فى الجو .. انما تحوم فىالمكان الذى قيلت فيهوتمنحه قداسة العبادة ·· وتمنحه أيضا طيبة الذين كانوا يصلون ·

وتعيش أم سيتى فى العرابة المدفونة ··وكل يوم تستيقظ ام سيتى لتفطر من خبز الشمس الصعيدى والمش والجبن .. ثم ترتب بيتها الصغير الذى يضم فراشا متواضعا ومنضدة وكرسيين .. ثم تخرج لعملها فى معبد أوزوريس ·· ترمم المعبد وترسمه ·· وتظل تعمل حتى تعود ساعة الغداء .

زمان كانت تطعم قطتها ثم ماتت القطة ودفنتها أم سيتى فى البيت ·

زمان أيضا كانت تطعم صقرا صغيرا ·

– فيه صقر صغير مش يعرف يطير وقع من العش بتاعه ·· أنا ربيته لحد ما طار ·

مع السلامة ··

هذه هى حكاية الصقر .. اما حكاية ثعبان (الكوبرا) ·· فغير صحيح أن أم سيتى تربى فى بيتها ثعبان الكوبرا .. الحكاية كلها أن سقف بيتها فيه تجويف .. مجرد صدفة .. وقد اكتشف ثعبان الكوبرا هذا التجويف .. مجرد صدفة أيضا .. واكتشف الثعبان ان التجويف دافىء فى الشتاء .. ونام الثعبان فى التجويف ·· وصعب الثعبان على أم سيتى فبدأت تطعمه ·· وخاف الثعبان أول مرة ·· رفض أن يأ كل ·· ثم اطمأن لها وراح يأكل ما تقدمه ·

·····

سعيدة · سعيدة جدا · لا تحسد مخلوقا فـي الدنيا ·· ولا تريد أن تغير مكانها بأى مكان آخر ·

كان لها هدف ·· وأعطت كل شيء من أجله ، ولها الان أصدقاء · كل ناس العرابة المدفونة أصدقاء ·· وهناك عائلة أحمد محمود سليمان جيران أم سيتى ·· وهناك ثعبان الكوبرا الذى تطعمه بلا خوف · أنه هو الاخر صديق .. والاصدقاء أحيانا يعضون الايدى التى تمتد اليهم بالطعام . تصدق الكلمة فى دنيا الناس كما تصدق على دنيا الثعابين · لكن هذا لا يبرر أن تشطب الاصدقاء من حياتها وتعيش وحيدة ·

النهارده الجمعة

انه يذكر أنه استيقظ هذا الصباح ورأسه يمتلىء بالصداع · وقد حاول كثيرا وهو ممدد فى فراشه أن يفهم لماذا هو مصدع .. ولما لم يجد سببا معقولا أغمض عينيه وتهيأ للنوم ·· وضع رأسه تحت الوسادة ووضع يده اليسرى فوق رأسه وسمع خلال قطن المخدة الذى تحدثه زوجته كل يوم عن الاهمية القصوى لتنجيده .. سمع خلال المخدة ساعته التى اشتراها بالتقسيط منذ أربعة أشهر .. وحملت دقات الساعة اليه خوفا غريبا جعله يذكر شيئا فجأة · ورفع رأسه من تحت المخدة ونظر فى ساعته ·

ــ ٩ الاربع ·· ياخبر أسود ·

ان هذا معناه أن رئيسه لابد قد سبقه الى الحضور وسأل عنه مرتين وهو الان يضرب الجرس لينادى الساعى ويسأله :

ــ هو محمود بيه لسه ماجاش ؟

ولا بد أن الساعى يبتسم لانه يعتبر نفسه ذكيا ويفهم حكاية محمود بيه ·

ــ لا والله ·

بعد ثلاث دقائق على التقريب كان محمود قد غسل وجهه وابتلع لقمة كبيرة ملأها بأول طعام صادفه وراح يرتدى قميصه ·· أنه لا يفهم السر فى حضور رئيسه مبكرا . انه يعلم أن رئيسه يسكن فى مصر الجديدة ورغمها يأتى كل يوم فى الثامنة الا الربع صباحا حتى

انهم يضبطون عليه ساعات المصلحة .. ايمكن أن يكون الرجل من هواة الرياضـــة ولهـــذا يستيقظ كل يوم فى الساعة الرابعة صباحا ويأخذها مشى حتى المصلحة .
وراح محمود يزرر قميصه .. ومن خلال المرآة التى ثبتها فى الدولاب كان يشهد آثارا تشبه آثار معركة داخل الحجرة .. فبيجامته ملقاة على الفراش ومكومة وتشبه الشراب المقلوب ، ووسط الفراش فراغ لم يزل دافئا يناديه .. وعلى الارض فردة حذائه .. والثانية سوف يعثر عليها ان شاء الله اذا أعمل تفكيره قليلا ، وزوجته ليست فى الفراش .. وولده الصغير يصيح بنشاط شديد فى الصالة .. وانتهى هو من ارتداء قميصه ومد قدمه اليمنى فى البنطلون وجمدت رجله .. دخلت زوجته فجأة . . أطلت من عينيها دهشة خفيفة وهى تسأله :
ــ رايح فين بدرى كده والنهاردة الجمعة ؟

وتوقف عن ارتداء ملابسه وراح يتأمل وجه زوجته بحقـــــد .
ــ طب لما النهارده الجمعة تسيبينى اصحى بدرى ليه ؟

وخلع قميصه والقاه على فراش زوجته وارتدى بيجامته وعاد يندس فى فراشه والبقعة الدافئة لم تعد دافئة .. وعبثا حاول أن ينام .

كان يحس بالغضب والخجل والدهشة . ايمكن أن يكون قد فقد احساسه بالايام نتيجة التكرار الممل فى حياته ؟
كل يوم الساعة ٨ ونصف يستيقظ ليأكل ما يجـــده بسرعة ، ثم يبحث عن حذائه بسرعة وينزل من بيته

بسرعة ، ليكتشف خلال الطريق أنه نسى شيئا ، وكل يوم يركب الترام ويدوس الناس على قدمه ويخبطه واحد فى كتفه ويتضرر وهو يسمع من يقول له أنه اذا لم يكن يعجبه الترام فهناك التاكسى ·· واخيرا ينزل‌من الترام ليجلس أمام مكتبه ويستدعيه رئيسه ليفهمه أن هذه هى المرة الاخيرة التى يسمح له بالتأخير فيها ·· وتأتى ساعات العمل وعمل اليوم لايختلف كثيرا عن عمل الامس ·· وغدا سيشتغل كما اشتغل أمس والسبت كالاحد كالاثنين كالثلاثاء كالاربعاء كالخميس ·· وهو يغمض عينيه أحيانا فى الترام ويفتحها على المحطة التى سينزل فيها ليمتحن نفسه ·· ولم يرسب مرة واحدةفى الامتحان كعادته أيام كان تلميذا خائبا فى الثانوى ، والشارع أمام عينيه أصبح نغمة واحدة ، وجدران المصلحد كمـــا هى ، وهناك عنكبوت صغيرة تحتل ركنا جوار يافطة بائع السجاير القريب من المصلحة .. حتى هذه العنكبوت لا تغير مكانها ليحس أن هناك تغييرا فى حياته .. وهو يحس أحيانا انه سعيد جدا .. أنه نائم فى السعادة وأحيانا يحس ان سعادته أكثر فاجعة من الالم ، وتقلب فى فراشه وهو يفكر أين يذهب اليوم ..

لقد سئم الجلوس فى المقهى ·· والسينما شىء لا يفكر فيه فقد حدث آخر مرة ذهب فيها الى السينما أن صحبته زوجته وشبط فيها الولد الصغير فجاء معهما . وخلال الفيلم بدأ الولد يصرخ وبدأ الناس من حوله يتأففـــون ويتضجرون حتى أرغم أن يحمل الولد ويقف به خارج الصالة فلم ير من الفيلم الا ربع ساعة ·· من يومها قرر

أن يقاطع السينما ·· وتذكر أنه هو نفسه لم يعد يجد متعة فى السينما ·· أنه لا يفهم معنى لان يظل حبيس حفرة فى الظلام وأمامه ثقب مضىء وناس تتحرك وتسافر وتشاهد باريس وتشاهد لندن وهو جالس فى مكانه لا يشاهد غير شارعه وبيته والترام والناس تدهس قدمه ثم ينتهى طوافه بالعنكبوت التى تصر على الثبات عند نفس الركن جوار « يافطة » بائع السجاير ·· وهو يعيش أيامه بجمود حتى أن لون الحياة ينطفىء أمامه ·· والضحك يتجمد فى فمه ويخرس ويعجز عن التأمل فى شىء حى من غير أن يفكر فى الوقت ذاته فى لا شىء ·· وحتى المتع الصغيرة التى كانت تسقط داخل نفسه وتفرحه زمان ·· هذه المتع تسقط الان ببرود كقطعة من الزجاج المكسور تسقط على الارض · وتذكر فجأة أنه يريد أن يقابل فوزى زميله فى نفس المصلحة · وقام من سريره بعد أن تأكد أن النوم قد طار تماماً من عينيه ·· وظل يتسكع وينظر لقطع الاثاث فى البيت ويحس بثقل دمها حتى اقتربت الساعة من الحادية عشرة والنصف وبدأ الراديو ينقل أصوات همهمات المسجد ، ولبس ملابسه وتهيأ لينزل ·

وتذكر وهو نازل أن اليوم يوم الجمعة . . وصاحب البيت ليس وراءه شغل وزمانه يجلس الان أمام البيت ويشرب الشيشة ويفكر فيه ··

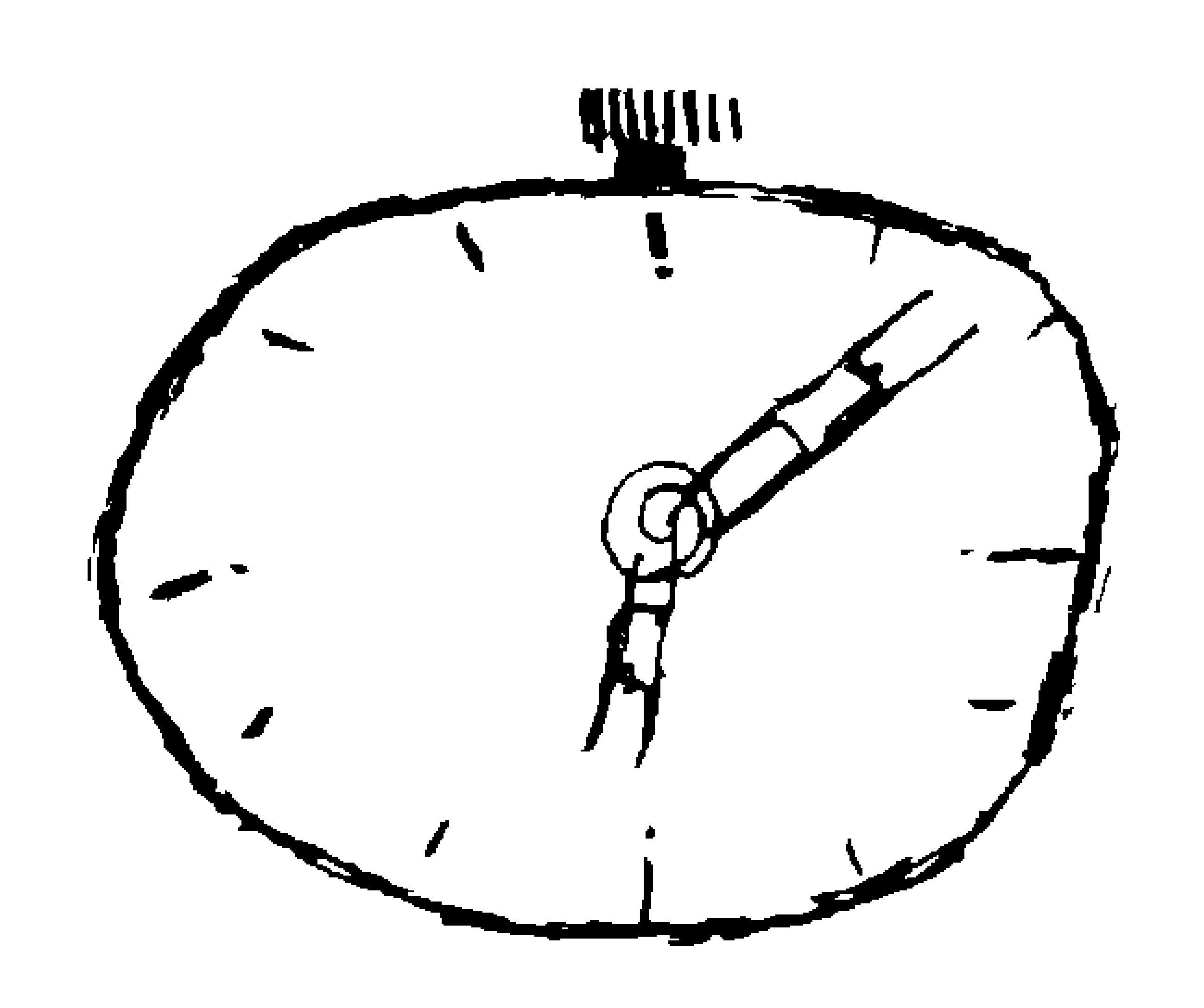
أما لماذا يفكر فيه فلان اليوم هو العاشر من الشهر وهو لم يدفع ايجار البيت بعد ·· وليس هناك من شك فى أن صاحب البيت سيقول له صباح الخير يامحمود افندى

ثم يفاتحه في الحكاية ‥ وفكر محمود فى الصعود مرة ثانية وكفى الله المؤمنين شر الايجار ، وفكر أن ينزل ويمر على صاحب البيت ويعمل نفسه لم يره .

وفكر ان يقول له أنه لم يقبض مرتبه للأن لانهم يجردون الخزينة أو لاى سبب آخر ‥ وطوال تفكيره كان ينزل السلالم بقدميه حتى أصبح أمام باب البيت .

. . . .

صباح الخير يامحمود أفنـدى ‥
عاش من شافك ياراجل
يا سيدى خليك فوق النظر وبان
طب ده النهارده عشره ..



ترس الآلة

على البعد فتاة حلوة تسير برفق وتصلى لوقع قدميها عيون كثيرة محرومة ، وليس هناك صوت لوقع قدميها ، ليس هناك صوت انسانى فى الشارع .. ورشة قطع غيار السيارات كانت تبتلع كل الاصوات الانسانية ، كانت أصوات الالة تأكل أصوات الناس ببساطة وانتظام ، والعمل يسير بنظام فى الورشة ، كل قطعة تالفة فى الالة تستبدل ، وكل شىء يمكن أن يستبدلَ ، وليس هناك ترس عبقرى يرفض ذلك ، والسيارات التى يخلو السوق من قطع غيار لها لا تساوى شيئا ، ودنيا السيارات ليست كدنيا الناس .. ليس هناك انسان لا يمكن أن يستبدل لان السوق يخلو من مثيل له ، وهو يسير مع صديق له ، مع مثيل له وسط الزحام . وهما غارقان فى الحديث تماما ، وتصفر عجلات سيارة عابرة وسائقها يضغط الفرامل ، ويخرج السائق رأسه وتقتتل على فمه الشتائم ، ويجريان هما ويعودان للحديث ويقول هو لصديقه بعد أن يقفا فوق رصيف ..

ـ زى ما تقول ورثت أنا المهنة من ابويا .. واشتغلت ساعاتى فى المنصورة وكان لى واحد صاحب زيك كده فى الشركة اللى بشتغل فيها .. قعدت أشتغل فيها ٧ سنين وبعدين اتفقنا ان احنا نروح القاهرة لان مرتب الشركة فى المنصورة كان صغير .. كنت باخد ٤٠ قرش فى اليوم . المهم جينا القاهرة وعمرى ١٤ سنة ، أول ما

جيت اشتغلت عند محل ساعاتى فى باب اللوق. الراجل اللى هناك ده · لا ما أظنش بيان من هنا · اتفقت معاه على ٧٥ قرش فى اليوم ، طبعا اشتغلت بالانتاج . . كنت اخلص شغلى الساعة ثمانية بالليل ، أجرت شقة فى شارع شامبليون ، طبعا أوده واحدة ، وكنت بدفع فيها ثلاثة جنيه ، أبويا بعد ما اشتغل خمسين سنة فى الساعات وقع فى يوم · كشفنا عليه ، الدكتور قال صدره تعبان ، ريحوه . ضرورى أريحه واشتغل أنا ، أمى زخره كانت محتاجه · كان عندها ٧ ولاد من ست سنين وطالع لحد اتناشر سنة ، وكنت ابعت لهم فلوس ، اذا كسبت ثمانين قرش اروح باعت خمسين ·

● ● ●

ـ تاكسى

الكلمة أطلقها واحد يقف جوارهما فجأة . . وصفرت عجلات التاكسى ·· وتوقفت هى الاخرى فجأة ·· وازداد الضجيج المنبعث من ورشة السيارات وافرغ الترام ركابه وصعد اليه الذين كانوا فى انتظاره من ساعة ، وضرب فلاح حماره ليسرع ·· وجرى ثلاثة ليلحقوا بالاوتوبيس ، وبدأت آلات الصحف تدور لتخرج قضية الجاسوسية ، وبدأت نتائج الانتخابات فى غانا تدل على نجاح الدكتور نكروما ، وتأجلت قضية الباخرة كليوبترا · وعاد الفلاح ينهر حماره الكسول الخائف . . ووقف هو وسط هذا كله غارقا فى الحديث ··

ـ فضلت اشتغل فى النظارات الطبية بعد كده ، وبعدين شعرت بتعب فى عينى اليمين . . الكلام ده كان من سنتين تلاته . . حسيت أن عينى اليمين بتوجعنى ، زى ما يكون فيها نار · رحت للدكتور على مرتضى

اخصائى العيون قال لى يا ابنى ده نتيجة الاجهاد ·· ما تجهدش نفسك ·· رجعت البيت وأنا يا دوبك شايف بعينى اليمين ، تانى يوم الصبح لقيت روحى مش شايف بيها ·· وفى مهنة الساعات دى العامل بيتعود أنه يشتغل بعين واحدة ، وكنت أنا بشتغل بعينى اليمين . وأنا ما أحبش اتنقل من محل لمحل تانى ، انما لما عينى تعبت الدكتور قال لى خفف من الشغل شوية يا سيد لحسن حتتعب .. ما صدقتوش ، وبعدين راحت عينى اليمين ·· دنتى رايح عا المنصورة اشتغلت فى المحل القديم اللى كنت بشتغل فيه ·· ما رضيتش أقول أنى مش بشوف بعينى اليمين ، قلت اشتغل بالشمال . طبعا صاحب المحل بقه مندهش لانه كان عارف انى بكسب فى القاهرة ·· قال لنفسه ايه اللى جايبنى ما دام بكسب هناك . كان انتاجى ضعيف جدا .. كنت بصلح ساعة واحدة بعد ما كنت بصلح ١٢ ساعةكل يوم ··وكان لى زميل زيك كده لاحظ أن انتاجى ضعيف فسألنى مرة على سهوة ·· فقلت له الحكاية .

كان راجل طيب زيك كده راح قال للمدير جه المدير بعتنى للدكتور عبد المحسن سليمان ومن عيادة الدكتور رحت مستشفى الدمرداش وقعدت سنة من غير نتيجة ·· ولفيت على الاخصائيين كلهم فى القاهرة ورحت المستشفيات كلها وقالوا لى مرة مافيش فايدة ·· انت تبطل تشتغل وكفاية عين واحدة · طبأعمل ايه ·· وانا ورايا تسع انفار بجرى عليهم · ابطل اشتغل ازاى · قلت اسيب شغلة النضارات الطبية وارجع تانى للساعات وزى ما تيجى تيجى · السنة دى اختى الكبيرة جالها شلل ·

قعدت فى البيت وكل أسبوع يطب البوسطجى بجواب اهلى باعتينه وطالبين فيه فلوس .

●●●●

بقيت أشتغل وابيع الالات الدقيقة اللى يشتغل بيها . . سبت الاوده اللى أنا ساكن فيها بعد ما بقيت عاالبلاط ورحت لوكاندة فى حى الحسين ·· وبعدين حصل يوم ١٤ يوليو الساعة ١٢ بالليل . طبعا فاكر الوقت . كنت ماشى فى شارع رمسيس رايح اللوكاندة ·· كانت الدنيا صيف وزى دلوقتى أدام مبنى الاسعاف بصيت لقيت الدنيا ضلمت فجأة ·· صرخت فى وسط الناس ··

ـ النور انقطع ليه ؟

واحد من الناس قال لى ··

ـ النور ما انقطعشى

حطيت ايدى على عينى لقيتها مفتوحة .

خدتنى عربية الاسعاف لمستشفى الدمرداش . · قالوا ما فيش فايده ·· قعدت ١٥ يوم فى المستشفى وبعدين جه جوز اختى سحبنى عا المنصورة ، راح اهالى البلد والناس الامرا والطيبين جمعوا لى ٢٥٠ جنيه عشان اتعالج بره ·

وناس كتير ساعدتنى . . الاستاذ على حمدى الجمال اللى فى الاهرام ده ربنا يطول عمره ويديله الصحة كتب على سطرين هز الدنيا ·· رحت بمديها للدكتور عبد المحسن سليمان ·· قال لى استنى وادانى شغلة فى مركز رعاية المكفوفين · قلت انتحر · ·كنت بخاف آكل لحسن هدومى تتوسخ ·· لحسن أوقع الاكل عليها .

اى واحد يكلمنى ماكنتش أعرف ان كان بيكلمنى جد والا بيضحك لى عشان اضحك له ·

وبقيت اضحك لكل واحد ··

.....

ويبتلع حديثهما ضجيج الشارع ، ويعود سيد للحديث ·

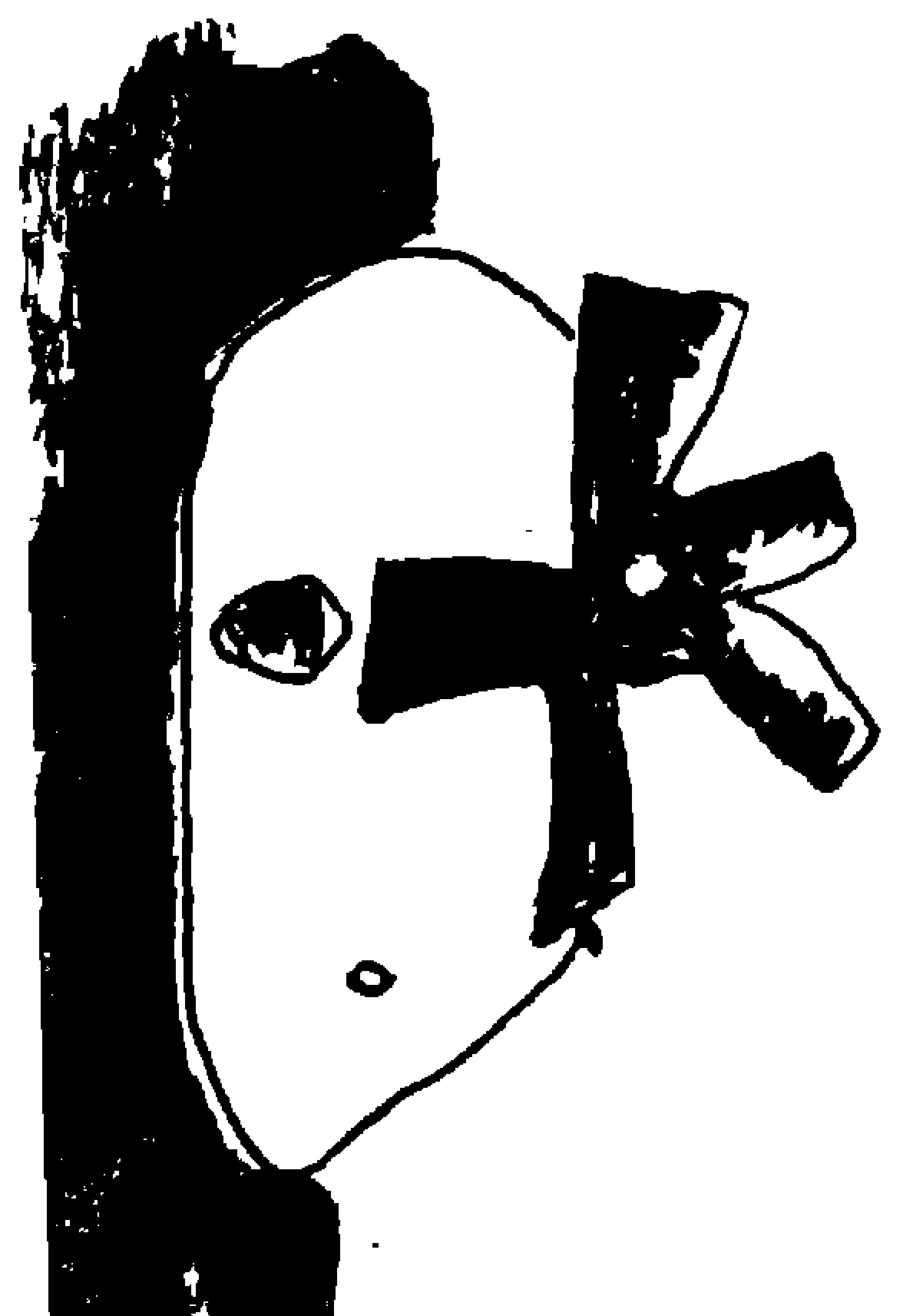
ـ عمل لى الدكتور عبد المحسن سليمان عملية وشفت ·· رجعت أشوف تانى بعد ٣ سنين ·· مابقيتش مصدق . قال لى اوعى ترجع شغلتك تانى . شوف شغلة غيرها ·

طبعا أنا محتار .. لانى حتى لو رجعت شغلتى تانى حلاقيهم استبدلوا بى حد تانى .. واذا ما كنتش أروح ··

وتضج ورشة السيارات

وتأكل الالات الحديث .

ويجرى الشارع ·



ســـــياموز

الانسان فى نهاية الامر هو اهتماماته الصغيره ٠٠ وهى كأى بنت لها اهتماماتها الصغيرة ٠

عطر فرنسى اسمه جى ريفيين ٠ وقمـــاش ترجال ابيض ٠

وكلا الاهتمامين غير موجود فى السوق ٠٠ حتى لو وجدتهما اليوم فلن تتحــرك لشراء شىء ، فقــدت كــل اهتماماتها منذ اسبوع ، زحف عليها خوف غامض وهادىء ومروع ، وكل يوم يمر يغرس فى نفسها مزيدا من الخوف ، فالامتحانات تقترب ، وكتبها عذراء لم يممسسها بشر ، وأى استاذ يصحح ورقة الاجابة لن ينصرف ذهنه لتقدير الظروف التى أملت على الطالب أن يخرف أو يكتب الاجابات خطأ ؛ انه يصـــحح اوراق الاجابة فقط ٠

أخيرا بدأت تستذكر ، طوال الليل نور حجــرتها مضاء ، وطوال النهار يرعشها الخوف وتظل موجة الخوف معقولة حتى يقترب الليل من آخره ويعوى كلب هناك عواء طويلا يذكرها بأن فجر يوم جديد قد شرف الدنيا ، وتلقى هى نظرة سريعة على الصفحات التى استذكرتها أمس ، وتحس أن الكلمات ذابت فى رعبها وتحولت الى نوع من السبرتو الجيد ٠ ويطيــر السبرتو ٠٠ يتبخر ٠٠ وتموء قطتها الصغيرة وتتأمل هى قطتها بسبوسة ٠٠ وتذوب نفسها حبا للقطة ، لم تعد تدللها الان ، لم تعد فاضية لتدللها .

ان القطة من نوع خاص ٠ سياموز ٠٠ هكذا تنطقها

ليلى خالد ·· فهى تجيد الفرنسية كالعربية ·· ربما لانها عاشت فى مدرسة المردى ديو عدة سنوات . وسياموا ز هى الترجمة الفرنسية لكلمة سياميز ، وسياميز هى الترجمة الانجليزية لكلمة قطة من سيام ، ونوع القطة فاخر .. وليلى تحس نحوها احساسا خاصا ؛ لان نوعها فريد ولانها ..

ــ مش مرطرطة فى السوق ··

وهى تحب النوع لا الشيء نفسه ، هذه فلسفتها وفلسفة كل مثيلاتها من البنات فى الحب · ان القطة تحتل فى بيت ليلى مركزا كالذى يحتله الصهيونيون فى أمريكا ؛ ببساطة يعتبرون هذه القطة كابنتهم تماما .

ــ ها هى تمسك القطة وتقول : أغلى الولد ولد الولد . الخدام أمين ما يقولش عليها غير ست بسبوسة ، والقطة نضيفة زى الترجال الابيض · مرة أمين قال بنتك خرجت النهاردة ورجعت فيها خمس براغيت · وقد كان اكتشاف هذه البراغيث الخمسة كارثة ·· واعتبرت ليلى أن قطتها اهينت أهانة شعبية بالغة ·· كان كابوسا ولكنه انتهى ··

.....

والكابوس الجديد لا يريد أن ينتهى ، منذ أعلنت الجامعة سامحها الله عن موعد الامتحانات ، ومنذ أن مر الوقت بسرعة الصواريخ عابرة القارات ، منذ هذا الوقت وهناك رعب هائل تعيش فيه ليلى ·

لم تعد تذهب لنادي الجزيرة ، لم تعد تشرب كوكتيل النادى ، لم تعد تتأنق أو تهتم بملابسها . فقدت اهتمامها بالعطور ·

لم يعد يشغلها غير الامتحان وورقة الاسئلة وقسم الصحافة الذى التحقت به هذا العام · للاسف الشديد ·· هذا كلما يحتل ذهنها فى الوقت الحاضر ·

· · · ·

وقد حدث أمس أن خرجت ليلى من الجامعة ووقفت تنتظر عربتها . وتقدم منها شحاذ عجوز ، وقال الرجل سلسلة من الادعية المحفوظة ، ولم تتحرك هى وعاد الرجل يقول بعد أن لاحظ أنها خرجت من الجامعة .

ــ ربنا ينجحك يا ست هانم ·

وذابت نفسها شفقة على نفسها · امتدت يدها لحقيبتها وافرغت نصف ما فيها من قروش فى يدالعجوز

واستدار الشحاذ وهو يدنى القروش من انفه ويشم لها رائحة حلوة .. واستدارت ليلى وفى ذهنها صورة ملونة لسماء زرقاء ارضها من الذهب وبابها من الماس المفتوح على مصراعيه . وتمنت أن يظل البــاب مفتوحا حتى تصله دعوة الرجل ·

لقد دفعت ثمن الدعوة ويجب أن تصل ·

الاتوبيس المـاسح

كان الرجل معلقا فى أوتوبيس السيدة وكان يوشك أن يقع حين قال له الكمساوى :

ـ تذاكر يا أستاذ يا اللى على السلم ·

ـ لما أعرف اقف بس ·

ـ تذاكر يا فندى يا اللى عا السلم ·

ـ بقول لك واقف بنص رجل ومشعلق بايديه الاتنين .

ـ تذاكر يا بنى آدم يا اللى عا السلم . . المفتش فى درجة أولى وممكن يأذينى علشانك .

ـ يعنى أقع أموت عشان أديك صاغ ·

ـ اطلع فوق وهات تذكرة ·

ونظر محمد أفندى الى هذا الفوق الذى يتحدث عنه كمسارى الاوتوبيس . لم يكن هناك فوق . . كل الناس كانوا تحت بعضهم وتحت الضغط وتحت الزحام ·

ولقد كان واضحا أن فراغ تورشيللى الذى أفنى العالم حياته فيه قد تحقق فى الاوتوبيس بعد ثلاث محطات من تحركه ·

لم يكن داخل الاوتوبيس هواء · كل الهواء تسرب الى الخارج بعد العجينة التى ملات الاوتوبيس ، عجينة الرؤوس والاجسام والايدى وحقائب السيدات والاقدام والملايات اللف التى ينزل منها اللف اولا وتنحشر الملاءة فى الاوتوبيس وتروح صاحبتها تشدها خلال صراخ طويل عن اللصوص الذين سيسرقون ملابسها أمام عينيها ·

وكان الكمسارى قد سجل عشر سنوات من عمره فى

العمل ، وتناقص احساسه بالزحام وزاد تقدمه فأصبح يعرف كيف يعالجه وينفذ منه ٠

وهكذا ظل الكمسارى يحشر نفسه بين الركاب حتى وصل الى محمد أفندى وهو يقف على السلم مع كثيرين غيره ٠٠ وعبثا حاول أن يحصل منه على ثمن التذكرة ٠٠ كان محمد أفندى واقفا بطريقة لا تسمح له بأن يحرك أى جزء من جسمه غير لسانه ٠٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠

اخيرا جاءت المحطة ووقف الاوتوبيس ٠

قال الكمسارى ٠

ـ يللا يا أستاذ . . الاونوبيس وقف . . طلع الفلوس

ونزل محمد أفندى ومد يده فى جيبه وفكر أن بيته قد اقترب كثيرا ولم تعد عليه غير محطة واحدة ٠ لماذا لا يسير هذه المحطة اذن ؟ .

واستدار محمد أفندى وسار ٠ ترك الاوتوبيس واقفا وترك الكمسارى مادا يده وسار . واقتتلت الشتائم على فم الكمسارى ٠ وضج نصف الاوتوبيس بالضحك ٠٠ وتساءل النصف الثانى عن الحكاية ٠٠ وقال أحد الركاب للكمسارى :

ـ كده يضحك عليك وينزل ٠

والتفت الكمسارى لصاحب التعليق ٠

ـ تذكرتك تخلص المحطة الجاية يا حضرة ٠ استعد للنزول ٠

وابتسم رجل نحيل للجالس جواره ٠٠ وشفت ملامح الرجل الثانى عن استعداده لتبادل الحديث ٠٠ وقال الرجل النحيل :

ـ عامله زى حكاية الاوتوبيس اللى اتعطل ·· نزلت الركاب تزق ·· جه كمسارى شملول زى ده كده قال لواحد ·· أنت معاك تذكرة ·· قال له لا ·· قال له خلاص امشى ما تزقش ·

وضحك ثلاثة شبان يقفون جـوار الكمسارى على حكاية الرجل النحيل ·

وتعارف كل ركاب الاوتوبيس .. وبدأ تبادل الحديث والتعليق ·

قال الكمسارى وهو يلوى وجه :

ـ الناس فايقة قوى النهاردة كده ليه ؟ ·

وتحمس رجل يرتدى الملابس البلدية ·

ـ يا راجل فايقه ايه .. اذا كان واقف بنص رجل عا السلم ·· هى دى أوتوبيسات دى ·· الواحد يقـف بالساعتين يستنى وبعدين يشعلق بنص رجل .. وبعدين يقع تحت العجل ·

قالت سيدة بدينة ترتدى الملابس السوداء :

ـ تلات شبان يا روحى وقعوا تحت العجل ديك النهار والجرنان كتب حادثتهم وتلاقيهم كانوا قاطعين تذاكر ·

والتفت الكمسارى قائلا بغضب :

ـ يعنى ايه بلاش نقطع تذاكر ·

ووصل المفتش ·

كان رجلا بدينا يسيل العرق على وجهه رغم برودة الجو · كان يمسك التذكرة وينظر فيها نظرة غائمة ويقطعها نصفين بحركة آلية ويناولها للراكب ويمد يده لغيره ونظراته تمتد أمامه كشريط السكة الحـديد · وسكت الاوتوبيس والمفتش يقوم بمهمته حتى وصل الى

الرجل الذى يرتدى الملابس البلدية ٠
ـ تذاكر
ـ لسه ما قطعتش ٠
ـ كمسارى ٠
قالها المفتش بنفس اللهجة التى كان نابليون ينادى بها أكثر قواده خطورة ٠
ـ ابقه اقطعها له ٠٠
ونزل المفتش ٠٠
ووصل الكمسارى الى المكان الذى يقف فيه الرجل ٠٠ نظر فى عينيه نظرة صارمة ٠٠
ومد يده اليه قائلا ٠
ـ هات ٠
ـ خد ٠
ـ شف لنا قرش غيره ٠
ـ ليه ماله القرش ٠
قال الكمسارى وهو يغرس نظراته فى عين الرجل ٠
ـ شوف لنا قرش غيره خلينا نشوف شغلنا ٠
قال الرجل ذو الملابس البلدية وهو يطبق قبضته ويتحفز ٠
ـ وده ماله القرش ده ٠٠ ما أنا واخده من واحد زيك فى أوتوبيس زى ده كده ٠
صاح الكمسارى :
ـ حاسب ٠٠
ومد يده وأخرج صفارته من جيبه ٠
ـ حاسب يا ابراهيم ٠٠ وقف هنا ٠
وضغط السائق فرامل العربة فوقفت ٠

ـ اتفضل شوف لنا قرش غيره والا ماحنش ماشيين .
وانقسم الاوتوبيس الى فريقين على الفور ·· قسم مع الرجل الذى يرتدى الملابس البلدية وقسم ضد الكمسارى ··
قال رجل يرتدى ملابس عمال السكة الحديد .
ـ افتح أخضر يا عم يا كمسارى .
والتفت الكمسارى يتساءل بغضب .
ـ يعنى ايه ··
ـ كلمة بيقولوها فى السكة الحديد ·· افتح الاشارة أخضر ·· يعنى فوت ·· يعنى ما تدقش ·
ونهض رجل كان يقرأصفحه الوفيات فى جريدةالاهرام ليقول للكمسارى بانفعال :
ـ احنا ورانا شغل يا حضرة الكمسارى · مش فاضيين للعطلة دى
ورد الكمسارى ببرود ·
ـ والله ما احنش حنمشى الا ما يجيب قرش تانى .
وانقلب الاوتوبيس فى ثوان الى كلمات تتطاير وتتخبط .. صرخ أكثر من واحد بأن العالم وراءه شغل ·· وقالت السيدة البدينة للكمسارى ·
ـ يا خويا خد القرش واقصر الشر ·
وتطوع أحد الركاب ليمتحن القرش ·· وتناوله من الكمسارى وراح يعضه ويخبطه بأسنانه ·· ثم ناوله لراكب آخر وهو يقول ·
ـ كويس مافيهش حاجة .. ينصرف .
واقر الراكب الثانى رأى الراكب الاول ·· وراح القرش ينتقل بين أيدى الركاب واحدا بعد الاخر وكل واحد يمتحنه وهو يكتم ضحكة ·· فقد كان أحد وجهى

القرش ماسحا تماما اما الوجه الثانى فكانت عليه نقوش تآكل نصفها وبقى نصفها الثانى ٠٠ رغم ذلك ٠٠ كان واضحا ان هذا الشيءكان قرشا منذ أربعين سنة ٠٠ وبناء عليه فهو لم يزل قرشا ٠

كويس ينصرف ٠٠ كويس ينصرف ٠٠ جرى ايه يا كمسارى .. ايه حكايتك ، انت ما وراكش شغل والا ايه ٠٠ انت تعطلنا عشان ايه ٠٠ احنه فاضيين لك والا ايه ٠٠ أما غريبة قوى ٠٠ انت مش عاجبك الركاب دى كلها .. ما حدش فيهم مالى عينك والا ايه .. القرش ينصرف يا أخى .. أهو واخده من كمسارى تانى . اطلع يا سواق ورانا شغل ٠٠

واكتشف الكمسارى أنه يقف وحده أمام ناس كثيرين قد اتفقوا على أن الاوتوبيس يجب أن يتحرك .

وطوال هذا الوقت كان الرجل الذى يرتدى الملابس البلدية يقف صامتا يرقب نمو المشكلة ويحس داخله بنوع من الرضا لان الاوتوبيس كله يقف الى جانبه ٠٠ حتى الافندية معه .. ومد الكمسارى يده وصرخ فى الراكب الذى وصل اليه القرش .. هات القرش ، ونفخ فى صفارته قائلا :

ـ اطلع يا ابراهيم ٠

وقطع التذكرة وأعطاها للرجل وهو يقول :

ـ زى بعضه اما يبقوا يردوه تانى ابقى ادفعه من جيبى ٠٠

وتكلم الرجل الذى يرتدى الملابس البلدية ٠

ـ تدفعه من جيبك ليه ٠٠ هو أنت اغنى منهم ٠٠ أبقى قول لهم القرش ماسح زى الاوتوبيس ٠

زى المواصلات كلها ٠

بفـــــرنج

سـوق الحميدية فى دمشـق

ستة آلاف دكان وعشرة آلاف انسان وملايين الاصناف التى ترقد كلها تحت سقف من الحديد تنحدر من نوافذه أشعة شمس شتائية ٠

الساري الهندى والعقال السعودى وقبعات أمريكا وآخر ازياء باريس وملابس الفلاحين واقراط الغجر تصنع مزيجا غريبا من الوان الطيف ٠

لهجات الاكراد والبدو واللغات المتضاربة تهز المكان بدوامة لا يعرفها غير سوق الحميدية ٠

وهو يقف امام مدخل السوق ٠ أمام عنق الزجاجة الذى تفيض منه الحياة ٠

حائر وعيناه تدوران حوله بخوف ٠

مشهور فيحان هو اسمه ٠

قلبه تفاحة خضراء عمرها ٧ سنوات ٠٠ الزحام العملاق يسحقه والسيارات تجرى امامه وخلفه والباص يكاد يخطفه من الارض والنداءات حوله تخنق نداءه ٠

ـ بفرنج ٠٠ بفرنج ٠٠

طاولة من الخشب يمسكها فى يده وعليها عدةقطع من الخبز التى تضمداخلها العجمية ، ٩ قطع لم تزل معه والظل عمودى والساعة الثانية عشرة ظهرا ولم يبع هو غير ٦ قطع .

ـ بفرنج ٠٠ بفرنج ٠٠

ان الفرنج عملة سورية قيمتها خمسة قروش « تعريفة

تقريبا ، والفرنج قوته الشرائية هناك كقوة التعريفة هنا ٠٠ يعنى بلا حول ولا قوة ٠

القوة هناك عند الصيارفة عند ٣٠ صرافا يمتلكون دكاكين صغيرة فى السوق ويعلقون تحت الزجاج اوراق الجنيهــات والليرات والدنانير وكل عمــلات الشرق والغرب . ومشهور فيحان يتأمل خلال ص اعه مع الزحام مئات الليرات المعلقة أمامه ويشد حيله ويعود للنـــــداء .

ـ بفرنج ٠٠ بفرنج ٠

والصوت يخرج من فمه قويا وينحدر فى الشارع لتدهسه آلاف الاصوات فيضيع . ويعود مشهور ينظر فى التسع قطع الباقية ، ويمد بصره الى الصيارفة ويتحسس النقود بعينيه ويشد حيله ويزعق ٠

ـ بفرنج الواحدة ٠٠ باقى تسعة ٠

ولا حياة لمن تنادى ٠

كل واحد يدخل السوق او يخرج منه يتحدث عن المصارى (النقود) ٠

ـ هايدى بتسعين ليرة ٠

ـ خود ٠٠ عشر ورقات ٠

ـ معوضين سيدى ٠

المصارى ٠٠ دائما المصارى ٠ كل واحد يدخل السوق ويخرج منه يتحدث عن المصارى ٠

وداخل السوق تجرى النقود من جيب الى جيب فى سباق يشبه سباق الدراجات لتستقر أخيرا على جانبى السوق فى جيوب تجاره .. ومشهور فيحان تاجر هو الاخر ٠٠ ولا شىء يستقر فى جيبه ٠

صحيح ان طوله صغير جدا بالنسبة لتاجر ٠

صحيح ان عمره ٧ سنوات ٠

ولكنه تاجر ورجل ويحس بالمسئولية وكل يوم يستيقظ مع الفجر ليجرى ومعه نصف ليرة يشترى بها ١٥ قطعة من العجمية ويضعها فوق طاولته ويبدأ يبيع الواحدة بفرنج والمجموع ثلاثة ارباع ليرة وربحه ربع ليرة يعطيه لامه ، وأبوه باطونجى يشتغل فى تبليط الارض ، وهو مثل أبيه ، كل يوم يخرج ويبيع ويكسب ويعود لامه بالنقود ، لا فارق بينه وبين ابيه غير ان اباه طــويل وهو لا يزال فى طول ركبته .

لا يهم .. المهم انه رجل .

ويزعق الرجل .. بفرنج

ويبيع واحدة ويبيع الثانية .. ويسأل عن الساعة ويقال انها الثانية ويحس بخوف ان ٧ قطع لم تزل معه .. وبعد قليل يهبط المغرب .

. . . . .

بعد قليل لم يهبط المغرب .

هبط المطر ، اختفت الشمس وراء السحب .. بدأت ارض الشارع تلمع وهى تستقبل المطر .. انسحب كل الدفء من امام السوق ليختبىء داخل المحال الصغيرة التى يتصاعد فيها بخار الشاى .

وقف مشهور فيحان وحده يرتجف .. كش اصابعه داخل حذائه ومد يده فى جيوبه ووقف يتفرج على مدخل السوق وهو يلمع وقد انحسر عنه الزحام .

ـ بفرنج .. بفرنج .

قالها مرتين بهدوء . كان يحس انه متعب وضعيف وبردان وليس رجلا كأبيه . كان يحس انه جاء يبيع الماء فى حارة السقايين ، انه ينافس ناسا عندهم محلات وعندهم دفء وعندهم لعب حلوة للاطفال .. دبابات

صغيرةوطائرات وعربات وقاطرات سكةحديد وبالونات، ودنيـــا من لعب الاطفـــال تبـــدو له وسط صحرائه المحرقة خيمة من نور ويستريح بعينيه عند خيمةالنور ، ونجيء الساعة الثالثة والدنيا ثلج والمطر يسقط .

ويسير مشهور فيحان .. نفس الوقت ، والابقار تسير فى غوطةدمشق .. والفلاحون يمسحون وجوههم بأيديهم وتمشى كلماتهم منورة بالدعاء ·

اخيرا سقط المطر ، سقى الارض وحمل معه الخير ·

ويسير مشهور وتفكيره مع أصابع قدميه المنقوعتين فى مياه كالثلج · ميـــاه اقتربت اليـــه من حذائه غير المحـــكم ·

ويدرك انه لو وقف هنا عند باب السوق فلن يبيع

ويقرر أن يقف هناك عند فندق سميراميس ·

داخل الفندق كان هناك دفء منور ·

ولا احد ليأكل من مشهور ، كل واحد يأكل فى الفندق او فى مكان فيه ناس ينحنون ويقدمون طعاما له رائحة فاخرة ·

نصف ساعة مرت ومشهور فيحان يروح ويجىء امام الفندق ·

لم يعد يحس بقدميه .

بردت قدماه حتى لم يعد يحس بهما .

احساس آخر هزمه ·· لم يأكل من الظهيرة حتى الان ·· جاع ··

ومد يده الى طاولته وتناول قطعة من السبع الباقية وبدأ يأكل ..

مرتين اثنين توقف عن الاكل ليزعق بصوته الطفل المجروح من البرد ·

ـــ بفرنج .. باقى ستة ..

فيلم مصرى

بدأت كلماته تختفى بعد ساعة من حديثه .. كانت حروف الكلمات تتلوى داخل حلقه وتخرج ضـعيفة ومتكسرة ·· وتزحف على ارادتى فتشلها وعلى نفسى فتدفع فيها شيئا كثيفا ومقبضا ·

لم أكن اتعذب وأنا اسمع قصة الوجه .

لم اكن اتعذب . كنت أحس بنوع من الملل والحيرة والانقباض ·

كنت اعانى نفس الحالة التى اعانيهاكلما شهدت فيلما عربيا سخيفا ·

وقد بدت حياة الرجل وهو يحكيها كالافلام العربية ·· شىء لا يمكن ان يحدث ··

بدت حياته كفيلم لحسن الهمام . مثل فيلم تتوه فيه بنت من اهلها ، وتعرف حياة التشرد ، وتعمل خادمة عند اهلها ويحبها شقيقها ، ويعرض عليهـا الزواج ·· فتطردها الام . امها .. وتعود للشارع وتتعقد الحكاية وتصبح غير مفهومة ولا منطقية ·

نفس المآسى الحادة التى نراها على الشاشة .. نفس المصائب المتكررة ·· نفس الخيال الهائل · ·كل هذا يسير فى قصته جنبا الى جنب وفى هدوء ·

· · · · ·

والسينما فى نهاية الامر فكرة ·· وقصـته ·· بصراحة ·· لا تضم اى فكرة

ولما كانت السينما تعتمد على السيناريو .. ولما كان السيناريو هو الوصف السينمائى للمشاهد ·· فلا بأس ان نبدأ قصته بوصفه وهو يخرج من باب بيت أبيـه

العسكرى ، ويسير في الشارع ، فى طريقه الى محطة مصر ، ليقطع تذكرة الى محطة بنى سويف حيث يعيش أهل أبيه فى قرية اسمها شريف باشا .

ويركب محمود محمد عبد الجواد القطار ويذهب لقرية شريف باشا ·

تصوير خارجى للقرية ·· بقرة هناك تدور فى ساقية . . فلاح يغنى بصوت محمد قنديل . . مناظر حقول وترعة يجرى فيها الماء ·· ثم وجوه سمراء المفروض انها وجوه عائلته ·

ويشير اليه اهل ابيه ·· يسألون والده ··

ـ هو ده اللى لقيته فى اسكندرية ·· ويتظاهر الاب انه لم يسمع ·· كل مرة يطرق السؤال فيها سمعه يدير وجهه وتتسلط الكاميرا على عينيه وهو يخفى بهما شيئا يشبه السر · وتزيد علامات الاستفهام ·· وتتحول حياة البطل الى علامة استفهام كبيرة · وتدخل الكادر امرأة عجوز وطيبة المفروض أنها جدة البطل . . وتفضى اليه بالسر الرهيب ذات ليلة · تقول له انه ليس ابن ابنها بالدم ·· انه ابنه بالتبنى ·وتعود الكاميرا الى الوراء والعجوز تحكى . . تعود لتمر بسرعة فوق شاطىء بحر . . ويفهم المتفرجون انهم فى الاسكندرية .

● ● ●

الاسكندرية سنة ١٩٤١

عسكرى بوليس ذاهب فى مهمة · الوقت ايام الحرب العالمية الاخيرة .

غارة جوية على المدينة ·· حيل سينمائية وبيوت تقع واشياء تنهد وتراب كثيف يملأ الشاشة لحظات . . ثم

منظر انقاض وسطها طفل عمره سنتان .

طفل يصرخ ·· ماما ·· بابا ·· ويبادر العسكرى لحمل الطفل ·· فين ماما فين بابا ·· والطفل لا يعرف الكلام . دموعه تخنقه وهو يصرخ بالكلمتين الساذجتين ·· بابا ·· ماما ·

وهنا تعود الكاميرا عامين للوراء ·· لتحكى حكاية محمد عسكرى البوليس الذى مات له ابن عمره سنتان ·· وكان اسمه محمود ولم يكن له اولاد غيره ·· وتصور الكاميرا وهى تقترب من وجه العسكرى الحنان والعطف اللذين يحس بهما نحو هذا التائه الصغير ·

وتصور الكاميرا تردده وهو يريد ان يسلم الطفل لقسم البوليس

اخيرا يقرر أن يعود به ويتبناه ويفيض عليه بعضا من الحنان الذى كان قد دفنه مع ابنه .

• • • • •

وعاد به ورباه حتى كبر ·

ـ ادى حكايتك يا ابنى ·· هكذا تنتهى قصة الجدة العجوز وتعود الكاميرا بعد التصوير الخارجى لتتسلط على وجهها وهى تمسح دموعها من التأثر .

ويستمر الفيلم او الحقيقة ·· لا اعرف ··

ويلح محمود على ابيه بالتبنى ان يخبره اين اهله ·· ويتحول محمود الى اوديب ، يصبح ممثلا مسرحيا بعد ان كان بطل قصة سينمائية ؛

وكما ظل اوديب يبحث عن الحقيقة ويفتش عن امه ويحاول معرفة والده حتى اصطدم بأنه قتل اباه وتزوج امه ··

وكما يقول الاغريق ان قناع الحقيقة يجب ان يظل مسدلا لانها تقتل من يرفع النقاب عنها ، وكما تدفع غريزة الانسان كل مواهبه للبحث عن الحقيقة .. فقد استطاع محمود بعد نشر صورته وملخص قصته في الصحف ان يتسلم رسالة من شقيقته فى الاسكندرية . وطار الى الاسكندرية . أخيرا عثر على عائلته الحقيقية .

حلل دمه فى الاسكندرية واكتشف انه من نفس فصيلة العائلة التى فقدت ولدا عمره عامان وله نفس ظروفه ونفس اوصافه ونفس فصيلة دمه .

كان المفروض ان تنتهى الحكاية هنا ويعيش هو فى التبات والنبات .. ويتزوج واحدة ويكون له منها صبيان وبنات ويحكى لاولاده حكايته المثيرة .

هذا ما يحدث فى الافلام الجيدة ،لكن هذا الفيلم مصرى كما قلنا .

ميراث تركته امه يبلغ اكثر من ٨٢ الف جنيه ومشاكل على الميراث ووجوه تقطب فى وجهه وشك فيه .. ثم باب يفتح وهم يطردونه .

ـ انت نصاب . انت لست ابننا .

ويعود لابيه بالتبنى فيقول له انه صرف عليه ما يكفيه . .وانه كبر وان عليه أن يبحث عن عمل .

كان اسمه محمود واصبح اسمه احمد ثم اصبح بلا اسم

كان له اب واصبح بلا اب .. كانت له ام واصبح بلا ام .

●●●

اعمل ايه دلوقت ..

انه يسألنى انا .

يوم القيـامة

دخل المعلم عبده مقهاه ووجهه فى لون الليمون الاخضر · لم يوزع تحيته على زبائنه كالعادة ، توجه مباشرة الى منصته وجلس فوق كرسيه وهو صامت . أجال بصره حوله وراحت عيناه تبحثان فى زحام المقهى عن وجه معين · عادت عيناه من رحلتهما بلا بريق · التفت بوجهه لصبى المقهى وزعق :

ـ شاى يا واد ··· واعمل لك همة ·

ومرت دقائق ··· ودخل المقهى شاب نحيل التقطته عينا المعلم عبده فنهض من كرسيه وزعق :

ـ اتفضل ياسى فاروق

· · · · ·

وشق فاروق طريقه بين المقاعد المتراصة ولاعبى الكومى والطاولة حتى وصل الى المعلم فجلس إلى جواره . . . وعشش الصمت فى المكان وتناقص الشاى فى كوب المعلم عبده وهو صامت . انتقل الدفء من الكوب الى معدته ولم يتناقص احساسه بالبرد · ورغم أن قطرات من العرق كانت تملع فوق رقبته الا انه كان يحس أن لوحا كاملا من الثلج قد ذاب فى عروقه من الساعة التى قرأ فيها الخبر

· · · · ·

خبر القيامة التى تقوم بعد يومين

· · · · ·

لم يصدق المعلم عبده ان هذا العالم سينتهى فجأة .

لم يصدق أنه يمكن أن يموت . لم يكن عمره قد جاوز الاربعين لكنه شعر أنه عاش أياما كثيرة . وأيام العمر تجر وراءها كثيرا من الذنوب ..

ومهنته كقهوجى تدفع فى حياته بمئات الذنوب كل يوم · ذنوب يرتكبها هو شخصيا وذنوب يرتكبها صبيانه خلال محاسبتهم للزبائن ·

وهناك ذنوب الشقاوة التى ارتكبها الحب أيام كان المعلم شابا ··· والتقطت أذنا المعلم ضجيجا تردد فيه اسمه ...

ورفع رأسه عن كوب الشاى · والتفت ·كان هناك جنين صغير لشجار بين صبى المقهى وأحد الزبائن ··· الزبون يصر على أنه لم يشرب غير مشروبين ··· وصبى المقهى يصر على ثلاثة مشاريب .

قال المعلم لصبيه :

ـــ مشروبين بس يا ضلالى ...

قالها بلا حماس وعاد لكوب الشاى . لم يزل يشعر بالبرد · ان الجو دافىء لكن شيئا غافله وتسلل اليه وملاه بالبرد ·

·· أخيرا مال المعلم برأسه على فاروق :

ـ ازيك يا سى فاروق

ـــ الله يكرمك يا معلم .. الا أنت مالك النهارده يعنى ·· مش عادتك تسكت

·· أمال مين يلاغى الزبائن ؟

قال المعلم بصوت خائف كهمس الخيانة :

ـــ الجرانين بتقول القيامة حتقوم ... كل الجرانين يا سى فاروق ، انما لامؤاخذة فى السؤال .. أيه بقى

حكاية الكواكب اللى داخله فى بعض وحتيجى على بعض ويروح العالم فى شربة ميه ؟ ...

قال فاروق وهو يمسك فنجان القرفة :

ـ انت خايف ليه .. ما انت بتأوى عالم مالهاش بيوت أهيه .. يعنى من غيرك الناس دى كانت تروح فين .. ؟ .. انتا يعنى عملت ايه فى دنيتك .

قال المعلم وموجة البرد تغرق أعماقه :

ـ ما كامل الا سيدنا النبى عليه الصلاة والسلام . كلنا بنغلط فى حق ربنا يا سى فاروق .

قال فاروق وهو يضحك :

ـ الله .. ده انت واخدها جد يا معلم .. قول لصبيك يجيب شوية سكر القرفة مافيهاش سكر . تعرف أنا عملت ايه أول ما عرفت أن القيامة قايمة يوم الاثنين ... اولا ما دفعتش ايجار البيت .. قلت اصرفهم مادام حتطربق عالكل .. جالى بتاع النور امبارح .. قلت له انت حتاخدهم تصرفهم يا عم .. ما خلاص لا عاد شركة نور ولا يحزنون .. قال لى حنقطع النور .. قلت له مش حتلحق .

.....

ـ احرقه .. احرق الواد .. ارميه عالترابيزة وسيبنى أشوف شكله . كان الحديث يدور بين اثنين يلعبان الكومى فى الترابيزة المجاورة .. وكانا يلعبان عشرة التطبيقة .. وكان اللعب حاميا ومتعادلا حتى نجح الاسطى حسين أن يحرق لزميله الولد .

ورجحت كفته فارتفع صوته الذى ظل طوال المباراة ساكنا .. واشتبك صوته وصوت الراديو مع صوت

البابور مع خبط الطاولة مع صوت صبى المقهى المنغوم .. واحس المعلم عبده أن جو المقهى يثير أعصابه .. تأمل الزحام الذى يمتلىء به المقهى .. وفكر فى المسجد القريب من بيته .. المسجد الذى يملؤه الهواء طوال الاسبوع ولا يغادره الا يوم الجمعة .

لم يكن زحام المقهى يدفىء باطنه هذه الليلة .. كان يحس بالبرد ..

.....

وتأمل المعلم لعبة الكومى وعاد يميل على فاروق ليهمس له :

ـ الناس فى الهند سابت شغلها ورقدت جنب البحر . والعالم كله مستنى والجرايد مليانة كلام يا سى فاروق .. ما هوش معقول يكونوا بيخوفوا الناس عا الفاضى .

.....

قال فاروق وهو يزعق على صبى المقهى .

ــ هات قهوة على الريحة يا سحس .. شوف يا معلم .. الدنيا دى اشغال .. كل واحد اشتغل يوم القيامة مظبوط صح . الرهبان الهنادوه طلبوا أوفر تايم عشان يصلوا ٢٤ ساعة . والرجالة قالت للستات هاتوا الدهب لحسن بوذا زعلان وحيطربق العالم . والديانة اللى فى مصر جريوا على المديونين قالوا لهم هاتوا القرشين اللى عليكو عشان تقابلوا ربنا نضاف . والجرائد لقيت اللى تكتبه .. والدنيا لقيت اللى تتكلم فيه .. وكل واحد مشى شغله مظبوط صح ..
هات الميه مع القهوة يا ابنى انت راخر .

قال المعلم عبده وهو لازال يشعر بالثلج :
ـ انت طول عمرك ما انتش جد يا فاروق أفندى ٠٠ القيامة لابد وعن لازم تقع ٠ أنا يا أخى اتشائمت يوم الراجل الروسى ده ما طلع السماولفها وتنه راجع ٠ بقيت أقول يا ساتر أستر ٠٠ لا يمكن أبدا الحكاية دى تفوت على خير ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠

قال صبى المقهى وهو واقف يسمع حديث المعلم
ـ هو ثبت أن القيامة حتقوم خلاص يا معلم ؟
ـ القيامة حتقوم لانك ما طلعتش قرد ٠٠ لان ربنا خلقك بنى آدم .. امشى يا واد شوف شغلك .

وسار صبى المقهى وهو يبرطم ويدمدم ولا يَدرى السر فى غضب المعلم ٠٠
وحميت مباراة الكومى فى الترابيزة المجاورة ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠

وسكت المعلم وسكت فاروق ٠٠

لم يكن فاروق يحس داخله بالمرح رغم أنه يطلق الضحكات منذ أن جاء ٠٠ لم يكن يفكر فى يوم القيامة بشكل جاد كما يفكر فيه المعلم ٠٠ كانت له مشاكله ٠٠
كان يعلم ان هناك طريقة واحدة للولادة .. وطرقا عديدة للموت ٠٠ والانسان يولد فيتدخل كل الناس فى ميلاده ما عداه هو ٠٠ ويختار كل الناس اسما له بغير ان يسألوه .. ثم يمنحونه الحياة وسط ظروف تحدد شخصيته وتشكل ملامحها بغير أن تأخذ رايه ٠٠

هذا ما يحدث فى الحياة ٠٠ أما الموت فأمره بسيط ٠ ان الانسان يموت وحده ولو قامت القيامة فعلا فلسوف

يموت كل واحد من الناس وحده ·· لكن القيامة لن تقوم في الميعاد الذى حددته الصحف ··

ليس هذا ما يقلق فاروق ·· انما يقلقه طعم الحياة نفسها ·

ان فاروق يجيء الى المقهى كل يوم ·· يتمدد على كرسيه ويشرب الشاى ويشرب القرفة ويشرب القهوة ويلعب الكومى ويضحك على الناس ويقول كلاما كثيرا ويقفز عن كرسيه ويعود يجلس عليه لكنه يفعل هذا كله بلا حماس ·

وهذا ما يقلقه ··

انه لم يعد يعرف الحماس ·· ان الشعور بالشفقة على نفسه يملؤه ·· وهو لا يعرف سر احساسه بالشفقة على نفسه .. لا يعرف لماذا يجيء الى المقهى كل يوم . لا يعرف لماذا يبدو الجالسون فى المقهى وكأنهم طابور « محلك سر » ·· ولماذا يحس هو أحيانا أن السقف قد هبط حتى وصل لرأسه فلم يعد يستطيع أن يكبر ولو قليلا ··

لا يعرف هذا كله فيلتفت ..

ـ شوف لنا يا ابنى واحد شاى تقيل ·

· · · · ·

وانتهت مباراة الكومى فى الطرابيزة المجاورة بانتصار الاسطى حسين · قال الاسطى حسين لصبى المقهى

ـ نزل ست مشاريب هنا يا ابنى على حساب ابراهيم أفندى ··

ثم ملتفتا الى المعلم ··

ـ تلات عشرات يا معلم ·· سيبنا له أول عشرة عشان يتشجع وخدنا منه عشرتين سخنين ·· الواد اتحرق مرة والكومي فطس في ايده ؛ الا انتوا قاعدين عاملين كده زي الفقها ونازلين كلام في القيامة .. الحكاية دي مقلب يا رجالة .. خايفين ليه .. ما تقوم القيامة .. تتفضل تقوم .. أهي الجرايد بتكتب والهنادوه بتصلي والعالم ميت في جلده ·

انما ما هياش قايمة حتخمنا ولا هياش قايمة .. بكرة تشوفوا وتقولوا الاسطى حسين قالها . ده كلام جرايد يا عم .. ده كلام جرايد ..

مــدحت

ــ انت مش راجل يا مدحت .

ـ طبعا راجل

ــ طيب خلاص .. روح انت اشترى الاستيكة .

وخرج مدحت وهو يبتسم ، لا يدرى لماذا تسعده حكاية انه راجل ، ولسعه البرد فضم جاكتته الزرقاء البليزر .

وسار .. شبه أنيق ، البنطلون رمادى فــاتح ، والجاكتة زرقاء والكرافتة لونها احمر وأزرق ، والسويتر الرمادى الفاتح يكاد ينطق على الوجاهة ، وكل شيء رائع ، الظلال الوحيدة التى تنقص من هذه الروعة ، ظلال الحذاء البنى والمفروض أن يكون الحذاء أسود ..

لا يهم .. المهم انه يحس انه موجود ، ودافىء ، ومتأنق ويعجب هذه الفتاة السمراء التى تعاكسه

●●●

ـ انت مش راجل يا مدحت

هكذا قالوا له : وهو مقتنع تماما أنه رجل رغم أن سنه أقل من خمس سنوات رغم انه عندما يشب يصل طوله لركبه الكبار .. ومنذ عامين تقريبا لم يكن يحس انه رجل . كان عمره اقل من ثلاث سنوات ، وهو يزور المتحف الزراعى مع والده ويشاهد تمثال الذئب وهو يأكل الحمل .. يومها التصق بقدمى والده وهو يبكى من الذعر .. كان يحس وهو ينظر للخروف الذى يأكله الذئب .. انه هو والخروف شيء واحد ، كان يمر بالسن

التى يخلط فيها الاطفال بين الذات المشاهدة وموضوع المشاهدة ·

ولكنه فى الايام الاخيرة لما زار المتحف الزراعى قال لوالده وهو يتأمل صورة الخروف الذى يأكله الذئب ·

ــ عاوز آكل الخروف يا بابا .

كان واضحا أن استجابته هذه المرة تتناسب ومستواه الارتقائى الجديد ·· وهكذا تقدم من مرحلة الخلط بين ما يصدر من ذاته وما يصدر عن الاخرين ·

تقدم نحو تعبير ذاته وممارسة استقلالها ·

أصبح رجلا ·· هكذا افهموه فى البيت ·

●●●

وهو كالرجال تماما ···

يذهب الى الشغل كل يوم فى المدرسة ويأخذ ثلاثين قرشا فى الشهر ماهية من والده وعنده أصدقاء من الرجال الصغار مثله . . وله صديقة اسمها باهيناز .

وهناك مشاكله العاطفية :

ــ زعلان من باهيناز . . مش بلعب معاها .

ـ ليه ؟

ـ كده ···

الاسباب يرفض ذكرها ، فهو كالرجال المحترمين له أسراره التى يحافظ عليها ولا يذكرها حتى لصاحبة الجلالة ·· الصحافة

ـ طيب نضرب لك باهيناز

ـ لا ·· تعيط

ـ انت يهمك ·· مش مخاصمها

ـ مخاصمها لكن صاحبتى

وهو ليس رجلا لان له مشاكله العاطفية ٠٠ انه رجل لانه أحيانا كثيرة يفكر فى التعايش السلمى تماما كالاتحاد السوفييتى .

صحيح انه لا يفهم الكلمة ، ولا ينطقها ، ولكنه يحسها منذ عامين تقريبا اكتشف مدحت ذات صباح أن هناك زيادة فى عدد أفراد البيت ودهش لان الباب كان طول الليل مغلقا .

شىء صغير ومقرف وطوال النهار يبكى ٠٠ جاء الى البيت . وحاول أن يلعب بهذا الشىء الجديد القادم، أسرعت والدته وأسرع أهل البيت وحاصروه بأعينهم كأنه ارتكب جريمة ، فهميوها من كلامهم المختلط ، أنه ممنوع من هذا الشىء ، كل الحنان الذى كان يأتيه خالصا أصبح يجىء بعد أن تذهب كل خلاصته الى هذا الشىء المقرف الذى جاء !!

وكبر الشىء ، أصبح طفلا صغيرا ، وتطور ٠ أصبح يمشى وينهنه ويضحك ثم بدأت نياته العدوانية تظهر ٠٠ وتعلم الضرب والركل والقرص .. ومارس بواخته مع مدحت ٠

وبدلا من أن يقوم أهل البيت بتاديبه كما هو المفروض ٠٠ كانوا يضحكون منه ويحبونه ٠

وضايقه هذا التحيز الغريب ، الشىء الوحيد الذى جعله يرتاح ان البيت كان دائما يقول له :

ــ معلهش يا حبيبى . انت أكبر منه .. انت راجل .. هو لسه صغير

واعجبته حكاية انه راجل .. استقر اخيرا على حل .. وبدا يعامل شقيقه الصغير المشاغب كما لو كان هو رجلا .

ـ عايز أستيكة حبر ٠٠ بصاغ

ـ ما فيش بصاغ

ونظر مدحت للرجل .. للمرة العاشرة سوف تتكرر المأساة ، كلما طلب شيئا بقرش أرادوا بيعه له بأكثر من قرش ٠

هل معنى أنه قصير وطفل ٠٠ أنه لا يفهم ،انه لا يعرف الفرق بين ما هو صحيح وما هو خطأ ، ان كل الكبار يبدون متساوين فى الطول والاتزان وصحة القرارات ورغم ذلك يسمع الكبار أحيانا يتكلمون عن بعض وينتقدون تصرفات بعض ؛ وهذا كله محير جدا ؛ هذا معناه أنه لا يستطيع أن يترك أمر اصدار القرارات لعالم الكبار نهائيا ٠

وهو كلما حاول اصدار قراراته بنفسه .. كلما ناقش ثمن الاستيكة أو القلم الرصاص عرفته الحيرة طريقها اليـه .

ووقف لحظة قصيرة ، جمع أطراف شجاعته وقال بغضب .

ـ اسمع ٠٠ أنا دايما بشتريها بقرش ٠٠ تجيبها بقرش والا بلاش خالص

ـ طب خد ٠

قطـر الصعيـد

ارسطو فيلسوف مشهور وله كلمات حكيمة ·
قال يوما (انك تتفلسف لكى تثبت أنه ليست هناك فلسفة) ·
وهذا كلام معناه ·· انك تستطيع لكى تنفى شيئا ما أن تستخدم هذا الشيء نفسه لتنفيه ·

ومنذ سنوات ، لم أكن أفهم هذه العبارة · لم اكن اتصورها على وجه التحديد · وركبت قطار الصعيد هذا الاسبوع ·· لم أعثر على تذكرة فى عربات النوم ·· قلت فى نفسى ·· ما دمت لن أنام فلاقطع تذكرة درجة ثانية ·
وفهمت فى القطار ماذا أراد طيب الذكر أرسطو ان يقوله منذ أكثر من ٤٢٢ سنة قبل الميلاد ·

فهمت تماما ماذا يريد أن يقول · فقد احسست طوال الساعات الاثنتى عشرة أننى موجود فى قطار ولست موجودا فى قطار ·
كيف كان ذلك ·· ؟

المفروض أن القطار ليس حرا لان قضبانه نقيده ، هذا هو المفروض .. والذى يحدث فى الحياة غالبا ليس هو المفروض ، فقطار الصعيد حر تماما ، وهو يمارس حريته ببساطة شديدة ، فيتأخر كما يريد ويصل فى الوقت الذى يشاؤه ، وباختصار كل تصرفات القطار تشبه تصرفات نوع معين من صغار الموظفين فى الصعيد ·
وقد تحرك قطار الصعيد ، الاكسبريس ، الذى لا يضم غير عربات النوم والدرجة الاولى والثانية · تحرك

القطار من باب الحديد والساعة تدق الثامنة ·

دنيا من الناس كان يضمها القطار · دنيا تبحث عن مكان تجلس فيه ، واكتشفت والقطار فى الجيزة اننى بلا مقعد · وأقول للكمسارى بأدب جم اننى بلا مكان اقعد فيه ، ويقول الرجل ببساطة إن ناسا سوف تنزل فى المنيا وتحل المشكلة ·· واسأله كيف تبيع مصلحة السكة الحديد تذاكر تزيد عن عدد المقاعد ويضحك الرجل بذكاء وهو يرد ·

ـ امال ايه ··

بعد اقتناعى بهذه الحقيقة ·· وضعت حقيبتى جوار رجل طيب ورجوته ان يأخذ باله منها .. وقررت أن أصبح كريستوفر كولمبس واكتشف القطار ·

بعدها قررت أن آخذ القطار وجها فى الزحام ..

ان عدد عجلات الدرجة الاولى والثانية والثالثة فى قطار الصعيد متساو · والفارق بين الدرجة الاولى والثالثة هو الفارق بين مليون جنيه وخمسة قروش صاغ · وقطار الصعيد الذى ركبته لم يكن يضم درجة ثالثة . رغم ذلك كانت الدرجة الثانية تمتلىء بزحام ناس وحقائب وقفف واسبتة كالدرجة الثالثة · وهناك رجل اسمر يجلس على الارض فى نهاية الدرجة الثانية · الرجل يجلس جوار ثلاث قفف · والرجل يغنى موالا أحمر ·

عشب الجبـــال اتحـــرق من كتر آهاتى
ومراقـــد النمـــل اوســـع من منـــاماتى
ومقـــاطع النيـــل اضـــيق من جروحاتى
يهـــون على دخـــول الجبر بحيـــاتى
ولا جماد اللى احبـــه عنـــد خصـــماتى

ويذوب صوته وسط صفير القطار وصوت عجلاته ٠٠ وعجلات الدرجة الثانية لا تختلف عن عجلات الدرجة الاولى ، ورغم ذلك فان كمية التراب التى تقذفها عجلات الدرجة الاولى وتهاجم ركابها يمكن حسابها بالسنتيمترات ٠٠ فى حين أن كمية الاتربة التى تقذفها عجلات الدرجة الثانية وتهاجم الركاب يمكن حسابها بالاطنان . وسبحان مقسم الاتربة والحظوظ . .

والحديث يجى بين رئيس محكمة نقل الى سوهاج وكان يعمل قاضيا فى قنا وبين زميل له ٠٠ ورئيس المحكمة يتحدث عن مجمع المحاكم فى قنا ٠

ــ نصور بعد ما استلمنا المجمع بأيام بصينا لقينا الحيطة نطرت بياضها والبلاط طلع . . نبص تحت البلاط نلقى طين مش اسمنت ، لا والشاهد انه فيه قصة اغرب ، فيه أدام المجمع حتة أرض فاضية ، وطول النهار تبخ تراب ، قلنا نرشها ميه ، تعرف حصل ايه ، جانا جواب من مهندس البلدية ينبه علينا بعدم رش قطعة الارض اللى أمام مبنى المحكمة حتى لا يتعرض المبنى للسقوط ٠ تصور ٠

مرت خمس ساعات من رحلة قطار الصعيد ٠ تنكر كل ركاب الدرجة الثانية ٠ لم يعد هناك وجه اسمر ٠ تحولت كل الوجوه السمراء الى بياض التراب . غطى التراب كل شيء ، واسبغ على المكان ظلالا من الروعة التى لا تغسلها أنهار الارض ٠

ولمناسبة ذكر الانهار . كان القطار يجرى جوار النيل . ورغم أن النيل كان مليئا بمياه الفيضان ، كان الركاب يشهدون المياه ولا يذوقونها ٠

فقد حدث بعد ست ساعات سار فيها القطار أن فقدت المياه منه .. وقد نفدت المياه بعد أن أعطت الركاب أكثر من انذار .. أول انذار انها تحولت من البرودة إلى السخونة ، وكان هذا التحول دليلا على تحولات أخرى فى الطريق ·

ومع الوقت نزل ناس وصعد آخرون ، وتغير شكل الركاب ودخلت وجوه سمراء لم تتنكر بعد ·

وجه أسمر له قصة حب .

صعيدى من سوهاج . زمان لم يكن يحمل هم نفسه فهو يملك فأسا وذراعه كالحديد ، وهو يعمل فى الحقول لقاء سبعة قروش فى اليوم أو خمسة ، ثم رآها تعمل وأعجبته يداها · كانتا قويتين كايدى الرجال ، والوجه وجه طفلة ، وهزته أمنية . ماذا لو ملات بقامتها الطويلة بيته · يداها ·· ماذا لو عملتا جوار يديه ، لم يحلم بها فهو لا يجد وقتا ليحلم · كان ما فعله انه تقدم لابيها ، شرب معه الشاى وفاتحه فى الحكاية · والرجل ابوها قال له كلاما كثيرا معناه .. نفس معنى الموال الشهير هناك ·

ــ روح يا عبد ما انت قد شراها ·

حقيقة ·· وضعت يده على كل حياته · جسدت له بشاعة حياته . النصيب التافه من ثمرات الارض .. المواسم التى يترك فيها النبات ينمو ويجلس هو جواره بلا عمل ·

وهج من الصعيد ·· واليوم يعود اليه وفى جيبه محفظة تبدو عندما يفردها فى حجم طفل صغير .

القطار يصفر ، واطنان التراب تمنح المكان ظلالها البيضاء الرائعة ·

القطار يصفر ، بلا خوف وبلا مبالاة فالمفروض انه موظف فى مصلحة السكة الحديد · والمفروض ان أى مسئول فى السكة الحديد اذا تصادف يوما وركبه فلن يركب الدرجة الثانية ولا الثالثة ·· والقطار لئيم وهو يعتنى بالدرجة الاولى فيه فقط ·

· · · · ·

قال غاندى فيلسوف الهند زمان

« اننى اركب الدرجة الثالثة لانه ليست هناك درجة رابعة » قطعا وبالتأكيد .. لم يركب غاندى قطـــار الصعيد ·



الاســـــد الحبيس

أكل اطيب اسد فى حديقة الحيوان يد حارسه لشدة الزحام حول قفصه ٠

٠٠٠٠٠

ان الاسد يعرف أن كل ايام الاسبوع تمضى شبه فارغة حتى يجىء يوم الجمعة . هل يمكن أن يكون مخطئا فى الحساب ٠ ان عمره ٩ سنوات وهو يعلم ان يوم الجمعة هو يوم الشغل . . ان يوم السبت هو اجازته التى يصوم فيها بعد أن يزوره الطبيب ويعطيه الشربة لغسل امعائه ٠ الشربة رقم ٣٨١ بعد تسع سنوات عاشها فى الحديقة ٠

صحيح انه لم يكن يعرف هذه الشربة زمان ٠٠

كان يعيش حياته المثيرة وسط الغابة ٠ لا يعلم أنه حر لانه كان حرا فعلا ٠٠ كل ما يعلمه أنه كان يخرج كل يوم . وتضغط أرجله على الارض وهو يمشى ٠٠

صحيح أنه يمشى فى هدوء . . لكن موجة الرعب كانت تسبقه ٠ طيور الغابة التى تصرخ فوق رأسه لتنبه الوحوش . القرود التى تتواثب على الشجر فرارا من وجهه . . الغزلان التى تسبق الريح امامه .

كل شىء فى الغابة حتى اشجارها العمـــلاقة كان يرتعش وهو يمشى ببطء ، وكان هو ينتقى فريسته ، لم يكن يجرى وراءها ، كانت عظمته تسبقه اليها وتشلها ٠ وجاءت الى الغابة وجوه غريبة ٠

لم يكترث لها الاسد ٠٠ كان يعلم انه اقوى ٠٠ بعد أن

مشت هذه الوجوه .. كان هو وسط الشباك لايعرف كيف يخرج ٠

ووصل الاسد الى حديقة الحيوان فى الجيزة . اشترته الحديقة ٠ اكتشف انه كان ٠٠ حرا ٠٠ وهو يتأمل القضبان السوداء التى تحيطه ٠

شهور طويلة وهو يضرب القضبان بيديه ويصرخ ٠ ثم آلمته يداه ٠

شهور طويلة وهو يخدع نفسه بأنه حر ٠٠ ان هذه القضبان لم توضع من أجله وانما وضعت للناس الذين يتفرجون عليه ٠ واكتشف انه يخدع نفسه ٠

شهور طويلة وهو يقف وراء القضبان وينكس رأسه ويحلم بأن تذيب الشمس حديد القضبان ليخرج ، والشمس لا تطاوعه .. والوقت يضغط عليه .. وهو بكل كبريائه الحزينة يقف ساعات بلا حركة . . ومرت سنوات ٠

فقد حنين روحه نحو عالم بلا قضبان ٠ لم يعد يحس انه سجين . فقد احساسه بذاته ..وبدأ يتناول الحياة ببساطة كما تتناولها القرود فى القفص المجاور ٠

ومرت سنوات ٠٠

وبدأ يصنع لنفسه اهتمامات جديدة ٠٠ لم يعد يحلم بحريته ٠٠ انه الان أكثر سعادة ٠ زمان كان يجرى وراء غذائه .. ويصيبه المرض فلا يعبأ به أحد .. ويقاوم دائما مع عناصر الطبيعة قوة الوحوش فيها ٠

والان يأتيه الغذاء فى مواعيد منتظمة ٠٠ ويزوره الطبيب كل يوم ٠ ولا يؤذيه أحد ٠

اصبح متمدنا . لم تعد تواجهه مشاكل تحتاج للقوة لحلها ٠٠ أصبحت كل مشاكله نفسيه ٠

كان يريد صديقا جواره ولم يجد غير حارسه فصادقه ٠٠ خلاص ، لم يعد يريد أن يخرج ٠٠ انه لا يعرف مكانا يذهب اليه لو خرج ٠٠ وهو لا يضمن الا يدهسه الترام أو يخبطه اوتوبيس مسرع ٠

وعرفه كل زوار الحديقة كأطيب أسد فيها ٠ هذا رأى طبيبه الخاص الدكتور محمد عبد الرحيم ، وهذا رأى حارسه الخاص ٠٠ هذا رأى الاطفال الذين يمزحون معه ويدخلون ايديهم وسط القضبان لتخويفه ٠٠ هذا رأى الكبار الذين يتسامح معهم ويتركهم يقذفونه بالسوداني وزلط الحديقة الصغير .

وجاء يوم الاثنين ٠

تجمع الاطفال حول قفصه ٠ وقف الكبار يتفرجون عليه . بدأ هو يحس أن الهواء حوله ينفد . ان الوجوه تتلاصق وتتجمع وتحجب عنه الفضاء الفسيح الممتد . واندلع في نفسه ٠٠ ربما لثانية ٠٠ احساس مر وغريب بأنه يقف وراء القضبان ٠٠ ان كل الناس خارج القضبان أحرار تذهب وتجيء .. وخفض رأسه .

شهد الطعام والحارس يمد يده اليه به ، هذا الطعام مر مأساته ، انهم يطعمونه ليتفرجوا عليه ويقزقزون اللب ويضحكون ويتكلمون وهو يختنق .

ولا يحسون انه يختنق ٠

وأمتدت اليه يد الحارس بالطعام ٠

الناس تتمايل وتضحك وتثرثر وتصيح وهو يختنق ٠٠ وهجم على اليد ٠

• • • • •

اليوم الجمعة ٠٠

يوم الشغل ، وغدا يأخذ الشربة رقم ٣٨٢ ٠

شـــقاوة

صابر ·· واد يا صابر
هكذا بدأت القصة
والقصة تتكرر كل يوم ، وهى عادة تبدأ بزعقة تقول : واد يا صابر ، ثم تنتهى بأمر يقول : خد الكسرونة وروح هات الفول ·

والحقيقة أن صابر أحس بالسعادة أول مرة قالوا له روح هات الفول ··

كان يتصور أن هذا مشوار كبقية المشاوير التى يؤديها ·· خمس دقائق لشراء الفول وجنبها نصف ساعة من اللعب ··

ثم اكتشف أول يوم ذهب يشترى فيه الفول انه مخطىء فالدنيا رمضان ، ورمضان كريم ، والكرم يصيب بائعى الفول فيضاعفون الكمية خمس مرات ، والكرم يصيب الصائمين فيضاعفون ما يشترونه ست مرات · وبين خمسة أضعاف الفول .. وستة أضعاف الرغبة الشرائية ، كانت قدر الفول الثلاثة غارقة وسط زحام لم يستطع صابر تعليله لسبب بسيط ·

انه لا يفهم فى الاقتصاد · كل مافهمه ان هناك أكثر من ٣٠ طفلا ورجلا وامرأة وحرب ساخنة بين الحلل والكسرونات والسلطانيات ، ومحـــاولات طفلة لاحتلال مراكز استراتيجية جوار كبشة الفول التى تندس وسط القدرة ثم ترتفع بسرعة الصوت لتفرغ حمولتها فى طبق أو كسرونه ·

وقد ظن صابر أول مرة ذهب يشترى فيها الفول انه يستطيع بذكائه أن يندس وسط هذه المعركة ويقترب من قدرة الفول بلا اصابات ثم اكتشف خلال محاولته أن أكثر من يد تمتد وتجذبه من قفاه ، وأن اقداما كثيرة تركله ، وخرج من المعركة والكسرونة فارغة · وانتظر حتى ذابت ثغرة فى الزحام واندفع منها كالقذيفة وكان الفول قد نفد . وعاد بعد ساعة كما ذهب ، ولم يصدق أحد فى البيت انه حاول فعلا أن يشترى الفول ، اتهموه بأشياء كثيرة كان ابسطها حكم نهائى عليه بأنه

ـــ واد مش نافع فى حاجة !

• • • • •

لهذا السبب لم يتحمس صابر كثيرا عندما سمعهم يزعقون عليه

ـــ صابر .. واد يا صابر

كان يعلم ان هذه مقدمة سوف ياتى بعدها الامر الذى يقول خد الكسرونة ورح هات الفول ، ولم يكن يريد ان يبهدل نفسه، ولهذا تظاهر بأنه لم يسمع ، وتكرر تجاهله له ، ثم غلبوه أخيرا على أمره وسحب هو الكسرونه ونزل يشترى الفول ·

كان يفكر خلال الطريق الى البائع فى نفسه ...

ان عمره الان عشر سنوات ، وهو يعمل خادما منذ عامين ·· وقد اكتسب فى العامين خبرة معقولة أصبحت تريحه فى عمله ·

فهم نفسية الذين يعمل معهم ·

فهم ان الست الحاجة لا تطلب منه أكثر من التقوى ، ان يسمى مثلا عندما يبدأ عمل شىء ، ان يكون طيبا لا

يجر شكل البواب أو بقية خدم العمارة ، وهذه كلها أشياء فى استطاعته ·

فهم أيضا أن الاستاذ سيد يشك فى أمانته · .

ـ بقى المرتدلة دى بتلاتة صاغ .

ـ أصل البقال حرامى ، ده حتى الناس بتقول انه بيبنى عمارة

ـ بيبنيها فين يا واد ··

وينزلق الحديث الى العمارة وتضيع حكاية الشك فى لمانته ·

أما سيدته سنية فهى هادئة وطيبة وفى حالها ، وطلباتها محدودة

لم يبق اذن غير ممدوح وعاطف ...

والعلاقة بين ممدوح وبين صابر محدودة ، فمعظم أيام ممدوح يعيشها بين السحاب والارض كطيار عربى ويبقى عاطف بعد ذلك ، وشخصية عاطف تحير صابر كثيرا ، بصراحة ·· فشل صابر فى فهمه ·

ان عاطف يدرس اللغة الالمانية منذ عام وقد أبدى استعدادا طيبا لتعليمهذه اللغةلصابر ، وعرف صابر أن يذهب لسيدته ويقول لها كل صباح :

ـ جوتن مورجن يا ستى

والعبارة معناها صباح الخير ··

ورغم هذا التقدم الخطير ·· فان صابر لا يلقى الشكر الواجب من عاطف ، على العكس ، أحيانا كثيرة يحرجه عاطف ويسأله سؤالا بالالمانية ويفضح جهله أمام الناس، وقد حاول صابر ان يعرف معنى أى كلمة المانية يمكن استخدامها كشتيمة ليمارس بها شقاوته على البواب

وبائع الفول ، واكتشف أن اللغة الالمانية التى يدرسها عاطف لا تضم أى نوع من الشتائم ·· وكره هذه اللغة ·

· · · · ·

ـ بأربعة صاغ فول ·

أخيرا وصل لبائع الفول

وامتدت الكبشة من القدرة الى الكسرونة ·· وامتدت يد صابر بجنيه ونظر بائع الفول الى الجنيه .

ـ ما عنديش فكة ·

ـ طيب بس شوف

ـ الله ·· بقول لك ما عنديش فكة

ـ طب دور شوية

ـ استغفر الله العظيم .. يا واد انت ماعنديش فكة

ـ طب بس شوف

ـ الله ··

وتأزم الموقف ·· ارتفعت أصوات الاحتجاج ·· هاصت الزحمة وبدا واضحا أن بائع الفول صائم .. وان صابر لا يفهم هذه الحقيقة

وتدخل أولاد الحلال وبحثوا عن فكة ·· وحلت المشكلة ·· وعاد صابر ومعه كسرونة الفول وبقية الجنيه داخل جيبه ·· سار قليلا وهو يتسكع بنظره فى الشارع ثم وجد الشلة واقفة تلعب الكرة ·

كان فريق الرعب الاصفر يلاعب فريق اليد السوداء ، وكان الرعب الاصفر مغلوبا على أمره منذ يومين ، وكانت المباراة الحامية بينهما قد افسحت ثغرة للرعب الاصفر ليهجم منها على جون اليد السوداء ، وكانت الكرة الشراب تقترب من جون اليد السوداء وتكاد تدخله

مسجلة هدف النصر الاول والاخير ، ماسحة عار الهزيمة التي منى بها الفريق منذ يومين .

كان واضحا أن الكرة ستدخل الجون . لا شك فى ذلك . ولا أحد يفهم السر فى تصرف صابر . لقد وجد الكرة قريبة من قدمه فرفع كسرونة الفول فى يده قليلا حتى لا تهتز واستجمع قواه وشاط الكرة .

شوطة طويلة ابعدتها عن هدفها المحقق .

وباظ اللعب .. وجرى الولد الصغير ووراءه كل فريق الرعب الاصفر .

وعاد صابر هذه المرة بالفول مبكرا على غير عادته . ولم ينزل طوال المساء الى الشارع ، ولا زال بينه وبين فريق الرعب الاصفر ثار لا يعلم الا الله كيف تكون نهايته .

البــونجز

الساعة١٢ مساء وهو لم يأت بعد . صمت حزين فاتر يخيم على الجالسين فى انتظاره ٠٠ أكثر من سؤال
– يا ترى جرى له ايه ٠٠ أصلها مش عادته ٠٠

أخيرا جاء ٠٠ دق جرس الباب وفتحوه له ودخل ٠٠ زحفت أكتر من ابتسامة لاكثر من وجه . .ضمن كل واحد فيهم أنه سيضحك حتى يقع من فوق مقعده ٠٠ كل الليالى التى جاء فيها عبد الحميد راشد كانت ليالى ضاحكة ٠٠ وأيضا حلوة ٠

فكما يقف .. دارتنيان .. فى ميدان الفروسية .. ليبارز الفا .. كذلك يقف عبد الحميد راشد فى ميدان النكتة ٠٠

لم يحدث مرة واحدة فى حياته أن نافسه أحد ولم يهزمه . لم يحدث مرة واحدة فى حياته أن نسى ابتسامته . حتى الساعات الحالكة من عمره كان يذيبها فى ابتسامته ٠

ولكنه الليلة غريب .

لم يصافح أحدا من الجالسين كعادته . . لم ينكت اول ما دخل ٠٠ اختار أول مقعد صادفه وجلس ٠٠ انكمش داخل روحه ووضع حقيبته الصغيرة فوق صدره ٠٠

ومرت لحظات ثقيلة ٠٠

وتكلم من الجالسين واحد ٠٠

– انت جايب ابنك معاك برضه ٠٠

وضحك الجالسون ٠٠ فهموا ما يقصده صاحب الكلام .. فعبد الحميد راشد فنان يضرب الرق . .

وعلاقته بالرق الذى يحمله فى الحقيبة الصغيرة تشبه علاقته بابنه ..

نفس الحب ونفس الحنان ونفس المشاعر الخائفة .

ومرت لحظات ثقيلة .. لم يرد عبد الحميد راشد .. ظل مختبئا داخل نفسه وهو يفكر فى بناته الثلاث وولديه .. كيف ينقل اليهم الخبر .. ماذا يقول لهم ؟

هل يقول أن الفرقة التى يعمل فيها ستغير اسمها الى اوركسترا .. لن يفهم أحد الا أن هذا مجرد تغيير للاسم .. وهذا صحيح بالنسبة للفرقة .. اما بالنسبة له فهذا يعنى ملايين الاشياء .

وتكلم عبد الحميد راشد ..

قال للجالسين حوله :

ـ تسمعوا حاجة ..

ولم ينتظر الرد .. مد يده الى الحقيبة الصغيرة واخرج الرق .. مال بوجهه الى الامام .. كان وجهه شاحبا .. وضع الرق فوق ركبته ليسخن قليلا ثم أمسكه وبدا يضربه بأصابعه .

واستمرت اصابعه تضرب الرق ، واستمر وجهه جامدا وشاحبا .. لم يبتسم كعادته وهو يعزف .. لم يتحرك وجهه حنانا وهو يضرب .

ظل وجهه شاحبا وجامدا .. ثم سكتت أصابعه فجأة ..

فتح فمه كأنه يهم بالحديث وسكت ، ومرت لحظات ثقيلة .. وتحدث عبد الحميد راشد ..

ــ كويس الرق .. بيضرب كويس .. أصله مهم .. مش اكمنه صغير يبقى مش مهم .. لا احنا اتعلمنا ان الرق فى دنيا الموسيقى هو أصل النونة ، والرق يعزف

الروند ، والرق كامل المقامات والاوزان العربية يعنى يقدر يشتغل فى الرومبا والسامبا غير شغله الشرقى الاصلى .

ليه يستغنوا عن الرق فى الفرقة التى يشتغل فيها .. أهو ده اللى مش فاهمه .. تسمعوا حتة لام كلثوم .

اسمعوا الحتة دى لام كلثوم .

وعاد يحتضن الرق .. ويضربه بأصابعه .. وخرج اللحن جامدا كوجهه .. وأيضا بلا روح .

ومرة ثانية سكتت أصابعه فجأة .. وعاد للحديث ..

ـ الفرقة اسمها فرقة موسيقى .. تعرفوا همه فكروا فى ايه .. آل يغيروا اسمها من فرقة لاوركسترا .

وكلمة فرقة دى شرقى .. يعنى فيها رق .. انما كلمة اوركسترا أفرنجى .. يعنى ما فيهاش رق .. يعنى استغنوا عنى ..

وسكت عبد الحميد راشد فجأة كما تكلم فجأة .. كان يفكر فى سر مأساته .. فى البونجز ، فى الالةالموسيقية التى يسمونها البونجز .. فى الطبل اللعين الذى يمكن أن يحل محل الرق ..

وعاود حديثه بعد لحظات كأنهلم يصمت .

واستغنوا عنى ليه ما تفهمش .. دلوقتى يجيبوا البونجز .. ودى حاجة برانى زى الشلن البرانى .. تمام .. الله يسامح اللى دخلها فى التخت بقه .. آه هو عبد الوهاب .

أغانى عبد الوهاب اللى هى ٢ من ٤ ..

طبعا حافظ كل حاجة وعارف كل حاجة ..

اغانى عبد الوهاب دى فيها بونجز .. وهى اغانى كويسة وعال .. انما فيها بونجز .. طب والله العظيم

البونجز ده ماهو الا عربة من حاملات الدبش وعجلها مخلع أو مخلخل ·· عربة يجرها بغل ·· خليها عربية فصحى .. وسكت قليلا .. أطلت من ملامحه شبه ابتسامة لم تبق غير ثوان ثم ماتت فى الشحوب الذى غطى وجهه ·· وعاد ينظر للجالسين حوله ·

ـ أنا اللى غلطان ·· أنا أصلى من حملة كفاءة المعلمين الاولية .. يعنى كان زمانى مدرس أد الدنيا .. هويت الرق ·· حبيته زى واحد من ولادى وأكثر ·· وآدى النتيجة . اكونش أنا معطلكم عن شغلكم والا قطعت حديثكم والا حاجة ·

وتكلم من الجالسين واحد · ·قال :

ــ أنت الليلة دى دمك تقيل ليه يا راشد .. انت حتقول لنا تاريخ حياتك والا ايه ؟

وسكت راشد ·

ومرت لحظات ثقيلة .. مد يده الى الرق ووضعه داخل الحقيبة ··

وضع الحقيبة جواره وجلس ·· لم يدر ماذا يفعل فمد يده فى جيبه واصطدمت أصابعه بورقة قديمة أطرافها ممزقة .. وأخرجها وبدأ يقرأ : كراسة رسم طباشير .. علبتين ألوان .. كراسة ورقة بيضة وورقة مسطرة للطبيعة ·· قلم رصاص ·· مثلث ·· ووصلت عينه نهاية الورقة .. وعاد وجهه يشحب .

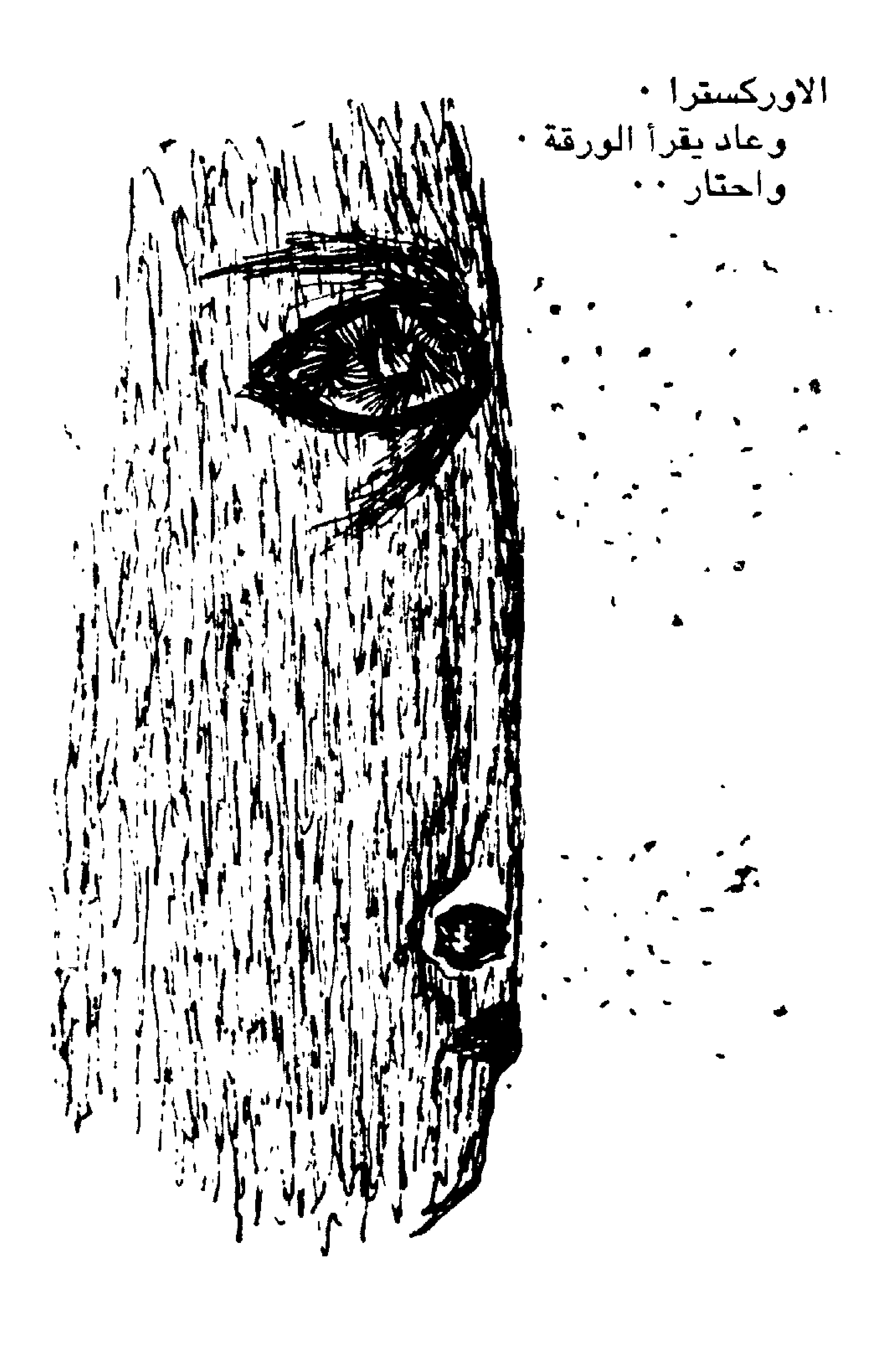
هذا ما طلبته منه ابنته الكبيرة ··

غداً وبعد غد ·· لا يعرف ماذا يقول لها لو كتبت له ورقة ثانية بطلبات ثانية ··

هل يشرح لها حكاية البونجز ··

هل يقول لها الفرق بين كلمة الفرقة وكلمة

الاوركسترا ٠
وعاد يقرأ الورقة ٠
واحتار ٠٠



مختـــار حسين

كلما ازداد عدد الذين يهزون رؤوسهم بشأن مسألة من المســـائل كان ذلك دليلا على أنهم لا يفهمون بشـــكل واضح المسألة التى يهزون رؤوسهم بشأنها ·

وقد اختلفت هزات رؤوس النـــاس عنـــدما أعلن فى رمضان الماضى أن رمضان ينتهى اليوم ·· وأن العيد يبدأ غدا ·· وبذلك نقصت أيام الصيام يوما وتقدم العيد يوما ··

وقد هز كثير من الناس رؤوسهم عندما اعلنت الاذاعة الخبر ·· راقب الاطفال مناقشات الكبار حول هذا الموضوع ·· وأحسوا بفرح لا يعنيه غير شىء واحد ·

ــ بكره العيد مش بعد بكره ..

وهز الكبار رؤوسهم وتحدثوا عن الهلال الذى ظهر واختفى على غير عادته ··

تحدثوا عن علم الفلك والتقدم الذى احرزه .

هز أصحاب المحال رؤوسهم وهم يتساءلون : هل يغلقون المحال غدا أم يفتحونها للبيع ..

وهكذا اختلفت هزات الرؤوس ·· وكثر عدد الذين يهزون رؤوسهم بشأن هذه المسألة ·

● ● ●

وفى محل المكوجى الصغير الذى يقع جوار بائع عصير القصب .. هز صاحب المحل رأسه بغضب .

لم يكن يفهم شيئا ··

أحس أن أحدا خدعه ·· فهناك على الرفوف والدولاب

كانت مئات الملابس ترقد مكرمشة ولم تكو بعد ··
كان المفروض أن تسلم هذه الملابس غدا ·· يعنى يوم الوقفة ·· فاذا بالوقفة ترجع يوما الى الوراء ·· واذا بالعيد يقفز يوما الى الامام ·· واذا بالاذاعة تسجل هذه القفزات واذا بكل هذه الهيصة تقع فوق راسه وحده .
المفروض أن هذه ملابس العيد ·· والعيد غدا ··
وصرخ فى صبيه وهو يكمل تفكيره بصوت مرتفع :
ــ يعنى الناس عايزه هدومها النهارده .. واد يا حسين .. سخن المكاوى كلها ونضف الطرابيزة وموت بقه على بال ما تسخن لك مكوى ·
كان حسين يعلم بذكائه الذى منحته له الحياة فى عشر سنوات أن العيد عند صاحب المحل غالبا هو الهنكرة .. وبدا يجرى من أول المحل لآخره .. ولا يفعل شيئا ذا قيمة ··
ولاحظ الاسطى الكبير هذه الحكاية ·· وصرخ فيه :
ــ بطل هنكرة وشوف شغلك أحسن أكسر عضمك ··
بعدها سهر نور المكوجى حتى الصباح ··
وجاء أول يوم العيد ··
وبدا صبى المكوجى يوصل ملابس الاطفال الى البيوت ··
ــ كل سنة وأنت طيب ·· يا أستاذ ··
تلك كانت كلمته التى يقولها لكل طفل قبض عيديته ·· وكانت كلمة (أستاذ) تنفذ للطفل وتفعل فى نفسه شيئا كالسحر ·· فكل الاطفال يحلمون أن يكبروا فجأة ·· وكانت هذه الكلمة من طفل تجعلهم يكبرون فجأة ··
والذى كان يحدث بعد ذلك أن يمد الطفل يده لصبى المكوجى قائلا :

ـ طب خد عيديتك أنت راخر ··
ويمنحه قرش صاغ أو تعريفه ·
ويطير صبى المكوجى للمحل ومنه لبيت آخر ·

● ● ●

على الساعة ١١ كان صبى المكوجى يضع يده فى جيب الجلابية ويحتضن داخل أصابعه ستة قروش ونصف ·

انتهى الشغل .. وخرج الصبى الى الشارع فى نفس اللحظة التى خرج فيها مختار حسين الىالشارع .

كان مختار يسير ببطء ··

وكان يحس احساسا غريبا بالعيد ·· الناس الذين يملاون الشارع كانوا أمام عينيه غرباء ··

وجوه غريبة لا يعرفها هو ··

على أيامه لم تكن القاهرة قطعة من الزحام ·· كان الترام يقف وسط المحطات اذا أشار له واحد ·· وكانت الوجوه مألوفة وصديقة ·

ثم تغيرت الدنيا ·· تغير كل شىء فيها حتى أصبح احساسه بالغربة شيئا كثيفا يكاد يملا نفسه ·

وبدا مختار يتأمل المراجيح والاطفال والالوان والشارع ·

أخيرا وقع نظره على شلة من الاطفال تقف أمام طاولة صغيرة وأحد الاطفال يمسك بندقية وينشن على نقطة سوداء فى الطاولة ··

وجوار النشانجى كان بائع المثلجات يقف ونصف عربته ثلج ·

وتأمل مختار المنظر قليلا ثم عاد يستدير برأسه ويتأمل الشارع ·

ووصل صبحى المكوجى فى هذه اللحظة الى بائع النشان ·

من الساعة التى وضع فيها النقود فى جيبه وذهنه مشغول بملايين الافكار والاقتراحات ··

كل أفكاره واقتراحاته كانت تدور حول عيديته ·· كيف ينفق عيديته ·· فكر أن يشترى رغيفا من العيش الفينو وقطعة حلاوة .. فكر أن يذهب الى السينما .. فكر أن يلعب النشان ·· فكر فى شراء بمب ·· فكر أن يسافر الى القناطر ·

وكل مرة كان يصل فيها لنهاية التفكير كان يتراجع وتحتضن أصابعه العيدية ·

اخيرا وقف أمام بائع الكازوزة ·

وذاب كل تردده ·

ـ هات قزازة بيبسى مثلجة ··

بعد لحظات كانت زجاجة البيبسى تستقر فى جوفه ··

ومسح فمه بيده وعاد يقول للرجل ،

ـ كمان قزازة ··

وشرب أربع زجاجات ·· نسى أفكاره ونسى مشروعات السفر ونسى البمب ونسى كل شىء ·

دفع ستة قروش واستدار ليمشى ·

فى نفس هذه اللحظة صرخ فيه بائع النشان :

ـ أنت يا واد انت ·· فين تمن النشان اللى انت ضربته ··

ـ انا ما ضربتش حاجة ..

ـ انت حتنصب على يا واد ··

ـ والله العظيم ما ضربت حاجة ··
طب والمصحف الشريف ما ضربت حاجة ··

وامتدت الايدى وأصبح للزحام صوت ·· وسار مختار حسين ·· كان قد لاحظ عدد زجاجات الكازوزة التى شربها الولد وكانت هذه الحكاية تدهشه ·

سار مختار حسين حتى أصبح وسط الزحام ·

ـ أوعى سيبه يا واد ··

ونظر الجميع للقامة العملاقة ·· تأملوا الوجه الصلب وعرفوا فيه مختار حسين ·

وقفزت كل صور البطولات لادمغة الاطفال وأسرعت لدماغ بائع النشان ·

قال مختار بهدوء :

ـ أنا شايفه ما ضربش نشان ولا حاجة ·

واستسلمت يد بائع النشان .. تراخت أصابعها عن جلباب الولد .. وساد صمت .

وسار مختار حسين ·· تبعه صبى المكوجى عن بعد ··

خيل اليه أن كل شىء فى الشارع صديق ··
ضاع احساسه بالغربة ··

عكاشـــة

الساعة ١٢ تماما · وقع الحادث الصغير فجأة ..
كل شيء هادىء فى ميدان الاوبرا ..
ثم بدأت احدى السيدات تعبر الميدان · وصلت الى منتصفه فى نفس الوقت الذى وصلت فيه عجلة مسرعة الى منتصفه ·
ووقع الحادث ··
احتكت العجلة بقدمى السيدة . اختل توازنها وهوت على الارض ·
امتدت يد راكب العجلة لتمسك يدها . لم تستطع ان تمسكها الا وصاحبتها على الارض ·

وصرخ طفل كانَ يعبر الشارع ..
وفعلت صرخته شيئا غريبا ·

نفذت لحركة الميدان فشلتها وكما يحدث احيانا فى شاشة السينما عندما تتوقف آلة العرض فتجمد المناظر على الشاشة ·
كذلك حدث فى ميدان الاوبرا ··
توقف كل شيء فجأة ..
انضغطت فرامل العربات وهى تصل لمنتصف الميدان ··
استدارت رؤوس كثيرة ·

جرى نحو البقعة ناس كثيرون كل واحد على فمه تمتمات تقول :
ـ لا حول ولا قوة الا بالله ·· خيرا

ـ حصل خير

قالها الشيخ عبد الحميد عكاشة وهو واقف وسط زحمة الميدان ·

ان كل شيء حدث بسرعة لم يفهمها هو .. انه لم يعد يفهم اشياء كثيرة فى هذا العصر .

مثلا : لم يعد يفهم هذا الاعلان الذى يقول

أوبريت العشرة الطيبة ·· المسرحية الغنائية الخالدة ·

وينظر هو فى الاعلان ·· يغوص فيه بعينيه ·· ويغوص داخل ماضيه ··

زمان .. كان للشيخ عبد الحميد عكاشة اعلان كهذا الاعلان ··

اكبر من هذا ·

لا يفكر فى الاعلان هذه المرة ·· انما يفكر فى نفسه هو سنة ١٩٠٠ .

والقرن العشرون يولد ، والشيخ سلامة حجازى أستاذ التمثيل والغناء والتلحين ، وهو يعبد الفن ويصبح تلميذا للشيخ سلامة ·

سنة ١٩١٠ يسقط الشيخ سلامة حجازى امام المرض .

يسلمه الشلل للفراش والوحدة الحزينة ·· ويخلو المسرح أمام الشيخ عبد الحميد عكاشة .. ويتربع على عرشه ..

ـ كانت دنيا ··

قالها فى مرةوسار

لم يكن يسير زمان

كان يركب بعربة يجرها زوج من الخيول العربية ·
القروش الخمسون التى تشخشخ الان فى جيبه لم تكن تدخل جيبه .
زمان .. لم يكن يعرف غير الجنيهات الذهب .. الاف الجنيهات الذهب
ـ دنيا ·
والكلمة ترن داخل نفسه بغرابة
أحيانا كثيرة يحس أن هذا الزمن لم يعد ملكه .. ان الدنيا لم تعد دنياه ·
لا مكان له الان وسط هذا العصر ·
حتى السيدة الكبيرة التى كانت تذكره لم تعد تذكره ·
ذهبت روزاليوسف .
تركت له ذكريات عمر طويل وعريض ومليء عاشه معها على خشبة المسرح . كان هو يمثل دور الاعرج وكانت تمثل أمامه . مرتبها عشرون جنيها ، وهو صاحب الفرقة .
ليست وحدها التى نسيته الان ··

نجيب الريحانى ·· هو الاخر كان يمثل معه ·· مرتبه عشرة جنيهات ، وهو صاحب الفرقة .
الاذاعة هى الاخرى نسيته
جاء الشتاء ··
خلاص انتهت الشغلة ··

بدأ يحس بالبرد والوحدة فعمره الان ٧٥ سنة ··
ويستدير الشيخ عكاشه ويعود ليقف امام دار الاوبرا ·
لا شيء وراءه .. فاضي تماما فليقف لحظات ليتفرج على اوبريت العشرة الطيبة ·· يقصد ايامه التى كان

يمثل فيها نفس الاوبريت منذ ٣٥ سنة .
كانت أياماطيبة .
المليم زمان كانت له قيمته . كان نقودا يمكن أن تصرف ويمكن أن تشترى شيئا . نظرة أخيرة ألقاها على ماضيه المعلق فى اعلان .
وسار .. شاهد ذيول الحادث الذى وقع منذ خمس دقائق .
ناس تقف فى دائرة وتتساءل
ـ هو مين اللى غلطان .. الست واللا الراجل بتاع العجلة .
ودخل وسط الزحام ..
بدأ يشرح لهم ما شاهده .. قال :
ـ الساعة ١٢ بالضبط كانت الست بتعدى الشارع ..
وهى بتعدى جت العجلة جرى ..
لم يكمل كلامه .. جاء العسكرى ووقف يتأمله بغيظ .
ماتت الكلمات على شفتيه .
قال العسكرى بسرعة
ـ نجيب كراسى وتتفضلوا شاى والا ايه ؟ ماخلصت الشغلانة .. اتسعت بقعة الزحام وابتعد الشيخ عكاشه .
سار وبداخله احساس أن أحدا لا يريده . وتذكر الاذاعة واحس بالبرد وعاد يسير .

وادى اللبـــلابة

تركه الشارع ينساب منه .. مظهرا عدم اكتراثه به كان يسير ومعه احساس غريب لا يستطيع ترجمته ، أيمكن أن يكون غاضبا . ولكنه لا يحس بهذه الثورة التى تصحب الغضب .. كل مايحسه هذا النوع من المرارة الهادئة التى تولدها الحياة فى النفس عنـدما يصـبح الانسان وحده ..

وهو وحيد .. وكمـا تحس المرأة أنها بغير الحب تصبح وحيدة كذلك يحس الرجل بغير عمل أنه أيضـا وحيد ..

ومنذ أربع سنوات وهو بلا عمل ، صحيح أن الاستاذ محمد فؤاد عفيفى موظف فى الحكومة ولم يفصل بعد ويقبض مرتبه اول الشهر ولكنه رغم هذا كله بلا عمل

وعاد يجيل نظره فى الشارع الذى يعبره ..

لا شىء فى الطريق .. لا شىء يرحب به أو يظهر لهآية واحدة من آيات الصداقة ، وعاد يعتريه شعور بأن كل شىء يهجره ويخونه .

وانطبع فى نفسه فجأة ، أحساس ممزق بأنه بلاعمل وهو يذكر تماما قصة الحادثة التى وقعت فى حياته وجعلته بلا عمل ..

بدأت الحادثة هكذا .

منذ اربع سنوات وصلت شكوى تتحدث عن الرشوة وتتهم مايسمونه بكبار الموظفين فى مصلحة المناجم والمحاجر . أيامها كان محمود يونس ــ رئيس هيئة القناة

الان مستشارا للثروة المعدنية واحيلت اليه الشكوى ووقع اختياره على المفتش الادارى بوزارة التجارة لتحقيقها ·

والمفتش الادارى هذا هو بطل قصتنا الصغيرة ·· محمد فؤاد عفيفى الذى تركه الشارع ينساب منه مظهر؛ عدم اكتراثه به ·

المهم ان محمد عفيفى قام بتحقيق مبدئى وجد بعده ان الحكاية أكبر من أن يتولاها وحده .. .فقد كانت هناك اتهامات صحيحة وكانت هناك رشاوى .

وتألفت لجنة لتحقيق الشكوى

وكان احد اعضاء اللجنة ···

من يومها بدأت متاعبه . واكتشف ان هناك ٢٠ الف جنيه مفقودة .. من محاجر وادى اللبلابة بالعباسية .
كان المفروض ان تذهب هذه النقود لخزانة الدولة ··
ولسبب ما لمتذهب ولمتعتذر . اكتشف أنشركة ما . عليها ١٦٠ الف جنيه للحكومة والشركة مصهينة تماما وليس هناك من يتحرك ·
كان هذا منذ سنة وتطورت الحوادث بعدها ..

قدم تقريره الذى يتهم فيه بعض الموظفين ·· ولم يناقش تقريره ·· ثم عين محمود يونس فى القناة ·· وبقى محمد فؤاد عفيفى وحده امام الموظفين الذين اتهمهم ·

لهذا حدث بعد التأميم بثلاثة أيام .. ان صدر قرار بندب المفتش الادارى محمد فؤاد عفيفى الى مصلحة الكيمياء ·· ومع قرار الندب وصل خطاب سرى يقول « على الا يعهد اليه بأى عمل »

وبدأت متاعبـــه من يومهـــا ... بدأوا ينقلونه من مصلحة الى مصلحة .. من مكان الى مكان ومن عمل الى عمل .. سحبت منه الدرجة الخامسة .

نقل الى مصلحة الكيمياء .. ثم مصلحة التسجيل التجارى .. ثم مصلحة السياحة ثم مصلحة القطن بالاسكندرية واخيرا الى مصلحة التسجيل التجارى .

وكان من أثر هذه التنقلات المتتالية المتعاقبة .. عدم اسناد اى عمل جدى اليه مماترتب عليه عدم كتابة تقارير سرية عن عمله .. وبالتالى عدم منحه العلاوة الدورية سنة ١٩٥٨ .

وفهم ان الايدى التى اتهمها بأنها تمتد لاموال الدولة هى التى نحركه الان كقطعة الشطرنج وهى التى تتحكم في مصيره .

لم يبتلع غضبه وثار .

واستطاعت ثورته أن تعيد اليه الدرجة التى سحبت منه .. كما حصل على علاوته الدورية .. ولكنه لم يستطع ان يوقف نقله المستمر الدائم من مصلحة الى مصلحة وكان يشعر انه بلا عمل .

وكان هذا يؤلمه فيتصل بمدير المصلحة ويشرح شكواه فيعهدون اليه بعمل .

وهنا تقع مصادفة . والمعروف أن كتاب القصة الكبار لا يلجأون الى المصادفة ولكن ماذا نفعل اذا كانت الحياة احيانا تصبح أكثر تفاهة واصغر من كتاب القصة ..

حدثت مصادفة فى حياته .

نفس حكاية وادى اللبلابة والعشرين الف جنيه .

كان يعثر على مخالفات فى المصلحة التى يعمل بها

فيبلغها بتقرير يضع امضـــاءه عليه الى المسئول عن المصلحة .

وتعود الحرب تعلن عليه من رؤسائه .. وينقل . وظلت الحياة تدفع بالمصادفات فى حياته حتى كادت تدفعه للانهيار العصبى والجنــون .. الامر الذى جعــل القومسيون الطبى يمنحه مائة يوم أجازة ..

فالرجل بصراحة يكاد يفقد أعصابه .. وهو بصراحة ايضا كثيرا مايتوقف خلال سيره ويقول لنفسه بصوت مهموس :

ـ اذا كنت كذاب يرفدونى وان كان كلامى مظبوط ما فيش داعى للبهدلة دى .

ويحس أن كلامه منطقى ومعقول .

ويرتاح ..

ويسير والشارع يتركه ينساب منه مظهرا عدم اكتراثه به ..



مدرس الحســاب

الدنيا برد ··

والشوارع التى تؤدى الى المدرسة تلمع ·· والمطر توقف من ساعة .. وهناك بقعة مغطاة من الزحام لناس يتجمعون حول شيء ·· وطلبة المدرسة يسيرون جماعات فى طريقهم الى المدرسة ·· وبائع الفول جبر ·· والفول الساخن يصنع فى بطون الاولاد شيئا من الدفء ·· لكنه دفء ناقص لا يصل لاطراف أصابعهم التى تجمدت من السقعة .. ودنيا التلاميذ الصغار كدنيا الكبار مليئة بالمتاعب واللامبالاه ·· والسعادة ·· وهناك تلاميذ سعداء لان أول حصة هى حصة الالعاب ·· وهناك تلاميذ تعساء لان أول الحصص هى العربى ·· ومعظم التلاميذ لا سعداء ولا تعساء انما يتوجهون الى المدرسة كل يوم لان الكبار يرغمونهم على ذلك ·

وفى صباح هذا اليوم ·· كان بين تلاميذ المدرسة فصل كامل لا يحس بالسعادة ولا يشعر بالتعاسة ، ولا يستمتع بنعمة اللامبالاه ·· كان هناك فصل كامل يسير وسط موجة باردة من الخوف ·

ان الحصة الاولى امتحان فى الحساب ، ومدرس الحساب محمد أفندى رجل مكروه ، ويعلم انه مكروه ، ولا يهمه أنه مكروه · ان الحساب لابد أن يكون هكذا ·· ان الحساب هو أهم شيء فى هذه الحياة ·

ـ صباح الخير يا محمد أفندى ·

رفع محمـــد افندى راسه بسرعة نحو مصـــــدر

الصوت ·· رفع رأسه ثم سحبت عينه بريقها الذى أطل منها لحظة ·· وعاد برأسه الى الشارع الملآن بالطين والحفر ·

ـ صباح الخير ··

قالها محمد أفندى بصوته الخفيض وعاد يسير وعيناه على الارض ·

وهناك احتمال أن تنزلق قدمه فتسقط بدلته على وجهها ·

والبدلة جديدة وربع ثمنها لا زال ساخنا ، وثلاثةأرباع الثمن لم تزل أقساطا مسجلة فى كمبيالات تتحدث عن المحاكم والفوائد وأتعاب المحامى ورسوم القضية التى سيدفعها المدين لو تأخر فى السداد ·

وتركز انتباه محمد أفندى الى الحفرة القادمة التى تبدو بلا قاع .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. هب .. وعبر الحفرة بسلام .

وسار فى الطريق اللامع وهدفه محطة الترام ·· وارتمت أمنيات كثيرة لطلبة الفصل على محطة الترام ·· أن يصاب الترام بعطل أو تصدمه سيارة فلا يجىء ·· ولا يجد محمد افندى مواصلة أخرى وتفوت الحصة الاولى وهو غائب ·

كان الطلبة اليمينيون يفكرون هكذا ..

أما الطلبة اليساريون فقد كانوا يعتقدون أن سوء الظروف الجوية سيؤدى الى حتمية الزكام والرشح والمرض ·

وكان بقية الطلبة لا يفكرون فى الموضوع لان الامتحان يمنعهم من التفكير على الاطلاق .. لكن أمنيات اليمينيين

وتقديرات اليسار ذابت كلها فى الخوف ومحمد افندى مدرس الحساب يدخل الحصة الاولى فى ميعاده .

.....

دخل محمد أفندى الفصل وهو غارق فى تفكيره .

أخرج من جيبه ورقة مطوية كان قد أعدها أمس .. ونقل منها ثلاث مسائل على السبورة .. وقال بصوته العارى المجوف :

ـ كل واحد يحل التلات مسائل دول .

بعد نص ساعة حاخد الكراريس .. واللى ح أضبطه بيغش .. وقطع كلامه وسكت .

لم يقل شيئا .. وسقط الصمت على الطلبة جميعا وراح كل واحد منهم ينقل مسائل الحساب فى كراسته وهو يحاذر أن يصنع من الريشة حسا فوق صفحة الورق . ولم يعد الفصل يسمع غير صوت حذاء المدرس وهو يسير جيئة وذهابا فى الفصل .

كان صوت الحذاء مكتوما وضعيفا .. وعلى وجهه الجلدى ألوان متضاربة تتراوح بين الاسود والفاتح والرمادى والغامق وهذا اللون الذى لا يستطيع أن يصنعه الا الزمن .

وفكر محمد أفندى أنه بحاجة الى حذاء جديد .

وابتسم وجهه الذى كان حتى الامس فى تعاسة الحجارة .

ابتسم وجهه وضرب الارض بحذائه وصرخ وعينه لا زالت على الحذاء ..

ـ انت يا ولد انت هناك ..

كان يعلم ان احدا يغش فى هذه اللحظة .

لابد أن يكون هناك من يغش .

وطارت الجملة فى الهواء وقطعت كالسيف نظرات محمود التى كان يمدها لكراسة جاره .

انكمشت نظرات محمود الذى لم يبلغ بعـد عامه العاشر .

انسحبت عينه الى كراسته وشعر وهو يرتجف أن مدرس الحساب قد رآه ·· وغادره الخوف بعد دقائق وترك مكانه للغيظ ·· لابد أن هذا الرجل يرى بظهره ·· انه لم يلتفت خلفه مرة واحدة ·· فكيف رآه ·· ثم ما هى حكاية هذه المسألة التى تتحدث عن شقة ايجارها فى السنة كذا فأصبح كذا فاذا كان هناك خفض آخر واذا علمنا أن النسبة ··

ما الذى جرى للكبار ·· ان محمود يعيش منذالامس فى دوامة ·· الناس الكبار لم يعد لهم عمل الا حكاية ايجار الشقق ·· أبوه نفسه كان يضحك أمس ·· تخلى الوجه الكئيب العابس عن جموده وضـحك . . وكان هذا حادثا فى البيت ·· وقد انتهز محمود الفرصة وأسرع لابيه وطلب بنطلونا طويلا لانه أصبح رجلا ·· واجيب طلبه فى الحال ·

الوقت يمضى بسرعة وهو لم يحل مسألة الحساب الاولى بعد ·· وعاد محمود يمد نظراته لكراسـة جاره ·· قبل أن يفعل هذا تسللت عيناه كاللص الى مدرس الحساب ·

واطمأن قليلا ·· فقد كان محمد أفندى غارقا فى تفكيره ·· كان يفكر وظهره للفصل ··

وفى الحقيقة . . كان محمد أفندى يفكر فى أنه متى جاء

الشهر القادم ٠٠ فانه يستطيع أن يزور أمه فى الريف .. ويحمل اليها الهدية التى طلبتها بنفسها فى الخطاب الساذج الذى أرسلته ، وكان خطه ينبىء أن كاتبه تلميذ لا يفرق كثيرا بين الالف ومئذنة القرية ٠

لقد أحس محمد افندى بقلبه يذوب وأمه تحدثه عن البرد الذى جاء بعد أن أكلت الدودة القطن ٠٠ وأكلت معه ثوب الشتاء ٠

ولا تنس كتير السلام لاولادك ولاتنس انى بادعى لك كل يوم ان ربنا يديك طولة العمر ويخليك لاولادك ٠٠ فارسل ضرورى قطعة الصوف عشان أمك وابعتها مع أى واحد نازل البلد أو احضرها بنفسك ويكون لك عندى خروف العيد ان شاء الله ٠٠ وربنا يخليك ٠٠ والسلام ٠٠ ختام ٠

أمك جواهر

كانت هذه نهاية الخطاب ٠٠ أخيرا أقبل الشتاء واحتاجت أمه اليه مع انها لم تحتج اليه من قبل ، وهو يذكرنى تماما أن الخطاب وصله منذ ثلاثة ايام فقراه مرتين وغرق فى الاسى ٠

ثم انفجر الخبر أمس واكتشف أن ايجار شقته قد انخفض ٠٠ وهزته فرحة انسان كان يغرق ٠٠ وامتدت اليه يد سمراء تشده الى الشاطىء ٠٠ وبدا وسط فرحته يبحث عن عقد الايجار .. ومضى نصف ساعة وهو يبحث عنه حتى وجده ٠٠ واكتشف أنه لم يقرأ العقد قبل ذلك مرة واحدة ٠

وراح محمد أفندى يقرأ مواد العقد بنفس المتعة التى يعد بها نقوده فى أول الشهر ٠

وتزايدت دهشته وهو يقرأ أشياء غريبة فى مواد العقد .. ممنوع ادخال الحيوانات المستأنسة الى الشقة .. ممنوع تشويه النوافذ والبلكونات عن طريق نشر الملبوسات .. ممنوع غسل الاراضى الخشبية بالمياه .. مسموح لصاحب العمارة أن يدخل الى المكان المؤجر في أى وقت .. وتمضى عين محمد أفندى حتى تصطدم بأغرب ما فى العقد .

قرأ محمد أفندى .. يقر المستأجر .. الذى هو محمد أفندي شخصيا .. يقر المستأجر أن استعمال المصعد هو مجرد تسامح من قبل المالك للمستأجر وأن الانتفاع به لا يدخل فى تقدير القيمة الايجارية .. وبالتالى لا يمكن اعتباره حقا مقررا فى العقد وانما هو من باب التيسير على مستأجرى الادوار العليا .

وغاص قلب محمد افندى فى قدميـــه كما يقولون فى التشابيه المبتذلة .. انه يسكن فى الدور الثـــامن .. وعمره ٤٦ سنة .. ولو توقف المصعد فهذا معناه أن قلبه سيتوقف فى الدور السادس أو السابع .. وهذا معناه أنه سيموت على سلم بيته ولن يموت على فراشه كما يموت البعير .. وفهم السر فى تلكؤ صاحب العمارة فى اصلاح الاسانسير فى المرات التى تعطل فيها قبل ذلك .

واغتاظ محمد افندى وراح يقرأ بقية العقد .. ثم حسب كم ينخفض ايجار الشقة .. وراح يتصور الثلاثة جنيهات ونصف وهى فى طريقها اليه أول الشهر كما يتصور أى تلميذ وجه حبيبته .

وابتسم محمد أفندى ..

ذابت كل الغيوم فى وجهه وهو يبتسم .. ووضع

نصف طلبة الفصل أقلامهم على المكاتب وهم يشهدون محمد أفندى يبتسم .. كانت هذه الظاهرة تشبه انفجار الشمس ·

شيئا لم يحدث قط ·

وابتسم الفصل كله ومحمد أفندى يبتسم .. فرصة .

ومع هذه الفرصة أطلت فرصة للغش أيضا ·· وراحت الهمسات تتبادل بسرعة ·

المسألة الثالثة حنقسم والا حنطرح .

٧ فى ٨ر٥ بكام يا محمود ·· طب بص للى جنبك وقول لى ··

وتزايدت الهمسات ووصلت الى محمد أفندى ·

واستدار محمد أفندى الى الفصل ··

وسقط الصمت فجأة ··

أشار مدرس الحساب بيده لمحمود ··

ــ خد ··

ــ أنا يا بيه ··

ــ أيوه انت خد هنا ··

ونهض محمود وهو يرتعد .. انتهى الامر وسيأخذ صفرا فى الامتحان .. ولن يكون هذا غير المقدمة .

سار محمود فى الممر الصغير الذى يفصل بين التخت حتى وصل الى المدرس ··

قال محمد افندى : حل المسألة التالتة للفصل ·· حلها عالتختة ·· وأمسك محمود قطعة الطباشير فى يده ووقف بعيدا عن التختة ··

انه ليس مجنونا ليقترب من التختة ويصبح فى الدائرة التى تبلغها عصا المدرس .

قال محمد أفندى وهو ينظر الى الكتكوت المبلل الذى يرتعد أمامه ··

ـ انت خايف من ايه ·· خد ··

ورفع الطفل يده بحركة غريزية ورثها من أحد أجداده الفلاحين ·

رفع محمود يده ليحمى وجهه ··

لكن يد المدرس ظلت فى مكانها ··

وارتفعت أصابع المنافقين فى الفصل ··

انا يا افندى . . أحلها أنا يا فندى . . أنا يا فندى . .

ودار محمد أفندى بعينيه فى الفصل وقال :

ـ لا انت ولا هو . . انا أحلها . . ومسح السبورة وكتب المسألة الثالثة ·· وبدأ فى الحل ·

وللمرة الثانية يسجل الفصل ظاهرة خارقة ·· ان مدرس الحساب لم يضرب محمود ·· لابد أن شيئا هائلا وقع ··

واستدار محمد أفندى وبدأ يحل المسألة . .

سكت الفصل ·· وسكت محمد أفندى وراحت يده تجرى على السبورة ·· وراح تفكيره يجرى هو الاخر ·

· · · · ·

الستة فى تسعة بأربعة وخمسين ··

والاوتوبيس لحد البلد رايح جاى يأخذ له ٣٦ قرش وحتة الصوف تطلع لها أربع أمتار والمتر بستين صاغ ·

· · · · ·

ثم بصوت عال للفصل ·

ـ حنقسم مش حنطرح ··

وعاد يكتب على السبورة ويفكر ··

الصوف يتكلف له ٢٤٠ قرش ده اذا القماش ما رخصش هو راخر يبقى ٢٧٦ قرش مشوار البلد ٠٠ وتدافعت لانفه رائحة الريف ٠

أعواد الذرة المشوية ٠٠ عيدان القطن التى توقد فى الكانون ٠٠ رائحة الارض المبللة ٠٠ أمه براسها العارى وهى تدعو له ٠٠ الناس الذين يقبلون يده لانه متعلم جاء من البندر ٠٠ الليل الصافى هناك تحت شجرة أمام كوب من الشاى مع الرجال الطيبين ٠٠

يبقى مافيش داعى للجزمة الشهر ده ٠٠ تستحمل الشهر ده وتغور ٠٠ ثم بصوت عال للفصل :

ـ دلوقتى حنجمع ده على ده ونطرح منها التلاتين يبقى الجواب كام ؟

٠٠٠٠٠

قال محمود وهو لا يزال مسمرا فى مكانه أمام السبورة يرتعش ولا يصدق طيف الابتسامة الذى يشرق فى وجه مدرس الحساب ٠

زائد يبقى ٣٦ جنيه ٠٠

ـ ونسيت النص جنيه ٠٠ حتنسى النص جنيه فى سنة يبقى كام ٠٠ يبقى ٦ جنيه ٠٠ تجمع ٣٦ جنيه و٦ جنيه يبقوا كام ٠٠

يبقوا ٤٢ جنيه .

ـ صح ٠٠ أنا مش فاهم انتو خايفين من ايه ٠٠ فيه حد يختلف من الحساب . وتذكر ان هذه الكلمة كان دائما يسمعها من صاحب البيت أول الشهر ٠٠ من الوجه الغبى الذى يتحول محمد افندى أمامه الى تلميذ صغير يخطىء فى الحساب ٠

٠٠٠٠٠

عاد يقول بصوته العالى وهو يفكر أن صاحب البيت هو الذى سيحاول الان أن يخطىء فى الحساب ·· هو الذى سيقف الان أمامه كتلميذ صغير ·

ـ ··· ما يخافش م الحساب الا واحد غبى ··
·· خايفين من ايه انتوا ··

الالفه يلم الكراريس بسرعة ..
بسرعة ..



دهسته الـــكارو

الحاج محمد امبابى كان يسير فى طريقه ببطء ·· عندما انحرفت احدى عربات الكارو واصطدمت به .. ضربة قاسية اصابته فوقع على الارض ·

احس وهو يسقط على الارض ان ١٣٠ عاما تسقط معه ، ١٣٠ عاما هى عمره الطويل تسقط معه ·· وتتبعثر منه ·· وتتوه فى الغيوم التى راحت تجرى امام عينيه وشبه اغماءة تذيب كيانه .

اصوات كثيرة كانت تصله كما لو كانت تنبعث بعيدا بعيدا عن حلم مضبب .

بعد اربعة ايام افاق الحاج من السقطة ·· مسح وجهه بيده وراح يحمد الله · داخله كان هناك شعور خفى من الراحة .

ـ عربية كارو تدهشنى · طب التاكسى ما كانش على ايامنا ·· والعربيات برضه حاجة غريبة ·· انما العربية الكارو دى من ايامنا وعارفينها وفاهمينها ·

شعور غريب بالراحة كان يجيش فى نفسه .. فالذى صدمه كان شيئا صديقا ·· ولم يكن شيئا غريبا عن دنياه ولا شيئا غريبا عن تاريخه ·

ـ مش بسيطة يا حاج ·

ـ بسيطة ان شاء الله .

وقد كان الحادث بســيطا .. فلم يقع شىء للحاج امبابى غير انه لم يعد يستطيع ان ينقش على النحاس ويضع روحه فيه · وهو عاش حياته كلها ينقش

النحاس ٠٠ بدأ يتعلم النقش أيام كان محمد على الكبير جنديا فى قوله ٠

وهو يتعلم النقش فى بيت سبعة اجداد فيه مهنتهم هى النقش على النحاس ٠٠ ويكبر الطفل الصغير ٠٠ ويجىء محمد على الكبير الى مصر .. وتمر سنوات .. ويبلغ عمر الطفل ١٣٠ سنة او ١٣١ عاما ٠٠ هو نفسه لا يذكر ٠

وطوال عمره ودنياه قارة يحدها من الشمال والجنوب والشرق والغرب قطعة من النحاس يركز عينيه عليها ٠٠ ويضع روحه فى اصابعه ويسكب فى النحاس ذاته ٠٠ ويشتغل ٠

وكل يوم يستيقظ الحاج قبل أذان الفجر ..

وكل يوم بعد صلاة الصبح يأخذ الرجل طريقه لمقهى عم حسن . وهناك التقيت به .

التقيت بالرجل الذى عاصر تاريخ بلادى كله .. التقيت بالرجل الذى مرت عليه آلاف الاحداث ، ولم تفعل فيه كل هذه الاحداث ما يفعله هو فى النحاس ٠ لم تخدشه ٠ لم يكن مهتما بها ، كان ينقش على النحاس ويصلى العشاء فى جامع الحسين القديم ثم جامع الحسين الكبير المعروف الان . الجامع الذى بناه السلطان عبد العزيز منذ مائة عام ٠٠ ايام كان عمر الحاج محمد ٣١ سنة ٠

وأسأله مئات الاسئلة ·· ويسند عصاه جـواره ويتحدث ·

ـ ايوه عمرى ١٣١ سنة ، طبعا شغلى سر ·· انا بأعمـــل كل شغلى عقده عشان ما حدش يقدر يقلدنى فيه .. متجوز وعندى ســبع بنـــات وولد وبيجى ٢٥ حفيد ·· اتجوزت مرة واحدة طبعا والست بتاعتى ماتت من عشرين سنة ، الله يرحمها ويحسن اليها ·· طبعا خرجت بره مصر ·· ياما سافرت ·· حوالى ٤٠ مرة كده .. رحت أوربا وأمريكا .. الحمـــد للـــه عـــلى نعمته ·· انا حجيت بيت الله ١٦ مرة ·· منهم خمس مرات مشى على رجلى .. كان فى المدة دى عباس باشا هو الخديوى .. انت جاى تأخذ تاريخى .. ده ولا شهرين تاخد تاريخى ·· ده اننا حوادث كثير قوى ·

● ● ●

والرجل حوادث كثيرة ·· فمنذ تسعين عاما ذهب محمد امبابى الى لندن ليشترك فى معرض دولى .. ومنذ سبعين عاما سافر الى نيويورك ·· بعدها زار برلين وايطاليا حتى بلغت رحلاته الى الخـــارج ٤٠ رحلة ·

رجل كان ياخده من يده لكل هذه الدول ·· رجل اسمه عبد الفتاح ·· عبد الفتاح ايه ·· اللهم صلى على النبى ·· نسيت بقية اسمه ·

لكنه لم ينس انه صنع للامبراطور غليوم قنديلا من النحاس لغرفة نومه .

ويحكى الرجل ذكرياته ·

يحكى كيف ذهب الى معرض طوله من هنا للعتبة ·

يحكى حكاية عرابى .. هوجة عرابى .. الخيانة وحشه .. لولا الخيانة يا ابنى .. والله عرابى مرة جه هنا ·· يا سلام على دقنه البيضة وهيبته ·· تعرف لما خانوه ما كانش حد يقدر يقول كلمة عرابى ولا حتى عربى ·· كانوا البياعين يخافوا يقولوا يا عربى يا رمان ·

● ● ●

ويحكى الحاج محمد امبابى ·

يحكى أشـــياء كثيرة .. وفى حيـــاته ما يستعيده بفرح ·· وهنا اشياء يذكرها بألم ·

أكثر ما يؤلمه أنه لن يعود الى العمل ، وسيموت بذلك فن من فنون الصياغة المعقدة .. ولن يبقى فى السوق غير من يسلقون عملهم على النحاس .. وذلك اكثر ما كان يؤلمه ·

فلســطينية

تيار الهواء البارد الذى ولد فوق ثلوج القطب الشمالى ، وصل اخيرا من رحلته الى القاهرة ٠

اكتشف ان ميدان باب اللوق شبه خال فهبط فيه ٠

دار التيار المثلوج فى الميدان وهو يكنس الشوارع والارصفة والوجوه والناس بلا تمييز ٠

وارتعش زجاج احد المقاهى ٠

وارتعشت امرأة تقف على محطة الاوتوبيس ٠

امتدت يدها اليسرى لتضم اطراف الجاكتة حول جسدها ٠ تقبضت اصابعها على الثياب وبدأت تقاوم البرد ٠

رجفة خفيفة هزت يدها الثانية التى تتدلى جوارها وتنتهى بطفل ٠

ويرفع الطفل وجهه ويرفع صوته ٠

ــ برد يا ماما ٠٠

وتترك ذراعها الثانية الجاكتة ٠٠ ميدانا مفتوحا للتيار المثلوج القادم من القطب وتتدلى ذراعها فى صمت لترفع ابنها لصدرها وتعتدل فى وقفتها

وجهها بكاء متجمد ، وعيناها تنظران امامها بخوف والاوتوبيس الذى تريده يجىء ويقف وينصرف وهى لا تتحرك ٠

أكثر من ثلاث مرات جاء فيها الاوتوبيس ووقف وسار وهى لا تركب ٠٠ ويجىء الاوتوبيس الرابع ٠٠ وينظر الطفل فى عينى أمه ٠

ــ عاوز اروح يا ماما ٠

ولا تسمعه هى . .ويعود يهمس للوجه الذى تعتصره كآبة وحيرة .

ـ ماما بطنى بتوجعنى .

ـ معلهش يا حبيبى .

● ● ●

ويفكر الطفل فى البيت .

لماذا لا تتحرك امه . لماذا لا تعود الى البيت ، هناك غطاء وفراش ودفء وثلاثة أخوة . . وهناك وقع خطوات أمهالتىتمنحههذا الشعور الحلو بالطمأنينة . . صحيحانه لم يعد يسمع وقع خطوات ابيه .. ولكنه يريد ان يعود .

ـ عاوز اروح يا ماما .

ـ طب اسكت .

ويسكت الطفل وتغرق هدى بخيت محمد داخل نفسها .

لماذا تعود الى البيت . . ان البيت لم يعد بالنسبة لها دفئا واحساسا بالامن ، أصبح جدرانا باردة تذكرها بآلاف المشاكل . . أبسط مشكلة ان رجل البيت عونى حلمى القدومى ترك المنزل منذ شهر .

طفش .. سئم هذا الصراع الذى يصطدم فيه كل يوم باشياء صماء وجامدة .. كانت الحياة جرعة مريرة على لسانه ، وهو يلفظها فى وجه التقاليد يوما ويخرج فلا يعود . يترك زوجته مع ثلاثة أولاد وبنت مجموع اعمارهم ١٩ سنة .

● ● ●

ـعاوزاروحياماما .

ـاخرس .

وتفاجىء صرختهـا الولد فيسكت . يفزعها رعبه

المفاجىء وتسيل أعماقها حنانا عليه وتمد يدها الى رأسه وتداعب شعره ٠

طفولتها كانت أسعد من طفولته .

حقول البرتقال فى يافا تشهد على ذلك ٠

فهى بنت فلسطين وهى تعيش فى يافا ، تكبر وتنمو معها الحقول ، تتزوج وتشهد الحقول عرسها ، ثم يأتى ليل المأساة ٠

ويجىء بعد الليل صبح تجد نفسها فيه ضائعة ٠٠

ضائعة رغم أنها تمسك يد زوجها .

ضائعة وسط طوابير طويلة ومختلة تنحدر نحـــــو الحدود ٠٠ فرارا من النار المصهورة التى يصبها اليهود على النساء ٠٠

ـ الى اين يا هدى ؟

سؤال رددته آلاف المرات ، وكان الجواب دائما الى القاهرة ٠

ومضت معها الحياة وادعة لينة ٠٠ عمل زوجها فى ادارة البعثات السعودية . مر وقت .. تخرج طلبـــة كثيرون وسافروا الى المملكة العربية السعودية . وصل الى زوجها خطاب قصير يقول :

ـ انه بالنظر لتخرج معظم الطلبة وسفرهم بعد انتهاء دراستهم الى المملكة فقد تقرر تخفيض عدد المستخدمين بهذه الادارة ٠

ثم يعلن الخطاب القصير النبأ ..

استغنينا عن خدماتك ٠

● ● ●

ثلاث كلمات سقطت على حياته كسكين ٠٠ بعدها اصبحت كل دقة على الباب تحمل اليه خطر المطالبة

بسداد دين عليه ، وديونه كثيرة ·· حساب البقال واجرة البيت وثمن الدواء واللحم واغطية الشتاء وآلاف الاشياء الصغيرة التى تغرق البيت فى طوفان الحـرارة الكبير الصامت ·

اخيرا أصبح الرجل بلا عمل .. وعاد اليه شـعور المحارب القديم ، كافح ليحصل على عمل ثم خرج يوما ولم يعد ·

بعد ان خرج هو ·· دخل البيت خطاب من صاحب البيت ·

الخطاب يبدأ بلطف ثم ينتهى قائلا :

ـ اما الدفع أو سنضطر آسفين لاتخاذ الاجراءات القانونيـة .

وكل صباح تخرج هدى من البيت ·

خلاص ·· لم تعد تحس فيه بالامن ·· اصبحت تشعر ان الشارع هو بيتها فهناك ناس لا يعـرفونها ولا يطالبونها بشىء ··

وكل يوم تخرج هدى ·· تطوف على الصحف ·· تشرح قصتها ·· وتبكى ·· ويواسيها الصحفيون ·· لا يدرون اى خدمة يقدمونها لها ··

وكل يوم تخرج هدى .. ويتهرب منها الصحفيون .. يقولون لها دائما ·

ـ فوتى بعد جمعه ·

وتخرج الى الشارع ·· تسير ·· طفلها على كتفها وهى تسير ·· احيانا تصطدم بكتف مسرعة واحيانا تقذفها شتائم سيارة مسرعة ، وكل شىء يسرع ، وكل شىء يجرى ·· وهى تقف على محطة الاوتوبيس .. مجرد وقوف .

ـ عايز اروح يا ماما ··

حروف موسـيقية

ميدان العتبة ٠

الساعة العتيقة تدق النصف بعد العاشرة ٠

العربات والناس والترام تهرس الميدان وتمضى فيه كدوامة .. وهو يتحرك داخل الدوامة ..

خبطة قوية فى كتفه ٠٠ وبعدها كلمة :

ـ لا مؤاخذة ٠

ولا يرى من السائر الا ظهره .. ويقفز فى اللحظة الاخيرة فوق الرصيف ٠ تصفع سمعه لعنات سائق يحاول تعويض ما فاته فى شهر المرور ٠

ـ اتحركوا يا خلق ٠٠ يا ٠٠٠

● ● ●

أخيرا ٠٠

على رصيف محطة ترام ١٩ يقف زكى محمد الحلو .. يلتقط أنفاسه .. يسير فى هدوء ، وفى أذنه طنين ٠٠ أقدام المارة حوله تضرب الرصيف فى نغمات رتيبة مملة ٠٠

لكنها حلوة ٠٠

ويقف مترددا لحظة ٠٠

انه يحب هذا الصوت .. صوت الحياة .. كم يشبه الموسيقى ٠٠ !!

ويأتى الترام ٠ ويتردد ٠

هل يركب الترام الى الازهر ليشترى بعض حروف الطباعة أم يعود الى حارة الجبرونى حيث يسكن فى

الازبكية ؟

ـ أنا تعبت ·· خلاص ··

قالها باحتجاج وضعف ·

مافيش فايدة ·· أرمى الصندوق وأريح نفسى ··

● ● ●

قصة عمرها ٤٠ عاما .. هى قصة الصندوق .

زمان سنة ١٩٢٠ كان زكى الحلو مديرا لمطبعة مجدى ·· كانت المطبعة فى الممر التجارى بشارع فؤاد ·

وفى يوم دخل المطبعة زائر ·· سوالفه طويلة كالفنانين ··

ـ اسمه أحمد حلمى أو رأفت ·

مش فاكر ·

ويتحدث الزائر عن اختراع رآه فى ألمانيا ·· حروف حديثة لطباعة النوتة الموسيقية بدلا من كتابتها باليد ··

حروف تصف فى المطبعة كما تصف حروف اللغة العربية ··

أيامها كانت النوتة الموسيقية وما زالت تكتب باليد بواسطة خبير فى الموسيقى ثم يعمل لها أكليشيه ·· وتطبع ·

المصيبة الكبيرة لو طلعت فى النوتة غلطة واحدة ·· أى غلطة ·· حاجة نسى يكتبها مثلا ·· الكليشيه يترمى على طول ··

وتعاد العملية باليد ··

مرة أخرى نوتة تكتب ·· مرة ثانية كليشيه ··

اكثر ما يؤلمه انه لن يعود الى العمل ، وسيموت بتوقفه وهناك التقى به ·

ـ والله فكرة ·· يا زكى

الفكرة الجديدة كانت فعـــلا حلوة وعملية .. ماذا

يحـدث لو صنع هو حروفا للموسيقى لهـا مميزات الحروف .. اذا اكتشفت الخطأ فتصحيحه لا يستغرق غير ثوان ٠٠ مجرد تغيير الحروف ٠

ـ فكرة ٠٠ فكرة تمام ٠

وكانت له حصة فى بيت ٠٠ وماكينة طباعة ٠٠

بعتهم زى ما اكون ببيع ولد من أولادى ٠٠ جابولى ١٥٠٠ جنيه أيام الجنيه ما كان ايه ٠٠ جنيه ٠٠ اشتريت بيهم صندوق حروف موسيقية من ليبزج فى ألمانيا

راح يدور ..

العربات تدور فى الميدان ٠٠

وهو يدور ٣٦ سنة على بيوت الموسيقيين العرب والمسئولين ٠

٣٦ سنة وهو يدور ويتكلم ويتفلسف ويشرح ويحاول اقناعهم بالفكرة التى اقتنعت بها بلاد بره ٠٠

٣٦ سنة وهو يدور .. وبلاد جوه لا تقتنع .

مافيش فايدة ٠٠ تعبت خلاص بطلت أتكلم من سنة ١٩٥٦ ٠٠ أحيانا تلح عليه الفكرة ٠٠ فينفض الغبار عن صندوق الحروف ويطبع النوت الموسيقية لاشهر مطربينا القدامى والمحدثين ٠٠ ثم يملؤه يأس ٠٠ فيخفى الصندوق تحت السرير ٠٠

وتتبعه عيون زوجته وأبنائه الاربعة باشفاق صامت .

لم يبق الا أمل واحد ٠

خطاب رقيق وصل اليه من وزارة الثقافة والارشاد .. بتاريخ مايو سنة ١٩٥٨ . الخطاب يطلب منه التوجه الى مراقبة الموسيقى بديوان المصلحة لبحث الموضوع وتقديم تقرير عنه ٠

وذهب زكى الحلو الى الاستاذ عبد الحليم نويره ·
·· انبسط الاستاذ قوى ·
وتمضى فترة سكون ·· وتشحب ابتسامة الفنان الذى يعيش مع الرصاص وحلم ··

●●●

ويعود يدور كالترام الذى يعبر المحطة وهو واقف ·
والعمر يتقدم ·· ٥٦ سنة الان ·· لا أحد يعرف هذا الفن فى الجمهورية كلها غيره .
ـ عارف ايه ·· نفسى أعلم حد ·· أصلى حاسس انى حاموت .. والمشروع برضه كبير .. يعنى نقدر نحمى تراثنا الموسيقى كله .. ونقدر نغرق المكتبات العربية بالكتب الموسيقية ·

ويصمت ·· تعجبه كلمة « التراث » ومسألة « نغرق المكتبات » ·· ويتمتم لنفسه أو لى ·· لا أعرف ··

ـ بس تفتكر حد حايعمل حاجة ، ما بلاش وجه فى الزحام دى ·· نشوف موضوع تانى ·· قصدى بلاش الاسم ده .. !

عدم المؤاخذة يعنى تفتكر حد من الناس المهمه بيقراه ·· وحتى لو حد قراه ، تفتكر حد حيتحرك ·· ولو حد اتحرك .. تفتكر حيعمل حاجة .. الناس زى ماتكون سارقاها السكينة .. كل واحد فى روحه وبس .. لا حد عاوز يدى ولا حد عاوز ياخد ·

حارس الحب

على الضفة الغربية من النيل ، وبعيدا عن مدينة قنا بسبعة كيلومترات .. تقع قرية دندرة . والقرية الصغيرة تطل على الحياة خلال طريق نصفه من التراب النشيط الذى يسير عليه أوتوبيس الصعيد ، ونصفه الثانى ماء راكد تقطعه المعدية . وأحيانا لا يتأخر أوتوبيس الصعيد ، وفى بقية الاحيان يأخذ وقتا كافيا يفقد الراكبين احساسهم بالزمن . ثم تأتى المعدية ، وهى تحت رحمة النيل ، والنيل كان الها أيام الفراعنة ، وهو اله كسول لأن أحدا لا يطالبه اليوم بالعمل . أخيرا تظهر القرية . بعد سبع ساعات من التراب النشيط والماء الكسول تظهر القرية .. شط من الطين المرتفع ترسو عليه المراكب المحملة بالبلاليص والقطن ، وثلاثون ألف انسان يعيشون فوق بقعة خضراء مساحتها ٥٢٠٠ فدان ، وطريق طويل يقسم القرية نصفين وتنام جواره ترعة صغيرة يسقى منها الفلاحون أرضهم . والحمير تقطع الطريق الطويل فى ساعة ، وفى نهاية الطريق الطويل معبد دندرة .

.....

الزمن يكره التاريخ دائما ، ولهذا يجور عليه بالتراب والرمال والتفتيت ، ومعبد دندرة تاريخ عمره ٢٠٠٠ سنة ، ولهذا دفنه الزمن فى باطن الارض مئات السنين ثم جاء عالم الاثار الفرنسى ماربيت وأزال عنه التراب ومسح جدرانه وصنع له سورا من الحديد وأصبح لهذا

السور باب وأصبح الباب فى حاجة لرجل يضع مفتاحه فى جيبه ويحرسه ٠

وجاء عم محمد ليحرس الباب ٠

وطوال العمر الطويل الذى عاشه عم محمد كان يحرس زرعا لا يملكه بحب ، الا أنه لم يفكر يوما أنه سيحرس معبدا للحب ٠

مرارة الحاجة وحدها هى التى جعلته يخلع قدميه يوما من الارض ويسير عليها ويتركها بلا نظرة ٠ ماذا قدمت اليه الارض ليأسى عليها ساعة الرحيل ٠

ــ حتبجى حارس آثارات .

هكذا قالوا له ٠٠ أخبروه أن مرتب الشغلة جنيهان ، واتسعت أفراحه فالجنيه أيامها كان درويشا له كراماته فى دنيا اللحم والارز ٠

سألوه من باب استيفاء الاوراق الرسمية قبل تعيينه حارسا :

ــ تعرف تقرا يا عم محمد ؟

وقال الرجل الطيب :

ــ حاشالله

لكنه الان ٠ يقرأ تاريخ المعبد ويحرسه ٠

فى البداية ٠٠ لم يكن عم محمد يتصور أنه سيحرس المعبد بحق وحقيق ٠٠ لم يكن يتخيل أن أحدا يمكن أن يفكر فى سرقة المعبد ، ان كتل الحجارة الضخمة التى تحتاج لعشرة رجال لتعتعتها لا تغرى أحدا بالسرقة .. ثم اكتشف بخبرته أن الفلاحين يربطون الحجارة بالحبال ويشدونها لبناء منازلهم أو توظيفها كأحجار للطاحون . وتعلم الرجل أن ينام واحدى عينيه مفتوحة ، وكل يوم

يمر عليه فى حراسة المعبد كان يحمل اليه معلومات غريبة عنه . اغرب ما عرفه انه كان مركزا لعبادة الالاهة حتحور .. وقد سأل عم محمد عن الالاهة حتحور .. فأشاروا له الى بقرة مرسومة على الحائط . وحاول أن يجد شيئا غير عادى فى البقرة ولكنه فشل . ودهش الرجل الطيب . فالبقرة التى كان يملكها أبوه لم تكن تضرب الا بحبل التيل الغليظ .. لماذا عبدوا هذه البقرة اذن .

وعرف عم محمد معلومات كثيرة عن معبددندرةمن خلال استماعه الى دردشة الدليل مع السياح .. عرف مثلا أنه بنى فى ١٦٠ سنة .. وكان مئات الفنانين ينحتون صخوره ويعلمون أولادهم سر الصنعة .. حتى اذا ماتوا لم يتوقف العمل .. عرف أن هناك معبدا صغيرا لعبادة الالهة ايزيس .

عرف مئات الاشياء عن المعبد .

هذه الرسوم الغامضة عندالباب كتابة تقول « الحب حتى الموت » .

والمعبد اسمه معبد الحب .. وهذا يفسر الصور الغريبة لالهة الولادة واله التناسل .. وهذه الصور كثيرة .. فقد نقشت مراحل الحمل وولادة الطفل على أيدى الالهة على صورة الالاهة الام وهى ترضع طفلها .

وفى المعبد صالة للاعمدة .. والصالة تضم ٢٤ عمودا ترمز لساعات النهار وساعات الليل .. وفى المعبد ٣٦٦ درجة من درجات السلالم .. وهذه الدرجات ترمز لايام السنة .. وهذه السلالم تصعد الى أعلى المعبد وفى كل ٣٠ سلمة طاقة تدخل منها الشمس شهرا من شهور السنة ولا تدخل منها بقية الشهور .. والمعبد

فيه هندزة على رأى عم محمد وفيه أكثر من شىء غريب ·· هناك مثلا حجرة قدس الاقداس ·· وهى حجرة مظلمة صممت بحيث لا تصل اليها أى بقعة من بقع الضوء · هذه الحجرة لم تكن تفتح الا كل عام مرة واحدة ليدخلها الملك حيث يغسل الكاهن شعره بالزيت المقدس ··

● ● ●

أشياء كثيرة يعرفها عم محمد عن المعبد ·· رغم ذلك كانت هناك أسئلة تطن حول رأسه كذبابة صيف سئيلة .

كان يعجب لكل هذه الالهة ·· ابتداء من البقرة حتحور ·· الى الهة الولادة

كان يعجب لرسوم المعبد وارتفاع جدرانه وكثيرا ما كان يفكر فى الـ ١٦٠ سنة التى استغرقها بناء المعبد ·

الشىء الوحيد الذى كان يقف أمام تفكيره ·· ويحيره ·

لماذا بنى هذا المعبد أساسا ؟

لماذا تعبوا فيه أصلا ؟

يفكر خلال سيره أمام ابواب المعبد الستة .. ويفكر وهو يمسك فى يده بمفاتيح المعبد الثلاثة ·

وقد ظل هذا التفكير يحيره فى الشهور الاولى التى تسلم فيها عمله ·· ثم استقر تفكيره أخيرا أنهم لابد بنوا هذا المعبد عشان هو يأكل عيش . وارتاح الرجل .

فى السـيرك

يقول فردريك انجلز : «منذ ملايين السنين ، أيام طفولة الجنس البشرى ، كان الانسان يعيش فى الكهوف ويسكن فى الاشجار ، وهذا يشرح لنا لماذا كان الانسان فى هذه المرحلة ضحية مستمرة للوحوش المفترسة ، وكان تقسيم الحديث الى كلمات هو النجاح الرئيسى للانسان فى هذه الفترة » .

. . . . .

فى هذا العصر البعيد الذى يتحدث عنه انجلز .. كان كل شىء فى الحياة يحمل شكلا محددا واضحا ، وكانت الدراما الرائعة التى تجرى على السطح المعشوشب للكرة الارضية لا تزيد على كونها صراعا بدائيـا بين وحش جائع .. وانسان يريد ان يأكل . وكان الانسان يخرج من كهفه وهو يحمل قطع الحجر المدببة ويبدأ بحثه عن الوحش . وكان الوحش يخرج من كهفه وهو يحمل أنيابه الحادة ويبدأ بحثه عن الانسان .. وكان اللقاء بينهما سريعا وينتهى بان يسحب احدهما الاخر الى كهفه وينتحى به ناحية ويأكله .

ومرت ملايين السنين . وانتهى الانسان من تقسيم الحديث الى كلمات ، واستغرق الانسان ملايين السنين ليصل الى اتفاق مع الوحش . اتفاق ودى .. ولاريب أن الانسان قد فكر بينه وبين نفسه قائلا لنفسه .

ــ ان أحدنا لابد أن يأكل الاخر . انا أو الوحش .. اليست هناك طريقة لان نأكل معا ..

وهكذا اصطاد أول مروض وحوش أسدا صغيرا وراح يرضعه ويربيه حتى بلغ عمره الشهر الثالث ·· ثم بدأ تدريبه على ان يصعد السلالم وينزل السلالم ·· بدأ تدريبه على السير فوق كرة والقفز وسط حلقة مشتعلة بالنار .. وكان الاسد يخوض تجربة غريبة عليه .. لكنه اكتشف بعد انتهاء التجربة وتصفيق الناس انه يستطيع ان يأكل فى سلام جنبا الى جنب مع صاحبه ··

كانا فى البداية يأكلان بخوف ·· ان احدهما لم ينس رواسب ملايين السنين التى اصطبغت بالدم والصيد . ولان الانسان يفكر فهو اكثر احساسا بالخوف ··

وهكذا كان صلاح الدين الحلو يحس بالخوف وهو يقف وسط السيرك فى انتظار نمرته ·

لم يكن يحس بالخوف تماما ··

لم يبق غير سبع دقائق ويدخل القفص ·

وهزه شىء مبهم .. ليس خوفا وانما هو احساس غريب لم يستطع تفسيره .. ربما لحظة خوف .

كل مرة يفتح فيها صلاح الدين الحلو باب قفص الاسد ليقدم للناس نمرته ، كل مرة يقترب فيها من الباب .. يهزه الى الاعماق هذا الاحساس الغريب .. ويذكر قول أكبر مروض للوحوش فى عصرنا : « ان نهاية المروض دائما على يد الاسد ·· اى اسد » ·

● ● ●

مهنة غريبة ··

طفل يروض الاسد ·· هكذا قدمه ابوه وعمره ١٤ سنة الى الناس .. كان أيامها طفلا .. ولكنه ابن السيرك .. ولد فيه .. أخشابه دخلت فى عروقه .

أسلاكه صنعت أعصابه .. الاسود والخيل والحبال هى ثقب الباب الذى يطل منه على الحياة ..

وهم يشترون الاسد عادة وعمره ثلاثة اشهر ·· وهو شـــبل صغير فى حجم قط ضخم .. ويبدأ تدريبه أو ترويضه ٦ أشهر كاملة وهم يعلمون الاسد أن يصعد فوق السلالم ·· ان يقفز ·· والاسد ملك الغابة ·· والملك عادة وقور ولكن الزمن لا يعترف لأحد بالوقار هـــذه الايـــام .

ويرتفع السوط ويهوى ··

ويكتشف الاسد انه يجب ان يقفز وامره الى الله ·· ويقفز ·· ويطلبون منه تكرار الحركة ·· ويظل يقفز والسوط يلسعه حتى تزول كل هيبته ويصبح صورة للاسد ·· ويصبح شيئا مضحكا يتفرج عليه الناس ··

● ● ●

ــ سميط وجبنة وبيض .

الصوت يرن وسط الناس فلا يلتفت اليه احد .

ــ هش .

يقولها اكثر من واحد ·· عيناه معلقتان على الحبل الذى يتحرك وتسير فوقه فتاة ··

ويلتفت صلاح لبائع السميط .

يلاحظ ان الرجل ينادى على بضاعته بتثاؤب وضعف ··

ــ مسكين ·· يريد ان يأكل ·· انه يصنع لقمة عيشه من هذا النداء المنغوم المتكرر النعسان ··

أى فرق بينه وبين بائع السميط وبين الاسد ..

كل واحد يصنع لقمة عيشه ويمضي ايامه ويعيش ··

هو يضرب الاسد ويظل يضربه ويظل يعلمه ليأكل ··

والاسد يقفز وســـط النار ويصعد السلالم وينزل السلالم ·· ليأكل ·

لا فارق بينهما ·· لا احد فيهما يضحك على الاخر ·· شبه اتفاق ودى بينهما :. أن يؤدى كل واحد منهما واجبه ليأكل لقمة عيشه من عرقه ·

● ● ●

ويعود ينظر فى ساعته ··

باقى من الزمن ثلاث دقائق ويدخل القفص ·· ليست هذه أول مرة يروض فيها أسدا .. انه روض أسدين قبل ذلك بنفسه ··

احدهما كان ذكيا وتعلم بسرعة ·· اما الثانى فعذبه عذاب الموت ··

كان دائما ينسى ما تعلمه ··

ويقف هادئا وغبيا وقويا لا يتحرك ··

وينهال عليه بالسوط فيزيد غباؤه ولا يذكر نمرته ··

أما الاسد الذى سيعرض نمرته بعد دقيقتين فعلى مستوى عال من الذكاء .. وان كانت زوجته خائنة . الاسد لا يخون أما زوجته فيمكن أن تخون .. سرعتها فى الحركة تؤهلهـا للضرب فجـأة ، وضربة واحـدة تكفى ..

وفتح الباب ··

قبل ان يفتحه كنست عينيه بساطة السيرك وتواضعه وفقره ·

وابتسم فى سره وهو يذكر ان وزارة الارشـاد قدمت مائة جنيه كاعانة للسيرك ·· كان هذا فى سنة ١٩٥٨ ومن يومها والروتين واقف فى الموضوع كالاسد ·

ودخل من الباب ·

أغلقه وراءه وأصبح مع الاسد .. ركز عينيه فيه .. ظل يركز عينيه فيه .. اطلت كل غرائز القسوة والوحشية من عينيه .. يجب ان يخيف الاسد ويظل ينظر اليه ..

نظر اليه الاسد نظرة طويلة تشبه نظرة الموظفين وهم محشورون داخل المواصلات فى طريقهم الى العمل .. ونظر الى الاسد بود ..

وبدأ الاسد يصعد السلالم .

وعاد صوت بائع السمبط منغوما حزينا كسلان ينتشر فى صالة السيرك .

محمــد والســمكة

في بحيرة المنزلة ١٨ الف صياد ، و ٧٥ طنا من السمك كل يوم ، وثلاثة آلاف مركب ، وطفل عمره ٩ سنوات واسمه محمد · وقد ركب محمد يوما ظهر مركب ، وللمراكب في بعض الاحيان رعشات غريبة ، رعشات لا يحسها الذين يجلسون تحت الضوء الثابت في مكاتب لا تهتز لوضع قوانين الصيد · وقوانين الصيد عمرها الان عمر الكولونيل الانجليزى الجود .. وضعها وهز اسمه البحيرة من الرعب ، ثم انزلق الاسم وضاع في مياه البحيرة .

ذهب الرجل .. وبقى قانونه .

وعلى صــفحات المياه الهادئة لبحيرة المنزلة تجرى مسرحية من ثلاثة فصول كل يوم . يقول نقاد المسرح : ان الصراع هو أهم أجزاء المسرحية فالصراع هو النبع الذى تصدر عنه الرواية التمثيلية كلها .

والمأساة التى تمثل كل يوم في بحيرة المنزلة تضم بطلين رئيسين .

طفل اسمه محمد ·· وسمكة هي الاخرى طفلة ·

وهناك صراع بين الطفل الصـغير والسـمكة الصغيرة . ان احدهما لكى يكبر لابد أن يأكل الاخر ..

والقانون يقف مع السمكة ضد الطفل · هذا القانون ممثلا في القدر أو رجال السواحل هو العنصر الثالث في الصراع ، انه يسـند أحـد طـرفى الصراع (وهـو السمكة) ·· ويحاول تقويته ضد الطرف الاخر (وهو

الطفل) ٠٠ يفعل هذا من اجل الطفل ٠٠ وهذه عقدة المسرحية ولغزها المحير ٠

ان الستار يفتح عن الفصل الاول كل يوم الساعة ٤ صباحا ٠٠ وثلاثة آلاف مركب تتهيأ للصيد ٠

سفينة هناك تخرج للصيد ٠ الليل اسود من عيون جنية والريح شبه راكدة ٠ والمدرة تغرز فى طين البحيرة وتدفع السفينة والرجال التسعة يعملون فى صمت ٠ وليس هناك الا صوت المدرة وهى تغوص برفق فى الماء . والهواء ساكن لكن كتلة من البرد معلقة فيه وكل دقائق يقطع الصمت أمر يصدر من رجل فى مؤخرة السفينة ٠٠ رجل يبدو بلا عمل ٠٠ الا انه يمد سمعه فى السكون ويمد بصره فى الظلمة ويبدو مريبا وغامضا ٠٠ ولسوف نعلم فيما بعد انه لم يكن مريبا ولا غامضا ، كل ما فى الامر أنه كان خائفا . . فالسفينة تخرج للصيد وعليها ٩ رجال ، والمفروض ان تخرج بثلاثة فقط ٠٠ هذا هو القانون . . لكن البحيرة بخيلة والجيل الجديد من السمك لم يعد طيبا وساذجا كالجيل القديم . . فهو يعرف أن هذه شباك وأنها جاءت تصطاده ، وهو يعرف كيف يختبىء منها فى شوارع القاع الطينية ولابد من ٩ رجال على السفينة ٠٠ وهناك رجل صغير فى قاع السفينة ٠ طفل عمره ٩ سنوات واسمه محمد ٠

. . . . .

الرجل الغامض فى مؤخرة السفينة لم يزل يمد بصره فى الظلمة ٠ والسماء ساعة فسفورية عظيمة تدل على الوقت ٠٠ لكن احدا لا ينظر الى السماء ٠٠ الوقت بلا قيمة هنا ، والسفينة تسير منذ ساعتين ولا جديد عليها

سوى ان الرجال نشروا القلع وانكمشوا جوار الدفة ·

ومع الساعة السادسة والنصف تكلم الرجل الغامض فى مؤخرة المركب :

ـ ما تصحوا الواد محمد ·

وانحدر واحد من الرجال التسعة لتنفيذ الامر ·

ـ محمد ·· محمد ·· قوم يا محمد ·

كان محمد ينام تحت بطانية من صوف الغنم يبرز منها قدمين صغيرتين مشققتين كأقدام الرجال · كان متكور الجسم وليست له هيئة انسان ·

ـ يللا يا محمد ·

وتحرك الطفل ببطء · وبدأ النوم عالقا بوجهه · تمتم ببضع كلمات غير مفهومة واستدار نحو بطن المركب وازداد انكماشه وعاد للنوم ·· راح يتحصن فى اعماق النوم كما يتحصن الجنين فى احشاء امه ·· كان كالغريق فى اعماق بعيدة الغور يفتح قبضتيه ويغلقها على شيء يمسك به من الطحالب . وكان لابد من حل عقدة اصابعه ·

ـ جرى ايه يا محمد · ما تقوم يا وله ·

وتمتد يد الرجل الى رأس الطفل لترفعها قليلا ·· يللا يا محمد ·

وحاول الطفل محاولة اخيرة لينسلخ من دنياها ويعود لاحلامه السعيدة · فقد كان يبدو وهو نائم انه يستخدم قوة عجيبة للتحرر من دنياه · دنيا الاسماك والطين والبرد ورجال السواحل · لكن يد الرجل التى رفعت رأسه لم تنزلها بعد ·· وصوت اليقظة يضرب بطن

المركب واذن الصبى ويفرض عليه ان يقوم • وقام محمد •

ـ احنه وصلنا ••

ـ بس انهض كده ••

وجلس الطفل اخيرا •• وفى اللحظة التى سقط فيها النوم عن وجهه . . تغيرت ملامح الصبى واكتست تعبيرا غريبا من الجد •

ـ انهض كده وفوق عشان البيه ياخد لك صورة . (يشيرون بذلك الى وجودى كصحفى) .

ـ هو الشبك جاهز ولا لسه •

وهكذا عبر الرجل الصغير على الاغراء الذى بدا تافها •• واستقبلت قطرات العرق الصغيرة على وجهه برودة الصباح وهو يخرج لسطح المركب •

وافطر الصيادون العشرة • اكلوا كثيرا من الخبز والجبن والمخلل •• كانوا يأكلون على مهل فأمام المركب ساعة لتصل . وفى الراديو الذى يشتغل بالبطارية أغنية يستمع اليها الصيادون قليلا ثم يجرفهم الكلام :

وسوف نفهم من الحوار المتداول بينهم ان هناك مشاكل داخل البحيرة •• قلة السمك وكثرة محتكرى البحيرة . . وكل مشكلة تخلق عديدا من المشاكل .

السمك قليل لان اقطاعا من نوع غريب تسلل الى البحيرة • ناس اقوياء لهم زمن فى البحيرة •• يضعون أيديهم على مساحات كاملة من المياه والجزر ويبيعونها للفلاحين بعد ذلك • وفى البحيرة آلاف الجزر التى يعيش عليها الفلاحون •

والفلاح يشترى الجزيرة وما حولها من المياه بمائة

جنيه او ثمانين جنيها .. ثم يبدأ بحجز السمك فى الحوز .. السمك الكبير والصغير معا والاسماك الصغيرة اكثر عددا من الكبيرة وهى فى حاجة لتعلم العوم والحصول على طعامها من مساحات كبيرة .. لكن البوص الدائرى الذى صنعه الفلاح يمنعها من الحرية والطعام . وتختنق الاسماك فى الحوزة فبصطادها وهى ميتة . والحوز مكان محرم فى البحيرة . مكان يحميه السلاح وترتكب من اجله جرائم قتل .

فى العام الماضى قتل الصياد محمد قويله لانه نزل يصطاد فى ارض الحاج عباس فى حوزة يتلكها فلاح . وهذا العام ضرب الريس نصر محمد غزى بالنار لانه نزل بمركبه فى حوزه واخرج الطبيب فى المنصورة قطعة من الرصاص من بطنه .

وهذا الذى يحدث كله من شراء وبيع جزر البحيرة ومياهها .. واصطناع الحوز ، هذا كله يخالف القانون . ورجال السواحل يحطمون كل ما يعثرون عليه من حوز . لكن رجال السواحل لن يتركوا رجلا للمراقبة فى كل جزيرة .

ويستمر حوار الصيادين .. ونفهم منه ان هناك طرقا عديدة للصيد .. منها طرق ممنوعة كالصيد بالمكن والصيد بالطنبور .. ولان معظم الصيادين لا يحلمون باستخدام المكن فهم يعيشون على الصيد بالطنبور . والصيد بهذه الطريقة صيد بدائى . ولانه صيد بدائى تقع فيه الاسماك الصغيرة . والسمك الصغير فى البحيرة لا يكبر ابدا ، ان شيئا يحدث له دائما ويمنعهمن

ان يكبر . والبحيرة مهددة بان تصبح المراكب فيها اكثر من السمك .. ويختلط الحوار ..

تتردد فيه كلمتان .. كلمة « عفر » .. وكلمة « دور » ..

ان العفر هو السمك الكبير .. والدور هو السمك الصغير .. والكلمة التى تتردد فى الحوار أكثر من غيرها هى الكلمة الثانية .. (دور) .

المركب يتوقف أخيرا جوار بقعة تمتلىء بالبوص . اربعة رجال ينزلون ويخوضون فى البوص ويعودون بثلاث فلايك كانت مخبوءة فيه .. كل فلوكة عليها طنبور . بعد ذلك بدأ البحث عن مكان ملائم للصيد . مكان فيه اسماك .

ـ انزلوا هنا .

ويختارون مكانا يحيطونه بحاجز من الطين .. بعدها يقومون بتركيب الطنابير عند فوهة هذا الحاجز ثم ينزحون ماء البقعة التى سوروها فتندفع الاسماك مع المياه لتسقط فى الشبك .

وعلى الورق تبدو هذه الطريقة يسيرة وسهلة لكنها فوق طين البحيرات تأخذ شكلا آخر . من الساعة العاشرة الى الثانية عشرة والايدى تبنى حاجزا من الطين حول البوص .

فى البداية .. خلع محمد كل ملابسه وكومها فى المركب ونزل عاريا الى البحيرة . وصل الماء الى صدره .. ارتعش الولد قليلا لكن رعشته ماتت فى تموجات الماء من حوله وهو يدور .

ويدور الطفل وهو واقف فى مكانه ثم ينحنى على البحيرة ليلتقط كتلة الطين التى صنعها بقدميه وهو

يدور .. وتصبح هذه الكتلة جزءا فى الحاجز الذى يبنونه .

قال الصحفي للطفل الصغير .

ـ انزل اشتغل واساعدك .

رد الطفل الصغير وهو ينحنى على كومة الطين ويرفعها الى صدره .

ـ الميه ساقعة عليك .

هوت الكلمة على المركب الصغير الذى انتقل اليه الصحفى وحملت اليه احساسا قويا بأنه زائد فى المكان ، وعبثا حاول أن يعثر فى كلمة الطفل على سخرية . كانت الكلمة تنطوى على اشفاق وود .. وكانت تعكس حقيقة .. فالمياه كانت باردة ! .

اخيرا تم صنع الحاجز الطينى . تم تركيب الطنابير عند فوهته ، وبدأ العمل . انقسم الرجال التسعة الى ثلاث مجموعات .. وكان محمد يشتغل مع مجموعة تضم شيخا عجوزا لا شك ان قوته مضافا اليها قوة الطفل تساوى قوة رجل .

بعد ساعتين من تفريغ البقعة اكتشف الصيادون أن ما جمعوه من السمك لم يملأ نصف سلة .. الى العمل اذن فى مكان آخر .. ويتكرر ما حدث قبل ذلك . يتم بناء حاجز طينى وتركب الطنابير عند فوهته و . . هب .. هيلا .. هب ..

ثلاث ساعات والطنابير تبكى بصوت مسموع . والرجال ينظرون الى السمك الذى يسقط فى شباكهم ويحركون الطنبور بغضب .

منذ ثلاثة ايام عادوا من رحلة الصيد وطبخوا اللبن

وهم عائدون . لم يدفنوا السمك فى الارز ويطبخوا المدفونة كما هى عادتهم . واليوم يجب ان يطبخوا المدفونة ميلا .. هب .. ميلا ..

الطنابير تدور .. والاسطورة الشعبية تقول ان فرعون هو الذى اخترع الطنبور والشادوف وهرب بعد اخترعهما الى الشمال حيث الدعه والراحة وتركهما لمن يشقى بهما .

فرعون بناه — شرد وخلاه

فرعون يالئين — وهملته لمين

هوب .. ميلا .. هـه

وينزل الستار على الفصل الاول ، وكثير من السمك الصغير الذى لم يتعلم بعد العوم يسقط فى شباك عيونها اصغر من عيون السمك .

.....

خلال فترة الاستراحة .. نلتقى بالطفل الذى يلعب دور البطولة فى الدراما . اسمه محمد نصر فياض .. لا يؤمن بالتعب . لا يؤمن بالجنية فهو لم يرها قط .. وان كان قد صرخ يوما حين وقع فى دشور (وهى مياه غريقة) .

ـ الحق الجنية يابا .

وانقذه ابوه مع صديق وتعلم العوم بعدها ولم يعد يصدق ان هناك جنيه وان كانت حكايات جدته العجوز تمتلىء بالذهب والقصور والجنيات وكل ما لم يره .

ـ ليه مش بتروح المدرسة يا محمد .

ـ ماعدش ينفع .

ـ عملت ايه فى العيد اللى فات ·
ـ اشتريت كورة بخمسة صاغ ·
ـ هيه ·
ـ ولعبت بيها ·
ـ لوحدك ·
ـ فيه حد بيلعب الكورة لوحده ·
قالها وضحك . (وعادت لوجهه كل طفولته)

....

ان الفصل الثانى يبدأ كما تبدأ بعض الفصول فى المسرحيات اليونانية ·· شاعر يقف على المسرح ويلقى بكلماته اضواء على مشاهد لم تأت بعد · والشاعر فى مسرحيتنا اسمه سيد حجاب · يكتب الشعر باللغة العامية لان هذه لغة الصيادين ·

النور يا دوب بيدق بوابة الضلام
الفجر ادن وابو على فتح عينيـه
يا رب خللى حلمى خـير
خير يا ضنايا شفت ايـه
أنا شفت بالصلا ع النبى
انى بعوم فى بحيرة مالهاشى قرار
طلعت لى سمكة بميت دراع
بتبخ نار
ـ ان شالله خير
قالتها أمه مسهمة

وخرج حسـن ··
ودنيته فى عيونه سودا مضلمة

وطلعوا فى المركب عشان ما يرجعوش
لا بالسمك ولا بالشباك

ولا حتى بالمركب لكن رجعوا بدموع
اصل السواحل واقفة لجل تصيد وحوش
بيصيدوا بالشبك اللى ضاقت فتحته
شبكة تصيد سمكة بتتعلم تعوم
والميه خيرها شيء كتير
الميه خيرها صحيح كتير لكن لمين
الميه خيرها للكبار
اللى لهم فى الميه ملك محوطينه بالسدود
والصيادين مساكين ولاهماش وحوش ٠
طلعت لى سمكة بميت دراع
بتبخ نار
...

ان الشاعر يختفي من المسرح بعد قصيدته ليظهر على مياه البحيرة طفل فوق مركب ، لكن الطفل يختفى هو الاخر لتظهر حجرات ضيقة وخشبية يجلس فيها اصدقاء السمك الصغير او رجال السواحل .

ويدور الحوار بين رجال السواحل ٠٠ وتظهر عقدة المسرحية بوضوح ٠ ان الصيادين يعتبرون رجال السواحل أعداء تقليدين ، وهذا الفهم يعذب رجال السواحل فهم يدعون انهم أصدقاء السمك الصغير لانهم اصدقاء الطفل الصغير محمد ٠

عندما يكبر السمك الصغير سيجد محمد شيئا يصطاده عندما يكبر هو ٠٠ لكنه اذا استمر يتصرف كما يتصرف الان فوق البحيرة فسوف يلتقى ببحيرة بلا سمك .. وسوف يجوع .. وستصاب الثروة المائية .. من أجل الا يجوع يتحول رجال السواحل الى محضر

مضبوطات ٠٠يحول الى النيابة ٠٠ غرامة وحبس ٠٠ قضيةتصادر المضبوطاتوتصادر الفلايك . الصيد بالمكن ممنوع ٠ الصيد بالطنبور ممنوع ٠ الثروة السمكية مهددة . عدد الفلايك المصادرة ٦ آلاف فلوكة . عيون الشباك اسمها الماجة ٠ والماجة لها قانون ٠٠ يجب أن تكون عشرين كل نصف متر من الشباك ، يجب أن تضم ٢٠ فتحة ٠ لكنهم يعثرون فى النصف متر على ٤٠ فتحة ٠ اكتشفنا مؤامرة ضد السمك الصغير ٠ مؤامرة ينص عليها القانون الصادر فى سنة ١٩٢٦ .

آه هذه سمكة صغيرة تقل عن ١٠ سم ، انها من الشبار ٠٠ وهذه سمكة تخالف القانون لان المفروض الا يقل الشبار عن ١٠ سم ٠ اى سمكة مخالفة للقانون تصادر وتعدم مع الشباك الضيقة ٠ وكل عام يحرقون ربع مليون جنيه على شكل شباك تخالف القانون ٠

والداوريات تخرج الى البحيرة لتحمى السمك الصغير ، هذه الداوريات اذن صديق للطفل محمد ٠٠ لكن محمد لا يخاف من أى جنية كما يخاف من الداورية . سمع والده يقول يوما :

ـ احيينى النهاردة وموتنى بكرة

وهذا الكلام يخالف التعليمات ٠ وهو ايضا خطأ ٠٠ لكنه فى النهاية كلام يصدر عن منطق يرين أن يعيش اليوم ٠٠ ولا يرفض الترحيب بالحياة غدا ٠٠ لكنه أولا يجب أن يعيش اليوم . كيف يعيش الصيادون حتى يكبر السمك الصغير ٠ هل يجلسون جوار البحيرة لقراءة الصحف والاستمتاع بالشمس حتى يكبر السمك ٠

ان كلمة قالها أحد رجال السواحل يمكن أن تنطوى على الحل ٠

ـ يمنعوا الصيد فى البحيرة شهرين فى السنة • قول يوليو ويونية . ويدوا الصيادين سلفة يعيشــوا بيهــا ويسددوها مع الضريبة السنوية . الحكاية اللى بنعملها بتهددنا احنه • سنة تلاتين جه الشيخ احمد فياض بتاع الابوطى،راح مصر خلاهم يغيروا القانون ويعملوا الماجة ٣٥ بدل ٢٦ يعنى ضيق فتحة الشبك • عملوا الصيادين ٥٠ بدل ٣٥ حصلت كارثة فى البحيرة واختفى السمك كله تلت سنين . والكلام حقيقة . كل الناس هناك يرونه عادلا ومعقولا . .

• • • • • •

مع الوقت يخفت الحوار ويستحيل الى همس اذا وصل الى مركز البحوث المائية • فهنا يصلى العلماء خلال انحنائهم على السمك ودراستهم لموسم الحب عنده وموسم الزواج •• ان ابحاثا علمية كثيرة تجرى فى المنبر الهادىء الذى يطل على بحيرة المنزلة ، وهى أبحاث تؤمن بنظرية الفن للفن . هنا . . السمك للسمك .

ويسدل الستار على مركز البحوث المائية كما تتصوره المسرحية بعد عشر سنوات . . مركز يحضر السمك من البحر الابيض المتوسط لدراسته فى بحيرة المنزلة التى اختفى منها السمك •

• • • • •

ان الفصل الثالث لا يستغرق غير دقائق .

عادت مركب صغيرنا محمد وهى تطبخ السمك فى الارز . عادت تبيع ما اصطادته . ان الحوار بين التاجر وريس المركب سريع ومخنوق وهامس . فالسمك صغير ومخالف والتاجر يغامر بشرائه • وهو لن يدفع أكثر مما دفع •

ويوزع الرجال حصيلة الشباك · ينال كل صياد ١١ قرشا ونصف . ويحسبون محمد كما يحسبونه كل يوم بثلث راجل ، ويتسلم محمد ثلاثة قروش ونصف ويمد يده بعد عمل يوم ونصف بالقروش لابيه · ويخفض راسه فى حجر جدته وينام .. لا يريد الليلة أن يسمع حكايات عن ست الحسن والكنوز والجنيه ..

فلسوف يوقظونه غداً كما فعلوا اليوم مبكرين ، وربما ضحكوا عليه وقالوا له ان احدا سيلتقط له صورة ·



وجــه من فتح

الظل عمودى وساكن ..

والطريق يجرى وسط جبال كئيبة توحى بالخشية رغم سطوع الشمس · نهر الاردن ينساب بعيدا وسط الاغوار ببطء مخادع · تحت سطحه الهادىء المستسلم تتحرك أعتى الدوامات وأخطرها ، ومن بين كل عشرة يعبرون النهر فى الشتاء يتعرض اثنان للغرق لولا حيطــــة الاخوان ·

النهر هو الصديق القاسى للفدائيين · عرضه مثل نصف عرض النيل لكنه ليس طيبا مثله · تدور مياهه حول نفسها بعنف ، وتقتــل دواماته الاســماك الطفلة داخلة ، تقذفها الامواج على الشاطئين فتلتقطها قطط بائسة تعيش فى المنطقة ·

الجو حار مشبع بالرطوبة · والصمت موحش الا من صوت السيارة المسرعة التى تتجه بى نحو قاعدة فدائية لفتح .. يجلس جوارى قائد السيارة وقد خلع مسدسه، وثمة فدائى فى الخلف وفى يده مدفعه الرشاش ، الاثنان صامتان تماما ·

ويضيع صوت السيارة وينبعث صوت المــاضى الجليل ·

صوت يوحنا المعمدان وهو يهيم على وجهــه فى البرية ·· يأكل العسل من الجبال ، والجراد من فوق ضفاف النهر ، ويعمد الاطفال فى المياه ، ويرتج الفضاء بصوته العميق الهادىء وهو يقول :

« سيأتى من بعدى من هو افضل منى ·· سيأتى من بعدى من يعمدكم بالروح القدس » · ومثلما كان يوحنا المعمدان يتمتم بالكلمات الهامسة وهو يعمد الاطفال فى الاغوار : كذلك يتمتم الفدائيون همسا بكلمات الشهادة وهم يعبرون النهر ··

.....

توقفت السيارة فجأة تحت شجرة تين خضراء ، هبط الفدائى قائدها وقطع عدة تينات وقدم الى أفضل ما جمعه · وعاد يمضى بسيارته ، كان التين اخضر له طعم العسل ، اكلت فى صمت ورحت اتامل وجوه الجالسين فى السيارة · لم نتبادل كلمة واحدة ، ولم نتعارف قبل اليوم : لكننا ناكل مثل أقدم الاصدقاء من شجرة واحدة . أعرف الان لماذا قتلوا يوحنا المعمدان . كان وحيدا وبغير اصدقاء . كان يوحنا المعمدان قديسا له وجه فلسطين ونبل فلسطين . شاهد بقلبه وهو يرقد جوار احد السباع فى البرية مجىء السيد المسيح فقبع ينتظره ·· لم يكن فى قلبه موضع لحب غير حبه لكلمة الله القادمة ، وتحركت سالومى نحوه . راقصة شهيرة يشتهيها كل رجال البلاط . لم يرفضها القديس ولم يقبلها ··كل ما فى الامر انه لم يرها ··

وتحركت الخيانة ذات مساء مشئوم ، وامتدت السيوف اليهودية التى صنعت فى اليمن الى راس القديس ، واحمر لون مياه النهر وتعلم القسوة من يومها . وقدم راس الشهيد الى الراقصة على طبق من الفضة · وخلعت سالومى اقنعتها السبعة وبدأت ترقص ·

ما اشبه الليلة بالامس ··

أهدر دم يوحنا المعمدان ، واهدر أبناء السفاحين من قتلته دم عيسى وحاولوا قتله ، ولم تزل سالومى ترقص داخل الجسد الغريب الذى انغرس شوكة فى المنطقة باسم اسرائيل ، ولم تخلع سالومى الجديدة كل أقنعتها بعد ·· ومن دم يوحنا الشهيد ، ومن آلام المسيح ، وعذابات محمد ، يولد الالاف كل يوم . ونحن فى الطريق الى مجموعة من ابناء هذا الدم ·· مجموعة تحمل اسم فتح ·

· · · · ·

بالنسبة لاسرائيل ، تعنى « فتح » ما نشرته صحيفة الجيروساليم بوست ·· قالت الصحيفة : « ان فتح معنى ايجابى مأخوذ من القرآن الكريم ، وتعنى النصر والفرج بعد الضيق والمتاعب ، وفتح هى قلب لحروف حركة تحرير فلسطين « ف·ت·ح· » فاذا قرئت الحروف معتدلة فهى تعنى حتف . وهذا هو الموت المفاجىء » .

· · · · ·

توقفت السيارة فى القاعدة السرية · انشقت الارض عن اثنين يحملان الرشاشات · همس قائد السيارة بكلمة السر ، وتقدمنا احد الفدائيين فى طريق صخرى طويل ، وصل شاب طويل القامة قاسى الملامح ، فهمت أنه المسئول الحالى .. قدمنى اليه مع خطاب من القيادة السياسية · القى على الخطاب نظرة سريعة ثم رفع رأسه وحدجنى بدهشة ، عكست دهشته شعورا يشبه الضجر الغاضب · كنت ابدو جسما غريبا فى المنطقة بملابسى المدنية وحقيبتى الصغيرة وحذائى اللامع ووجهى

الحليق . تأملت المكان حولى وازداد احساسى بالدهشة . لاشك ان اتفاقا وديا قد تم بين فتح وبين الوحوش التى كانت تسكن هذه المنطقة، ولا ريب ان الاتفاق قد اسفر عن رحيل الوحوش وهى ممتنة وشاكرة لخلاصها من هذا المكان . ليس هناك كهف واحد او صخرة واحدة تبدو عليها ملامح الصداقة . كل شىء متجهم وموحش ومكتئب . وجوه الشباب على العكس نحيلة مثل وجوه طلبة الجامعة قبل الامتحانات . تتناقض مع المكان بالبراءة والامل . لا احد يتحدث . كل فرد يبدو مشغولا بشىء ما . قلت لنفسى ان الكائنات العظيمة الصلف هى وحدها التى تصمت وتفتش عن السكون . تساءلت هل هم متكبرون . واقتضانى الامر يوما كاملا لاعرف الفرق بين خطيئة الكبرياء وعظمة الجد العذب . كل فرد يحمل سلاحه الكامل . الرشاش والمسدس والقنابل .

تذكرت ما كتبه الصحفى كولين ليجوم فى تقريره للاوبزرفر :

« ان فتح تشكل خطرا سياسيا وعسكريا مدمرا لامن الدولة الاسرائيلية فى المجالات الاربعة التالية :

● انهم يرفعون الروح المعنوية لدى عرب فلسطين فى الارض العربية المحتلة .

● انهم يبقون جيش اسرائيل مشغولا .

● انهم يبقون القضية العربية الاسرائيلية حية فى السياسة العالمية .

● انهم يسببون اضطراب أمن شديدا لمستعمرات الحدود اليهودية على طول نهر الاردن ووادى بيسان .

ان شريط المستعمرات من اشدوت يعقوب الى كفار

روبين كان من أقل الاماكن اضطرابا خلال عشرين عاما من وجود اسرائيل ، ولكنه الان اقل امانا ، وكل يوم تتعرض مستعمرة او اكثر لنوع من الهجمات ، ولقد صرف حتى الان ملايين الليرات لتزويد مستعمرات الحدودبمخابىء واسعة تحت الارض .

نظرت حولي فى الشباب الصغير الذى يذهب ويجىء . لفت انتباهى صبى لا تتعدى سنه الثالثة عشرة . كان مدججا بالسلاح هو الاخر ، وكان ينحنى على مدفعه الرشاش وينظفه . ادهشنى وجوده فى المكان . وانعقدت فى ذهنى المقارنة بين براعته البادية ورهبة السلاح فى يده ، سالته عن اسمه فقال ـ شبل الثورة . قلت له اريد اسمك الحقيقى فصمت .. وطوال ساعة كاملة من وجودى فى القاعدة كنت فى جزيرة وحيدة لا اتصال بينها وبين بقية الجزر . وانكسرت المياه ونحن نجلس الى الطعام ، والتحمت الجزر .

وصل فدائى يحمل صينية ضخمة فى يده ووضعها على الارض جوار كومة من الخبز .

.....

ـ وصل الغذاء فتفضل معنا .

كانت الصينية تضم طعاما يقع لونه بين لون الرمل الاصفر ولون الطمى النيلى الجميل . وقرقشت اشياء فى فمى ونحن نأكل ، وعرفت بعد اللقمة الخامسة اننانأكل عدسا مصريا طهاه أحدهم ، وقدر لى بعد خمسة أيام أن أرد لهم دينهم وأطهو طعام الغذاء ، وكان عدسا ـ وحين قلت لزميلى الفدائى فى الكهف : من منا ينقى العدس ومن منا يصفيه ،ضحك طويلا وقلبه فى الانية وسكب عليه الماء

وقال يكفى مجدا اننا سنغسله لهم ·

جلست آكل وانا اتأمل وجوههم .. كانوا على درجة من الادب الذى لفت إنتباهى ، فهم يبدأون الطعام باسم الله ، وكل فرد يأكل من الجزء المواجه له فى الصينية ، وكلما مددت يدى توقفت ايديهم قليلا لتسمح لى بحرية اكبر · لاحظت ان كثيرين ينصرفون عن الطعام بعد لقيمات قليلة · وتوقفت عن الاكل وانا نصف جائع ، لكننى خرجت بصداقة من المائدة ·· فدائى يحمل اسم السمعاوى ، كان تلميذا فى احدى مدارس الارض المحتلة .. اسمه الحقيقى القاه فى نهر الاردن وهو يعبره ·· كل الارقام والمواد المدرسية والكتب بدت له عديمة المعنى تحت ظل الاحتلال ، وخرج من مدرسته يوما وسار طويلا وعبر النهر وانضم للفدائيين ·· عمره يقترب من العشرين ·

فى البداية كان افضل اسلحتهم هو الرشاش الذى يستخدم لتطهير المنازل ، ثم جرى دمهم انهارا وجرت الاسلحة بين ايديهم بنفس النسبة ، فالسلاح يتبع دائما خيط الدم ·

· · · · ·

وصل ابو زيدان ·· مسئول القاعدة فى غياب ابو كفاح وقائدها الاصلى الاخ مروان . . سألنى : أليست معك ملابس عسكرية . . أجبت بالنفى . . عاود سؤاله : هل تدربت على السلاح ·· اجبت بالايجاب ، وابديت تحفظا بأننى لم اتدرب من زمن ·· عاود التقطيب وصرفت لى ملابس مموهة ، كما صرف لى حذاء من احذية الفدائيين ، وتسلمت مدفعا رشاشا من

نوع « الكلاشنكوف » وامضيت ثلاث ساعات بعد ذلك للتدرب على الرشاش .

هذا هو جهاز الامان · تحركه هكذا لتضرب طلقة طلقة ، وهكذا لتضرب الثلاثين طلقة · · لا تغمض عينيك وانت تضرب ، أى شىء تخاف . الرشاش الذى تحمله سيصبح مسئولا عن سلامتك بعد الله وبعدنا · هكذا يفك الرشاش. هذه البطانية هى فراشك. سنسلمك علبة من التبغ كل يوم · ننام باحذيتنا وسلاحنا كل ليلة ·

مرحبا بك معنا فى القاعدة ·

كان يتحدث معى بتجهم وسأم ، كان يشبه دكتورا فى الرياضيات وهو يحل مسألة حسابية لتلميذ فى الابتدائى · اكتشف بعد ثوان اننى لم اتدرب على السلاح وصرف معى وقتا اكبر ·

.....

نمت نوما مضطربا بغير وسادة وسط الصخور ، كنت احتضن الرشاش · · وخيل الى ان السماء اقرب واعمق مما هى فى الواقع ، وطوال الليل كانت صراصير الجبل تنادى اناثها بصوت قوى غير عابئة بالفدائيين ، كنت اعرف ان هذا نداء حب ، غير إننى لم استطع ان اهضم فكرة اقتناع اناث الصراصير بهذا النداء الاجش المرعب ·

.....

ومع صباح اليوم التالى انتشر نبأ وجودى فى القاعدة كلها ·

ليست هذه القاعدة للتدريب أو الهجوم. نحن فى احدى قواعد الرصد العسكرى لفتح · · والرصد العسكرى هو

البديل لتعبيرنا فى الجيش عن المخابرات العسكرية .
ومهام هذه القاعدة ان توغل فى الارض المحتلة . وتكشف تحصينات العدو وتحضر أكبر كمية من المعلومات عن حشوده ، عن الطرق السرية التى تتخذها دباباته ومصفحاته . عن مخازن أسلحته ومطاراته وجواسيسه وكمائنه . يقوم افرادها بزيارة قواعد فتح داخل اسرائيل وتقديم المساعدات لهم ونقل المهام السرية اليوم . يجيد بعضهم اللغة العبرية مثل ابنائها . عدد أفرادهم سر . يغيرون مكانهم كل يوم . جاء معظم أفراد القاعدة من الفلسطينيين فى الارض المحتلة وخارج الارض المحتلة . بينهم شباب ولد فى احياء بيت المقدس ، وبينهم شباب ولد فى حيفا وعكا والخليل . وبينهم اثنان من العراق . واثنان من الجزائر . وواحد من لبنان : ومعهم مصرى مسلم يحمل اسم رمسيس .

ـ لماذا اخترت هذا الاسم .

قال ـ معجب بوقفة رمسيس فى ميدان باب الحديد .. سميت نفسى على اسمه .. وانفجرت الضحكات حولنا من الفدائيين .

قلت له ـ لماذا جئت .

قال ـ الذين يحتلون فلسطين لابد ان يمدوا انظارهم لمصر .. هكذا حدث على طول التاريخ القديم والحديث .

.....

ـ « لنسمح للفلسطينيين بالحركة ، ولنعطهم حق الموت داخل اراضيهم ، ولنمكنهم من الموت مواجهة وهم واقفون » .

لم يكن هذا غير اقصى أحلام فتح ، أن يموت رجالها واقفين بدلا من موتهم اليومى البطىء فى طوابير الطعام فى مخيمات اللاجئين • وبدأت فتح حركتها كتجسيد للشخصية الفلسطينية فى دور الجهاد •

يوم ١ يناير سنة ١٩٦٥ هو بداية فتح . اىانعطاف غريب وحاسم ، لقد تحول الالم الى تاريخ ، وانفجر الحاضر التعس ، لم يعد مجرد حالة ولا موقف ، لم يعد مجرد مذاق أو نكهة . لم يعد مجرد ايقاع او أصالة . . لم يعد باقة من الغرائز البدائية التى تهفو الى الحرية . انتهى الامر وصار الالم مشروعا مؤرخا وبناء صابرا ومستقبلا حقيقيا : أصبح الفلسطينى يؤسس حقه فى الحياة علي رسالته ، وهى الرسالة التى تأتيه من وضعه التاريخى • فلانه تألم اكثر من جميع الاخرين ، فقد اكتسب أكثر من جميع الاخرين . أحس التمرد وحب الحرية . ولانه أكثر الناس تعرضا للاضطهاد ، فهوينشد بالضرورة تحرير الجميع حينما يعمل من أجل خلاصه الذاتى •

وهكذا اندلعت الثورة الفلسطينية •• وتقدم اول رجل من فتح نحو اسرائيل •

قال موشى ديان سنة ١٩٦٨ :

« ان فتح تعنى استمرار الفلسطينيين فى الثورة ، وهى تكبد اسرائيل كثيرا من الخسائر فى الاموال والاوراح » •

• • • • •

لست اعرف تماما بمن ابدا من رفاق الجبل ·· لست أعرف كيف أتحدث عنهم ، أن الشعور الذى ملأنى هناك كان غريبا وغير مفهوم ، كنت احس طوال الوقت اننى لن اعرف عندما اعود كيف اعبر عنهم ، كنت اشعر ان افضل تعبير عنهم ان اظل معهم ، ان ابقى جوارهم ، اما ان ادعهم واعود للكتابة فقد بدا لى هذا الموقف شبيها بالتخلى عن صديق قديم لك . ولقد كنت قبل سفرى اليهم أعتقد أن الصداقة كالأشجار ، لا يمكن أن نغرس الشجرة فى الصباح ونجلس تحت ظلها فى المساء ، ثم اكتشفت هناك ان صداقة السلاح والخبز الاسود والعدس الطينى والشاى المغلى والخوف هى اعظم الصداقات واكثرها امتدادا رغم قصر الوقت وحصار العدو وغلبة الاحزان ·

· · · · ·

تركت ورائى اكثر من وجه فى الجبل ، اعتقد اننى عندما أموت سوف أذكر بعضها بوضوح .. وجه السعساوى ، ووجه الشيخ بهبهانى ، ووجه أبو كفاح ووجه مروان . .ووجه خاص جدا . . ووجه حبيب جدا . . هما وجها مجاهد الجزائرى ونصر الجزائرى . . شقيقين من الحى الجزائرى فى القدس ، أحدهما مصاب فى قدمه ويده ، انطلقت الرصاصات نحوه فأطارت ثلاث أصابع من يده اليسرى وحمد الله لانها يده اليسرى ، اما قدمه فاصابته بها تعود لايام سجنه فى اسرائيل ·· ضربه احد الجنود الاسرائيليين بحذائه ذى الحديد فى قصبة رجله ، من يومها لم يزل الجرح ينزف مثل جراح الانبياء ·

. . . . .

يا صديقى انا لا اعرف اى اسم هو اسمك ، هل هو مجاهد أو نصر ، غير اننى استمعت اليك فى الكهف الغائر فى الجبل وانت تتحدث تحت ضوء المصباح الصغير ، كنت تتحدث عن فلسطين ، لم تكن تتحدث عن مشاعرك وانت تعبر النهر ، وانما عن مشاعرك وانت تعود بعد مهمة ناجحة في الارض المحتلة ، كنت تتحدث عن الحسرة التى تحسها وأنت تغادر أرضك عائدا الى الامن .. تذكر اننى استأذنتك لحظات وانت تتحدث .. فررت من امامك خارج الكهف ووقفت أبكى فى الظلمة . خشيت أن أبكى امامك .. ان فيك شيئا مالم يعرف قط كيف يخضع ، سمه غضبا ، رقه ، حزنا . أنا لست أعرف تماما من اين تنبعث قوتك ، غير اننى احسست ان عروقك تحمل ذهبا بدل الدماء ، وانك لا يمكن أبدا أن تمـوت ولو قطعوك آلاف القطع .

وعرفت من الاخرين ان يده اصيبت فى هجوم ليلى على احدى المستعمرات الإسرائيلية ، عرفت انه يرفض الحديث تماما عن نفسه .. فكل الفدائيين لا يحدثونك عن انفسهم . ستعرف من أحدهم ما تشاء معرفته عن عظمة الاخرين او بطولتهم ، اما هو فالصمت اولى به .. وهم لا يسمون ما يقومون به بطولة أو عظمة ، ان الكلمات الكبيرة عملة اثرية لا يتعامل بها احد .. انهم لا يتحدثون هنا عن التضحية بحياتهم ولا عن البطولة ، انما يتحدثون فى لحظات الفراغ من العمـل عن ذكرياتهم وسلاحهم وحبهم وأبنائهم ، وكل شيء من شأنه أن يجعل للحياة معنى . وعند العمل يؤدون واجبهم ببسـاطة ،

يضربون ويعودون ، أو يضربون ويموتون .. يتم هذا ببساطة،وحيث لامجال للبساطة لامجال للعظمة ، وكل انسان فى الدنيا يتعذب لانه لا يعرف دوره ، وعندما نعرف دورنا نعرف سلام النفس ، يزول التناقض من حياتنا ونصبح فى قوة الانهار والجبال والنجوم .

. . . . . .

ولقد خالجنى هذا الاحساس فى قاعدة فتح وانا أستمع للشيخ بهبهانى .. ان عمر الشيخ لا يتجاوز الثلاثين .

لفت الشيخ انتباهى من اليوم الاول،وشدنى اليهاكثر أنه يعتنى بقطة هزيلة بيضاء . وعجبت لوجود القطة وسط الاحراش والجبال ، وكانت القطة تتبعه اذا سار وتقف اذا وقف ، خيل الى أن فى الشيخ قوة اتصال غير عادى ببقية الكائنات .. خيل الى انه يصادق الجبل والنهر والاحراش وحيوانات المنطقة .. قال لى اخوانه أن ضبعا متوحشا وقف يوما أمامه ، فلما حرك الشيخ رشاشه نحوه نكس الضبع رأسه ، ولم يطلق الشيخ رصاصة ، وأعطاه الضبع ظهره وفر .

فى بداية معرفتى بالشيخ ، ناديته بقولى « مولاى » ..

ــ كيف حالك يا مولاى ، واعجبته طريقتى فى ندائه فصرنا أصدقاء . وكنت أحس نحوه باحترام حقيقى•لما سمعته عن عملياته فى الارض المحتلة ، قلت له يوما وانا أجلس جواره على الصخر والقطة بيننا : أننى أهتم بالقطط مثلك . قال وهو يشير للقطة : هذه قطة لعينة.

قال كلمته وربت بيده على رأس القطة التى كانت تحس بالوحدة الحقيقية حين يخرج الشيخ فى مهمة

وعرفت من الفدائيين اخوانه أنه يطعمها اللحم فى الايام القليلة التى يوزع فيها ، وهى أيام لم أصادفها خلال وجودى الذى استمر بينهم عشرة أيام ، لم أصادفها غير يوم واحد ..

فى بداية وجودى بينهم شكوت من الجوع ، وتساءلت : هل يكمن السبب فى نقص المال .. وقيل لى :

ـ نحن نعتاد الجوع ، أحيانا يجد الفدائى نفسه فى الارض مجبرا على البقاء خمسة أيام بغير طعام ، اذا لم يكن قد اعتاد الجوع فسوف يتوه عقله ، وهناك شىء آخر نضيفه لمعلوماتك . نحن حين نفاضل بين لقمة العيش الطيبة وعدد الرصاصات فى الخزان نفضل الرصاص . بعدها لم اعد أشكو من شىء .

.....

وتمضى الحياة فى قاعدة الرصد العسكرى ، ويعود الاخ مروان قائد القاعدة يوما من مهمته داخل الارض المحتلة ، لم أصدق أنه عائد من هناك ، كان يبدو أنه عائد من رحلة لشم الهواء فى حقل زيتون قريب ، تعرفت عليه وربط بيننا الود ، واضاءت شخصيته فى ذهنى كثيرا من جوانب الشخصية الفلسطينية .

مع جنوده كان كلامه بمنزلة كلام الكتب المقدسة بالنسبة للمؤمنين ، اذا قال مروان شيئا نفذ الرجال كلماته ولو قتلوا ، حتى القطة الوحيدة البائسة فى المعسكر ، وهى قطة كانت تنام كما تحب فوق بطاطين الفدائيين لم تكن تقترب ابدا من بطانيته . خيل الى انه يشبه يوحنا المعمدان بعد أن قتلته سالومى ، لو عاد يوحنا الى

الحياة لعاد بالاقنعة السبعة ولاستحال قتله بعد ذلك ..
قلت له كيف تدخل وتمكث بهذه البساطة ·
قال ـ ادخل من النهر ، اذهب الى بيت صديق · اغير ملابسى وبطاقتى . أخرج من البيت وأسافر . من هذه البلدة لهذه البلدة . أركب على اليمين فى الاوتوبيس . انظر من الشباك · احفظ ما آراه كله بترتيبه · المطارات . الكمائن . الداوريات . ثم أعود من البلدة بعد أن أركب فى اليسار .. واحفظ كل ما آراه بترتيبه .. لا أستخدم الاوراق والقلم (.. لا أكتب شيئا . أحتفظ بكل شيء فى رأسى . وانا عائد ، أفكر أن أعود عن طريق النهر أو الطريق العادى · -

قلت له ضاحكا ـــ تغير مكانك من يمين الاتوبيس الى يساره دون تردد . فهم ما اريد قوله وابتسم : انا لا أثقل كاهلى بعبارات الانشاء العصرية التى تثقل كاهل العالم ·· اننى انتمى لفتح ··
قلت له ـ ما هى عقيدتك السياسية

أشار بيده نحو الارض المحتلة وقال : هذه عقيدتى السياسية · فلسطين ·· اننى أعرف ان الناس تختلف وتتفق فى عمان ، وهناك من يتحدث عن اليمين واليسار والتقدمية والرجعية . هناك من يتحدث عن علاقات الانتاج والطبقات ، وصراع الطبقات · وانا اؤمن بهذا كله واتفق معك فيه .. غير اننى سوف أسألك سؤالا :
هل يمكن أن ينشأ الصراع بين الطبقات بغير ارض تقف عليها هذه الطبقات .. هل يمكن أن ينشأ صراع بين طبقات تقف على الهواء ·· ان الصراع يحتاج لارض تنمو فوقها علاقات الانتاج وتؤدى الى اختلاف زيد عن

عمرو أو سعد عن بكر .. اين ارضنا .

اين فلسطين ..

.....

أحسست بمدى الصدق فى كلماته . ابناء النظريات وهواة المناقشات لا ينزلون الى الاغوار . لا تحلو المناقشات الا فى المقاهى أمام الحسان ، كى تعجب ليلى بقيس ويزداد هيام عزة بكثير ، انما يجىء ابناء الحياة والتجربة الحقيقيه ، ابناء الارصفة والموانىء والمرارة والالم .. معنا فى القاعدة ثلاثة طلبة فى الجامعة ومهدس كيميائى وطالب بالثانوى وبائع حلوى وعامل فى مقهى ليلى وصبى كان يعمل عند صانع احذية فقير . يأكلون جميعا من نفس الطبق ، وينامون على نفس الفراش ، ويمسكون بسلاح متشابه وليس فيهم من يقول هذه بطانيتى . أو هذه علبة سجائرى أو هذه فوطتى .. يشتركون فى كل شىء بعد ان ودعوا حياتهم بكل ما تضمه من تناقض . كان أكثر ما يثير دهشتى هذا الحب غير المفهوم الذى يربط بينهم ، تذكرت قوله تعالى « لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم» . كان يخيل الى فى أوقات كثيرة ان فتح لو قاومت ميلادها لولدت رغم انفها .. بأى صورة من الصور كان يجب أن تولد . انها ليست مجرد حاجة او ضرورة بقدر ما هى نتيجة حتمية لما أصاب الشخصية الفلسطينية ...

اليهودى التائه قديما اسلم مكانه للفلسطينى التائه ، القى به خارج بلده وصار هو النفى والنبذ ذاته . صار وجودا غريبا فى محيط لا يهضمه تماما ولا يرفضه . لا

يرفضهم المجتمع ·· فهم فلسطينيون من ابناء المأساة ، لا يقبلهم المجتمع فهم ليسوا ابناءه الحقيقيين . هذا الوضع المعلق كان هو النبذ ذاته ·· وكان هو النفى حقيقة ، وكان آلاف العوامل الكيميائية التى ولدت بسببها الثورة الفلسطينية المسلحة ··

.....

قيل لى ذات ليلة فى القاعدة ·· انت رئيس الحرس هذه الليلة ·

احسست بالراحة والامتنان · تصورت ان مهمة رئيس الحرس أن يجلس على الارض ويخدمه الحرس ، وتصورت عدد اكواب الشاى التى سيعدها لى الحرس هذه الليلة ، كان الشاى مشكلة بالنسبة لنا جميعا ، فالبابور اللعين لا يفتأ ينسد وليس فى الجبل ابرة بابور ، والشاى نشربه فى اليوم مرة وقد اعتدنا أن نشربه عشرات المرات · كانت مهمتى تبدأ من الثامنة مساء حتى الثانية صباحا . . بعدها كان الشبل هو رئيس الحرس . وزع قائد القاعدة الحرس كلا فى مكانه وتساءلت فى الثامنة الا ربع عن مهمة رئيس الحرس فقيل لى انه يطوف طوال فترة حراسته على الحرس ، يعد الشاى لمن يريد أن يشرب الشاى ، ويسقى من يريد الماء ، ويطعم من يرغب فى الاكل ويلاحظ يقظة الحرس ويخدمهم حتى تنتهى نوبته .. شربت المقلب ومشيت أكثر من عشرة كيلومترات ذهابا وايابا ·· غير اننى عثرت على جواب سؤال كنت ابحث عنه ··

لماذا هجر كاسترو مكانه فى المقهى الليلى فى نفس الوقت الذى هجر فيه المهندس الكيميائى مكانه فى المعمل

الذى كان يعمل فيه ، ما الذى اجبرهما معا على الانجذاب نحو هذه البقعة .

ان حياة الانسان فى نهاية الامر ليست هى رغبات معدته أو ضغط ظروفه الاقتصادية . تؤثر المعدة فى الانسان وتؤثر ظروفه الاقتصادية عليه ، غير أن هذا ليس كل شىء . . الانسان يختلف عن وحش الغابة الذى ينام مطمئنا بعد ان يأكل ..

أحيانا كثيرة لا ينام الانسان ان كان ينقصه شىء نفسى يسمونه الانتماء ، وعندما ينتمى الانسان لنفسه وحدها يصبح اتعس الناس ، وبعد ضياع فلسطين كان الفلسطينيون هم اتعس الناس .

كان كاسترو عامل المقهى والمهندس الكيميائى يقولان كلاما عن بلدهما ، وهما بعيدان عنه ، كانا يجاهدان بالكلمات ، وجهاد الكلمات يمزق الانسان ويقسم شخصيته ، ولم تكن هناك طريقة لتجاوز هذا الوضع الذى يجدان نفسيهما فيه غير الاختيار ، واختارا فتح ..

ايضا عثرت تلك الليلة على جواب لسؤال آخر .

هل فتح أمل ام لا .. ؟ وما هو مقدار هذا الامل . ؟

اعتقد بعد تجربتى انها أمل .. وربما كانت هى الامل الوحيد القائم بالنسبة للشخصية الفلسطينية . والثورة الفلسطينية ، غير ان مقدار تأثيرها يتوقف على نوع العون الذى تقدمه لها الجماهير العربية .

.. ولو قدر يوما لهذا الامل ان يتعرض للضياع فقد ضاع آخر الامال .

. . . . .

اليوم السابع فى القاعدة .

تتغير طبيعة الانسان عندما تتغير ظروفه . الحياة فى احضان الجبل تمنحك جزءا من صلابة الجبل ورائحته . فى اليوم الاول تحس بالاستشهاد وانت تنام على الارض . وفى اليوم الثانى تبحث عن قطعة مستوية من الحجر تصلح وسادة ، وتتمنى ساعتها لو كنت نحاتا لتنحت وسادة مستوية . وفى اليوم الثالث تصبح لك رائحة غير انسانية ، هى مزيج من رائحة صخور الجبل ومعادنه وزيت البندقية وحديدها الذى يلتصق بك . وفى اليوم الرابع تنسى شكل قدميك فأنت لم تخلع حذاءك منذ أربعة أيام ولن تخلعه الا بعد أسبوع . لا يعود الطعام مشكلة بالنسبة لك ، تعلمت معدتك التواضع والادب ، ايضا تفقد رغبتك فى الشاى المقمر والقهوة وكل الرغبات الانسانية الصغيرة التى تعودتها فى حياتك .. وفى اليوم الخامس تكتشف انك لم تعد تحس بالتعب ، تنام اربع ساعات فى الليل مثل الصخرة وتستيقظ نشيطا مثل رغيف الخبز ، وكنت من قبل تنام ثمانى ساعات منهن ثلاث ساعات للارق ، ثم تستيقظ على دفعات وتنهر من يتجرأ على ايقاظك .. وفى اليوم السادس تسير ساعة وسط صهد الجبل لتسبح فى بحيرة طولها يزيد على طولك خمس مرات ، وهناك تغسل ملابسك وتستحم وترتدى الملابس مبللة كما هى ، سوف تجف الملابس خلال الساعة التى تعود فيها .. وفى اليوم السابع ستبدو لك حياتك القديمة منذ سنوات مثل حلم بعيد غارق فى الضباب ، حلم تعتقد خلال اليقظة انه لم يكن موجودا قط .. وبعد فترة من الحياة جوار النهر يصبح النهر رغبة مشتهاة ومكبوتة .

قال مروان فى اليوم السابع : سنعبر النهر هذه الليلة ..

فى حياة الفدائيين شيء يشبه جاذبية الشعر وبداهته · شيء غريزى ومدهش · فى الحياة المدنية يمكن اختصار نصف كلام الناس دون أن يخسر احد : اما الفدائيون فيؤمنون بالايجاز الشديد كالشعراء · وفى الحياة المدنية لا تتحول الكلمة الى فعل بالضرورة ، وفى حياة الفدائيين الكلمة هى الفعل ·· وذلك يشبه الدراما ·

وبدأ الشباب ينحنون على الاسلحة وينتقون القنابل ويعبئون الالغام ، شيء ما فى منظرهم كان اقرب الى الطقوس الوثنية التى قام بها اورفيوس وهو يتهيأ ليهبط الى الجحيم . لانقاذ عروسه .

حدد القائد اسماء الذين سيعبرون النهر ·· لم يكن من بينهم اسم كاسترو ولا اسم الشبل ·· ثار الاثنان ثورة عنيفة واضرب كاسترو عن الطعام وتحدث بكلام كثير يفهم من معناه انه لم يأت هنا للنزهة فى الجبل ·· وصرخ فيه قائد القاعدة ، واحتدمت المناقشة بينهما وخيل الى ان الانضباط العسكرى يوشك أن يفلت فى القاعدة ·· ثم وقف القائد وأمر كاسترو بالصمت فصمت ·· امره أن يسجن نفسه يوما فانصاع كاسترو واتجه الى كهف غائر فى الجبل ·· وعرفت للمرة الاولى ان هناك سجنا فى القاعدة . غير انه سجن للثوار ··

اى قوة جذب غريبة ينطوى عليها النهر ؟ وأى قدرة لفتح على تجميع هذه العناصر المتباينة وصهرها فى بوتقة واحدة والتخلص من شوائبها واعدادها لطاعة تشبه طاعة الرعيل الاول من المسلمين ·

. . . . . .

سقطت الشمس وراء الافق ·· بعد ساعة يتحرك الرجال فى مهمتهم

ـ حمدا لله على وضعنا الان ·· كنا قديما نشبه حال الشيخ بهبهانى مع مسدسه ··

ألم يحدثك الشيخ عن قصته مع مسدسه ·· كان يملك مسدسا اثريا غريب الشأن ·· لا يكاد يطلق به رصاصة واحدة حتى ينهار المسدس الى قطع صغيرة ·· يتفكك فى يده الى أصوله الاولى ، وكان الشيخ يحمل معه عدة كاملة لاصلاح المسدس ، وهكذا يجلس الشيخ على الارض ويربط اوصال مسدسه ويعيده كما كان ، فاذا أطلق منه رصاصة ثانية عاد المسدس يقع مغشيا عليه وعاود الشيخ ربطه من جديد · فى البداية كان حالنا هكذا مع النهر ·· وكانت الالغام تنفجر أو يبحث عنها الجيش الاسرائيلى ويهتدى اليها .. ولم تكن هذه غير الخطوة الاولى التى تبدأ بها رحلة الالف ميل ·· ثم تطورت عملياتنا من زرع الالغام الى الاعمال التعرضية ·· كنا نتقدم فى جماعات مقاتلة ونعترض داوريات العدو أو كمائنه ثم جاءت معركة الكرامة.. وكانت نقطة تحول فى وجودنا ، كنا نختبىء فيها ، وتصورت اسرائيل انها لو قضت على الكرامة فقد قضت على العمل الفدائى ، ولقد كشف اسلوبها فى حرب الكرامة حقيقة احساسها بالفدائيين · لم يكن عدد الفدائيين فى الكرامة يتجاوز المائة الا قليلا ·· كيف واجهتهم اسرائيل ·· ابتداء من الصباح الباكر بدأت الطائرات تقصف الكرامة ·· فى نفس الوقت الذى كانت

المدفعية البعيدة تضربها ، فى نفس الوقت الذى تقدمت فيه ارتالمن الدبابات والمدرعات نحو الكرامة . لقد زرت الكرامة ، بعد ان تم تسوية البيوت بالارض ·· بدأ اسقاط المظليين ·· وتحركت الدبابات من يمين البلدة ، وتحرك جيش المظلات من يسارها فى كماشة ، ولقد كان على القيادة السياسية لفتح أن تقرر شيئا غاية فى الاهمية .. هل يقاتل الفدائيون فى الكرامة أو ينسحبون ، لقد كان الانسحاب هو الحل العسكرى الامثل ، لانعدام التكافؤ التام بين القوتين ، غير ان القيادة السياسية كانت تمد نظراتها لابعد مدى ·· لم تكن لتفلت هذا الصيد الثمين الذى عبر نهر الاردن وعبر جسر الملك حسين وجاء هكذا بالصلف ·· وصدرت الاوامر بالقتال .. كانت النتيجة معروفة مقدما . سيقتل الفدائيون غير ان حجم الخسائر التى وقعت فى الجيش الاسرائيلى يومها كانت درسا طيبا له ·

وفى مقابل استشهاد عدد من الفدائيين · قتل أكثر من ألف جندى اسرائيلى .. الشهيد ربحى لف جسده بالمواد الناسفة واحتضن أول دبابة تتقدم رتل الدبابات .. وحين تطاير مع الدبابة قطعا فى الهواء ، توقف تقدم الصف .. وانهالت قذائف الـ .ر.ب.ج على الدبابات .. هل رأيت مدفع الـ . ر.ب.ج ؟ ان قذيفته تولد حرارة اعظم من درجة انصهار الحديد مئات المرات ·· ومن فوهة المدفع الخلفى يخرج لسان من اللهب يمتد عشرين مترا وتتحول الدبابة الصلبة الى سائل عندما تصطدم بالطلقة .. انتهت معركة الكرامة بانسحاب الجيش الاسرائيلى وبقاء الفدائيين .. دفنا

قتلانا فى دمائهم كما هم ·· وتعلمنا من المعركة كيف تنظر الينا اسرائيل .. عثرنا على جنود الدبابات وقد ربطوا فى دباباتهم بالسلاسل ·· ان خرافة الجيش الذى لا يقهر تنكشف لنا يوما بعد يوم ·· ان الجندى الاسرائيلي يظل على شجاعته ما دام يقاتلك من وراء دروع طائرته أو دباباته أو مدرعته « لا يقاتلونكم الا من وراء جدر محصنة » فاذا استطعت زحزحته من وراء الجدر المحصنة فقد كل شجاعته ·· وهكذا تطورت عملياتنا فى الاراضى المحتلة ·· من زرع الالغام الى التعرض للكمائن الى الاصطدام بالجيش الى احتلال مواقعه جزءا من الوقت ·· نحن اليوم نعبر النهر نتخلص من كمائنه ونتجه نحو احدى القواعد الثابتة ·· نضربها ونحتلها ونرفع عليها العلم الفلسطينى ساعات ثم تنسحب ، عملية الحزام الاخضر وعملية الحمة .. هل تقول فى نفسك لماذا نضرب ونحتل وننسحب ، سيجىء علينا الوقت الذى نضرب فيه ونحتل ولا ننسحب · ان الخط البيانى لتطور العمل الفلسطينى المسلح يعنى أننا فى الطريق لحرب شعبية شاملة لتحرير الارض ·· وعندما يكتمل اعداد جيش الفدائيين خارج الارض المحتلة وداخلها ·· سنعرف كيف نضغط على اسرائيل لصالحنا ·· الوقت فى صالحنا .. مهمة الليلة التى تخرج فيها ليست أكثر من شمة هواء ·· ستعبر النهر معهم وترى الشباب وهم يتوغلون فى الارض المحتلة وتعود . الا تريد أن ترى النهر ·

· · · · ·

انعقدت حلقة الشباب الذين وقع عليهم الاختيار

للعبور ·· وانسابت اغانيهم وسط سكون الجبال ·

كانوا يغنون مثل ناس فى طريقهم لحفل عرس .. وكان الليل موحشا حين حملتنا السيارة ·· كنا فى الطريق لاكثر من قاعده لتجميع بقية الذين سيعبرون النهر ·· وكانت مهمة العبور تستهدف رصد تحركات جديدة يقوم بها العدو على طول الجبهة المحتلة ·

واستمر غناء الشباب فى السيارة ، وكلما ضغط قائدها على البنزين زاد هياج الشباب وانفعالهم ، كانوا يغنون ويضربون على الرشاشات بأيديهم ويتمـايلون انفعالا وغبطة · وجاملنى احدهم بموال مرتجل على عادة العرب ، مجدنى الموال كسبع من سباع الفلا ، رفعت يدى الى رأسى ردا على تحيته الرقيقة · كنت أجلس فى مقدمة السيارة والرشاش بين يدى محاولا ان افكر ، أن أحصر ذهنى وأفكر ، لم أكن اعرف تماما أى شىء ينبغى على ان افكر فيه · ثمة صورة كانت ترتفع من مكان سحيق فى نفسى ، وكلما ارتفعت الصورة تجمد تفكيرى تماما ·· كانت الصورة تمثلنى مضرجا بالدم ومنطرحا على ضفاف النهر الاردنى ، والقمر يرسل اشعته الشاحبة على الضفادع التى تتواثب حولى · ورغم شاعرية الصورة فقد كانت كافية لبعث القلـق والتجمد ·· ومع احساسى بالخوف خامرنى الشعور بحزن غامر وكثيف لاننى خائف ، ولم استطع أن أمنع نفسى من اعجاب يبلغ حد الكراهية بهذا الشغف والتهلل والحنين والاشراق الذى كان يحرك الفدائيين خلفى فى السيارة ·

توقفنا فى احدى القواعد وهبطنا من السيارة .

جاءت جلستى جوار الشيخ . قال لى :
أزعجك غناء الشباب.
ابتسمت فى وجهه ودهشت لسرعة ادراكه قال :
ـ الخوف شيء طبيعى فى هذه المواقف .. من لا يخاف لا يستطيع أن يخيف . صمت قليلا ثم عاود حديثه:
الفرق بين الجبن والخوف هو تنفيذ الاوامر التى تلقى عليك ..
وعاودنا التحرك وقد ذهب شعورى بالخجل من خوفى وان بقى الخوف نفسه ...

بعد وقت .. صمت الفدائيون فى السيارة ... أطفأ ابو كفاح أنوارها تماما وصدر الامر بالكف عن التدخين وبدات السيارة تشق طريقا متعرجا وسط الاغوار .. كان الصمت المفاجىء ثقيلا ومريبا تماما .. بعد رحلة شاقة وصلنا لاحضان جبل خبأنا السيارة فى جوفه وهبطنا منها .. اصطف الفدائيون طابورا وقف على رأسه قائدهم وبدا السير .

بدأت أشق مسيرة عرفتها فى وجودى كله .. طوال ساعة كاملة كنا نسير على ارض لا تكاد تنخفض الا لترتفع .. ولا تكاد ترتفع الا لتنخفض .. مرة تحس ان الارض صخرية .. وفى مرة أخرى تحس أنها رملية .. ثم تجىء أعشاب طرية .. ثم تجىء أشجار شوك نمزقها وتمزق سيقانك . وهم يسيرون فيما يشبه الهرولة . جف حلقى تماما بعد نصف ساعة من السير وأحسست ان جسدى كله يسبح فى العرق .. وكان كل همى أن اغلق فمى حتى لا ألهث .. اسير فى مؤخرة الطابور .. انكفات مرتين على وجهى غير اننى كنت اقفز مستعينا

براسى ويدى على الفور .. بعد فترة اشار الى ابو كفاح أن اتبعه .. وهرولت اليه وانشققنا معا عن الطابور نحو اليمين .. لم استطع ان اقاوم فضولى وسألته همسا : لماذا نتجه نحو اليمين ؟ قال هامسا : نتقدمهم لنحميهم من اليمين . ملأتنى الفكرة بالشجاعة غير اننى كنت أطل كل لحظة ورائى لاتأكد أنهم معنا .. صار الطابور بالنسبة لى بقية جسدى .

.....

وصلنا قبلهم الى مكان مرتفع يشرف على النهر ، اخيرا هذا هو نهر الاردن . كان الليل ساكنا من ليالى أغسطس والقمر نصف غائب ،أتنفس بعنف ،ملابسى مبللة تماما من العرق ، متعبا كنت ويقظا لدرجة الحساسية المرهفة . أشار ابو كفاح بيده نحو الضفة الاخرى وقال: ارضنا .

وبدأ شريط المياه الاسود مثل جرح غائر فى الارض .

أحسست باكتئاب الضفتين وتأملت هذه الاخيلة السوداء التى تتزاحم على صفحة النهر وحين دققت النظر لم يكن هناك شىء غير لون المياه الاسود الذى يلمع فى مكان وينطفىء فى مكان آخر ..

وقفنا نرتاح ثوانى قليلة ثم وصل الطابور تحتنا تماما .. صعد ابو زيدان منه وبقى معى .. وهمس ابو كفاح وهو ينصرف أن أبقى مع أبو زيدان للحماية وعندما استدعيك اهبط بغير صوت .. جلس ابو زيدان على ركبتيه وسط الرمال والاعشاب فجلست جواره انبطح على وجهه وفى يده سلاحه فانبطحت على وجهى

وفى يدى الرشاش .. أخيرا أستطيع ان انال قسطا من الراحة ٠٠ كنت مستعدا لاطلاق النار ورحت ارهف السمع لكل الاصوات ، اننى احمى رؤوس رجال يزن الواحد منهم مئات الرجال ٠ وبدا الرفاق يعبرون النهر ٠٠ ابو كفاح يتقدمهم وهم يعبرون واحدا واحدا معه ٠٠ كان يمسك بيد كل واحد ويعبر به النهر ثم يعود لاحضار غيره .. الماء يرتفع الى صدريهما . وصوته عندما تتحرك فيه الاقدام رهيب يوحى بعنف دواماته . مددت بصرى فى الظلمة الساجية . ان لون النهر الاسود وهذه السماء المبهمة الغامضة وهاتين الضفتين المكتئبتين وصوت الريح القاسى وصراخ صرصور ينادى انثاه ، وهذا الشبح الذى يعبر النهر ويرى ببصيرته وتجربته صخور القاع فيسير عليها .. كان هذا كله كافيا ليفعم قلبى بفرح عظيم وغير مفهوم ٠٠ ليست المسألة صعبة كما تصورت . لم أكن أفكر فى الموت . أعلم ان السكون يمكن ان يتمزق عن لعلعة الرصاص لكن التصاقى غير المرئى بهذا الطابور الذى يعبر النهر واحدا بعد اخر يجعلنى أحس اننى لا يمكن أن أموت .

كنت اشعر فى مكانى بثقة لا حد لها واطمئنان لا مزيد عليه .. أحسست برغبة فى النوم .. اسندت رأسى فوق حديد الرشاش ونمت .. نمت نوما عميقا أكثر من عشر دقائق . عندما استيقظت وتأملت ساعتى الفوسفورية كان أبو كفاح يتهيأ ليعبر بآخر الرجال .. وأشار الى بيده أن أهبط فهبطت .. امسك بيدى وامسك الفدائى الاخر بيدى الاخرى وبدانا نعبر . القاع يتلون بين الصخور والطين . والماء يصل فى مناطق الى الصدر وفى مناطق للركبتين واحيانا للعنق .. قوة جذب الماء

شديدة ·· توقفنا قليلا عند الضفة المحتلة ولاحظ ابو كفاح ساعتى الفسفورية فأشار أن أخلعها .. وعدنا نتقدم .. نسير الان فوق الارض المحتلة. ان شعورا من المتعة والرهبة يتعاقبان على النفس فى موجات . ينتظرنا أحد الفدائيين على الضفة الاخرى .. التحمنا نحن الاربعة وبدأنا نسير نحو اول مركز يحتله من عبروا النهر ··

حدث أثناء سيرنا ان توقف أبو راشد وكان يتقدمنا .. اشار بيده ان نتوقف · سمعت صوت أمان الرشاشات وهو يفتح .. واتخذ الثلاثة وضع الاستعداد للضرب وحنوا اجسادهم وراحوا يصيخون السمع ·· فتحت امان الرشاش ووضعت يدى على الزناد مثلهم تماما ، كان الثلاثة يتقدموننى ·· واحسست فجأة برغبة فى الضحك .. كانت فوهة رشاشى مسددة الى ظهورهم .. ولو بدأ اطلاق النار فجأة فسوف يكون رد فعلى المباشر ان اضغط أنا الاخر زناد الرشاش . وهذا معناه اننى سأقتل الثلاثة . وحولت الرشاش بعيدا عنهم واجتهدت طيلة الوقت ان يبقى سلاحى بعيدا عن ظهورهم ·

لم يكن هناك شىء .. اطمأن ابو كفاح على القاعدة المتقدمة وعدنا الى النهر ، لا انكر ان احساسى بالعودة كان ثقيلا .. مثل طفل ينتزعه ناقوس المدرسة من حلم جميل

.....

وكان أقسى مافى العودة هذه المسيرة الطويلة المرهقة حتى عدنا الى السيارة . تنتظرنا مفاجأة جوار السيارة قطة لطيفة تتمسح فى أقدامنا المبللة وتلقى بتحية المساء وربما تتساءل عن اخبار الاسماك فى النهر ·· قدمنا لها علبة من الجبنة الفاخرة التى كنا سنتعشى بها فى

القاعدة . وعدنا الى القاعدة وبى رغبة عنيفة فى احتساء كوب من الشاى .

قال لى أبو كفاح : اى شىء تريد الان .

قلت : نصف مملكتى لمن يأتينى بكوب من الشاى .

غير ان السرور لا يدوم فقد انسد البابور اللعين وليس فى الجبل كله ابرة وابور .

رغم رغبتى الهائلة فى النوم ، اكتشفت بعد عودتى اننى مكلف بالحراسة فى كمين من الساعة الثانية الى السادسة . حاولت التنصل محتجا بالتعب .. فكشر رئيس الحرس وقال : اننا لا نمزح .. حاول قائد القاعدة ان يعفينى من المهمة مستخدما نفوذه لكن رئيس الحرس ، وكان ابو حسن رفض تماما فانصعت للامر وقضيت بقية الليل حتى الصباح منتصبا بطولى فى حفرة غائرة مع أبو نبيل ، واحتل معنا الكمين عدد لا بأس به من النمل ..

ومرت الليلة فى مناقشات هامسة .

. . . . . .

مع اول ضوء انطلقت الصرخة ان طائرات عدوة فى السماء .. ولم يكد الصوت ينتشر بين الجبال وقبل أن يرتد صداه صرخ القائد .. انتشروا .. كانت الكلمة جديدة تماما بالنسبة لقاموسى العسكرى ، وفى ثوان قليلة رفعت كل البطاطين من الجبل ورفعت الاوانى وخبئت المدافع وبدا الجبل بريئا يكاد يبتسم .. بحثت عن الشيخ .. لا بديل له هنا فى مثل هذه المواقف . لم أكن خائفا بقدر ماكنت احس برغبة عظيمة فى المرح .. وكنت

اعرف ان احدا فى القاعدة كلها لن يحس بالمرح الان مثل الشيخ ·

ـ ماذا حدث يامولاى ·

اتبعنى ·. قالها هو يتقدمنى عدوا فى ممر طويل فى الجبل يسلم الى حقل هائل من الاعشاب الطويلة ·

ونحن نجلس معا وسط الاعشاب سألته ماالذى جاء بالطائرات ··

قال خطيئتنا ان أردت الحقيقـــة الكلية وثمة سبب بشرى ، فقد استيقظ مدفعان عراقيان فى الصـــباح وأفطـــرا بدبابة اسرائيلية .. الطائـــرات تبحث عن المدفعين ··

انفجرت القنبلة الاولى على يســـــار الجبل ··· واشتعل يسار الجبل ·· يضربون بالنابالم ·

هل تتوقع ان يضربونا بالشكولاته ·· انهم يستخدمون الغازات السامة أحيانا .. عصرنى خوف بارد وانطفأت رغبتى تماما فى المرح · وبقى الشيخ على هدوئه اللطيف القاسى .

قال الشيخ ليس هذا ضربا ·· وحدثنى احد رفاقه الفدائيين عن ضرب شهده وكان رهيبا بحق ·

فى معركة الكرامة كان الشيخ يجلس داخل حجرة تمتلىء بالذخيرة فى احدى القرى التى تتعـرض للضرب .. وأصابت احدى الطلقات الخارقة جانبا من سقف الغرفة فطار ·· وطار باب الحجرة ·· وبقى هو وسط الذخيرة يعد الشاى ويتفرج على وجه حمار يقف هناك ·· وكلما ارتجت الارض تراجع الحمـــار الى الخلف ·· وحين عاد الشيخ بعد انتهاء كل شىء سأله رفاقه : كيف كان عنف الضرب ؟

أجاب : كان وجه الحمار يشحب .. أما أنا فقد شربت الشاى ..

وعلى الساعة الرابعة ذهب صوت الطائرات تماما ولم تعثر على المدفعين اللذين طالما شربنا معهما الشاى ولم تكتشف مكاننا ايضا .

قال لى :

ليست حياتنا سهلة .. نعتقد ان الشجاعة هى الايمان بالله . ان الموت مخلوق مثلنا .. اليس غريبا ان نخاف من المخلوق ولا نخشى الخالق .. قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار .

كان عدد شهدائنا من سنة ١٩٦٣ الى سنة ١٩٦٦ خمسة عشر شهيدا . فى سنة ١٩٦٧ ارتفع عدد شهدائنا الى خمسين ، سنة ١٩٦٨ وصل عدد شهدائنا الى ٢٠٩ شهداء .. ولم نحص عدد شهدائنا هذا العام.

تمثل العاصفة لنا نقطة التحول فى تمرد شعبنا على القيود والوصاية والتبعية .. فجرنا الثورة دون اذن من احد .لنا قواعدنا فى الداخل ولنا أصدقاء واخوان. عندما نخرج فى احدى عمليات الرصد نشاهد الكمائن الاسرائيلية احيانا من البعد ، وهم يشعلون السجاير فى الليل لينبهونا لوجودهم .. كأنهم يقولون لنا : لا تضربوا ولن نضرب نحن . تصلنا هذه اللغة الليلية نعرف احساس اسرائيلى يضرب برشاشة الـ ٥٠٠ الذى يبلغ مداه سبعة كيلو مترات ، وهو يخبىء رأسه خوفا من أن يطير. نوعية الفدائى منا هى نوعية الاسير منا هى نوعية الشهيد .. رفض الملازم وليم نصار اثناء محاكمته العسكرية فى اسرائيل ان يرد على رئيس المحكمة لانه لم يناده باسمه

الحركي ورتبه،وقال له : لقد كنت أنت ذات يوم عضوافى عصابة شتيرن ودارت الايام وأصبحتتحاكم الناس . وسيدور الزمن واصبح حاكما اقاضى المجرمين مثلك . لنا شهيد عمره ثلاثة عشر عاما ، حاصرته الدبابات والمصفحات مع زملائه وقتل عديدا منهم وحمى انسحاب زملائه حتى استشهد .. ودفنه القائد العسكرى الاسرائيلى فى جنازة عسكرية احتراما لشجاعته وهو الطفل ابن الثلاثة عشرة عاما .

ثمة اخطار تهددنا من الخارج والداخل . احد شهدائنا قتل وهو عائد من الارض المحتلة بعد عملية ناجحة .. الخيانة عدونا .. والانقسام عدونا . نؤمن ان الزمن فى صالحنا وان دمنا لن يضيع . لا نحس بالفخر فلم نحرر من بلدنا مثل هذا الجزء المشتعل من السيجارة . أيضا .. لا نخاف الموت فان كرامتنا أن نموت أو نحرر الارض . .

سنفتقدك كثيرا بعد أن ترحل ..

اعطانى كل واحد من رفاق الجبل تذكارامنه . كل واحد انتزع رصاصة من رشاشة أو طلقة من مسدسه واعطاها لى .. منحنى رفيقى فى طهى العدس شارة العاصفة وهى شارة يتقاتلون عليها هناك ويعتزون بها كثيرا ..

ولم اعرف ماذا اقدم لهم ساعة الرحيل غير الكلمات ..

كلمات .. كلمات .. كلمات ..

مروان



بعد أربعة أشهر التقيت بقائد القاعدة فى القاهرة ..
كنا فى شهر رمضان وكنت اكتب مذكرات صائم ..

وفوجئت به يدخـــل مكتبى فى الجريدة .. يتوكا على عكازين وقدماه فى الجبس ووجهه جريح ..
بعد ان مضى كتبت حلقة فى مذاكرت صائم عنه .. هى تكمله للوجوه التى قابلتها من فتح ..

الصـــوم أنواع .. كان نبى الله داود يصوم يوما ويفطر يوما .. وكانت مريم ابنة عمران تصوم ثلاثة ايام فى الاسبوع ، وكان النبى عليه الصلاة والسلام يصوم يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع .. وكان المقاتلون فى ايام الاسلام الاولى يفطرون اثناء المعـارك او يصومون .. منحهم النبى الامارة على أنفسهم ، صار حكمهم حكم الصائم المتطوع .. ان شـاء صـام وان شـاء أفطر .. وهو .. كان مفطرا حين انفجر اللغم ورماه على وجهه جريحا ينزف .

كان هذا فى اليوم الثالث من رمضان ..

لو يكذب الزيت فى قناديل الانبياء . لو يكذب القمح وهو يشق الارض نحو الشمس ، لو يكذب صوم الصوفيين فى العشر الاواخر من رمضان ، لو تكذب دموع مريم المجدلية وهى تغسل قدمى السيد المسيح ، لو كذبت هذه الاشياء كلها فصومه هو لا يكذب ، صومه أصدق .. كان مفطرا وسجلت الملائكة انه صائم ..

والصوم انواع ، اولها وابسطها صوم الجـوع والعطش الذى اخترته . اما هو .. اما صديقى الفدائى من « فتح » فكان يصوم صوما من نوع آخر .. كان صائما عن الحياة نفسها . كان متجها بقدميه نحو الموت . يترك الصـــائم طعامه وشرابه من أجل الله ، ويترك المجاهد فى سبيل الله حياته من أجل الله . ولهذا قال

رسول الله : « من قاتل فى سبيل الله ليلة خير ممن صام الدهر » .

اسمه مروان

له مائة اسم .. فى تل ابيب له اسم .. وفى الجليل له اسم ، وفى اغوار الاردن له اسم ، وفى بيسان له اسم .. مائة اسم ووجه نبيل واحد ، اسمه الحقيقى تركه فى شهادة الميلاد فى الخليل ..

قرية من قرى فلسطين المحتلة ..

مقاتل من « فتح » كان قائدا لقاعدة من قواعد

الفدائيين فى اغوار الاردن .. التقيت به عشرة ايام وأشهد ياربى انه كان صائما أيامها،ولم يكن الوقت يشير لرمضان . كان يأكل طوال النهار كسرة من الخبز ويشرب قدحا من الشاى فى علبة صدئة من الصفيح ، بعدها يحمدك حمدا ينبغى لجلال وجهك ويليق بعظيم سلطانك .

عشرة ايام عشتها معه ياالله .. جعت فيها كما لم أجع فى حياتى قط ، وكان امتناعنا عن الطعام لا لانعدام القدرة عليه وانما لا نهم قالوا لى هناك : نوفر ثمن الخبز لنشترى الرصاص .

كان يمزح وهو يتحدث عن الموت ، وكانت لديه قدرة على المزاح بلا حد . وكان اذا غضب بدا عليه الهدوء واحسست ان الجبال حوله هى الغاضبة .. وكان اذا اصدر اوامره الهامسة اطاعه حتى الحصى فى الاغوار فلم يصدر صوتا والفدائيون يمشون فوقه .

سأله ياسر عرفات يوما : الا تنوى الزواج ؟

وأجاب : نسيت تماما اننى رجل .

غير انه كان فى ميزان الحق والرجولة الف رجل .

دق التليفون فى مكتبى منذ يومين ٠٠ لم اتبين صوته فى البداية ٠٠
ـــ انا مروان . . غير معقول . . ما الذى جاء بك الى القاهرة . . مستشفى . . أى مستشفى اريد ان أراك . . قال لى . . سأمر أنا عليك . . فلا تزعج نفسك .
وحين فتح باب غرفتى دخل وقدماه فى الجبس ، وثمة عكازان يمشى بهما وجرح غائر فى الوجه النبيل ، غاص قلبى وجاهدت الا أبكى وانا أقبله . . لم يكد يجلس حتى بدا يمزح . جلس معى ثلاث دقائق لم أكف طوالها عن الضحك ٠٠

اليوم الثالث لرمضان ٠

الشمس لم تستيقظ تماما بعد . دقت أجراس التليفون فى الجيش الاسرائيلى ٠٠ تبلغ عن عدد من الفدائيين فى المنطقة . . بدا ضرب المدفعية وخرج الطيران ٠
تحرك هو الى ارض الاردن ٠٠ انفجر اللغم جواره فالقته الصدمة على وجهه . لم يشعر بشىء . . فى البداية . . نام فى هدوء . . حين استيقظ ادرك أن وجهه فى الارض . . حاول ان يحرك وجهه فلم يستطع . . قدماه أيضا لا تستطيعان الحركة . . وثمة دم جواره على الارض . . ادرك انه مات أو بسبيله الى الموت . .

أغمض عينيه ، وحرك يده فوجد انها تتحرك ، لم يمت اذن هو حى . اذن ما الذى سمعه وهو منطرح على الارض ٠ . هل سمع تسبيح اعماق الارض ٠٠ هل سمع شهادة التراب لدمه يوم القيامة . . عاوده الاعياء وانطفأت الشمس أمام عينيه فأدرك انه عاد ينام . . وتحرك لسانه : لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ٠

ومكث مروان منكفئا على وجهه زمنا . كان صائما طوال هذا الزمن وبلا طعام غير هذا الاتصال المجهول بينه وبين خالقه كلما استرد وعيه ·· علم الفدائى سائق سيارته انه أصيب ولم يحضره أحد .. أحضره وجازف بنفسه تحت وهج النيران ·· تذكرت هذا الفدائى الان .. كان يقود السيارة دائما بسرعة .. وكرهته من اجل سرعته وطيشه فى القيادة .. كان يبدو لى شيطانا بعينيه القاسيتين ومجازفاته وسط الصخور المهلكة ··

الان يا صديقى يسفر طيشك فى القيادة عن انبل وجوهه .

انتقل مروان من الارض السلبية الى الضفة الشرقية الى مستشفى الميدان الى المستشفى العام فى الاردن ·· قال الاطباء : يجب ان نقطع قدميه .. وقال ياسر عرفات:

ــ ابدا لا تقطعوا قدميه .. ليس مروان بالذى يحتملها عندما يفيق .. دعوه ليموت ان كنتم ستقطعون قدميه .

واجريت أول جراحة له .. كان وجهه محطما وكانت قدماه .. آه .. نجحت أول جراحة ووضعت ساقاه فى الجبس .. لن يمشى كما كان .. سيحتاج الى التوكؤ على عصا . قال قائده : يذهب الى مصر .. يكمل الجراحة هناك ..

ليست مصر أمه ، غير انها من فرط أمومتها تصلح أما فى ساعات الشدة والضيق والجراح ·

هاهى مصر ·

هاهو المستشفى ·

قال أصدقاؤه : نجحت العملية ولله الحمد ، نقلوا له عظمة من جنبه الايمن وعظمة من جنبه الايسر

ووضعت فى قدميه بدل العظام التى تطايرت من الضربة .. لم ينم بعد ومزاجه عظيم ..

حجرته فى المستشفى هادئة .. أكثر الحجرات هدوءا .. عدد زواره قليل .. رجال فقط هم الذين يزورونه ، شباب صغير من أبنائه فى الاغوار وتلاميذه. لم تزره امرأة واحدة قط .. لم تزره أخته ولا امه ولا زوجته ولا حبيبته .. لا يملك مثلنا اما واختا وزوجة او حبيبة. استبدل بهذا كله فلسطين . لا زهور فى الغرفة. وحيد يا صديقى وعظيم فى وحدتك : الجريحة مثلما كنت فى الجبل ..

قال له الطبيب : بعد عشرة أيام تنهض وبعد شهر تعود الى الاغوار لتقاتل ، كاد يقفز فرحا من الفراش ليقبل الطبيب .

تأملت وجهه الشاحب .
لم نكن نسمع موسيقى
ولا نبصر لون الكلمات
كان فى الغرفة مليون بطل .

مركب خوفو

بعد خمسة آلاف عام ، تحولت ١٢٢٤ قطعة من مركب خوفو الجنازية الى صورتها التى كانت عليها قبل أن تدفن ، استغرق ترميمها وتركيبها أربع سنوات .

قال الكاهن الاشيب . انك تعيش . انك تعيش . ارفع نفسك . انك لن تموت فقم وارفع نفسك بين النجوم التى لا تفنى . انك لن تفنى ابدا .

ترد صوته فوق مركب داكن يمضى فوق النيـــل ، القناديل تشتعل داخل الحجر الملكية التى يرقد فيهـــا جثمان خوفو . الضوء ينبعث من زيت الخروع القادم من اشجار سيناء .

الزيت نقى يضيىء بغير رماد ، موج النيل الضعيف يتكسر على جسم المركب المصنوع من أرز فينيقيا . كل شىء يشترك فى احتفال الجنازة المهيب ، أصوات الكهنة واسرارهم تتحرك فوق المركب ، هناك ملاح لا يلتفت ابدا . هو الناظر الى الخلف . لا يلتفت ولا يتكلم . المركب عائد بالجثة بعد تحنيطها من منف الى الجبانة الملكية فى الجيزة . لم يزل النيل يلطم بدموعه جدران المركب ، فيزداد تمدد الخشب ويزداد انكماش الحبال التى تمسكه ويزداد أحكام المركب ، وعما قليل تتجه جثة الملك خوفو الى مثواها الاخير فى الهرم الاكبر، بعدها تدلف المركب الجنازية الى مقبرتها الصـــخرية المنحوتة فى جنوب الهرم .

. . . .

وتمضى خمسة آلاف عام . ويتفتت كل شىء . تسقط النقوش الجنازية من حيطان الاهرام وردهاته وحجراته . تتآكل التعاويذ من نصوص التوابت . تمتد يد السرقة الى آلاف الإسرار . يتقوس خشب الارز فى مقبرته ، وتتفتت أجزاء منه وتتآكل أجزاء . ويسقط ظل الشيخوخة فوق كل شىء . ويبدو السائر فى التاريخ القديم مثل رجل يمضى وسط صحراء ليلية تتباعد فيها نقط الضوء ، وأحيانا يتشقق الصخر والرمل عن أحد أسرار الفراعنة . منذ خمسة عشر عاما منحت الارض جنوب الهرم الاكبر جزءا من سرها واكتشفت مركب خوفو الجنازية ، وهو الاكتشاف الذى اشتهر باسم مراكب الشمس . كان مركب خوفو قد دفن مفككا الى ١٢٢٤ قطعة .

وكانت اعادته الى الاصل عملا بالغ الاهمية ، ولميكن فى العالم كله من يستطيع أن يعيده الى أصله غير فنان واحد . فنان مصرى اسمه أحمد يوسف .

لا مستحيل فى الفن أو العلم ، كذلكيؤمن الرجل الصامت ذو اللحية البيضاء الذى يعيش فى استراحة متواضعة عند أقدام الهرم . لا يعرفه أبناء جيلنا . فقد عقد الرجل صداقته مع الصمت الصوفى وفن الفراعنة ، يقولون عنه فى الاوساط الاثرية الاجنبية ان رجلا يعيد الاثر الى الحياة هو فنان فى مستوى الاثر . غير انه يفضل أن يقول عن نفسه انه بلا شخصية . ان المرمم الاصيل لا شخصية له . ينبغى ان يتخلى عن شخصيته ويختصر خمسة آلاف عام ليعمل بأسلوب الفنانالمصرى القديم وشخصيته ، اما شخصيته هو فتقترب كثيرا من شخصية الراهب . لم يذهب الى السينما طوال

حياته ، لم يدخل المسرح . ليس فى بيته تليفزيون ولا راديو . يقرأ الصحف قليلا ويؤمن بآيات الله . والطريق الى الرجل يمر بالهرم الاكبر ، بيته عند أقدام الهرم وعمله يتصل بخوفو .

. . . . .

كان ذوق الملك خوفو راقيا لدرجة تثير التأمل ، ان الهرم الاكبر ، أخلد معجزات الدنيا السبع ، لم يكن فى نهاية الامر غير مقبرة لجسده . ورجل يحتاط لجسده كل هذه الحيطة بعد موته ، لابد أن يحتفل بهذا الجسد فى حياته . وهكذا تزوج الملك خوفو أكثر من زوجة ، وكان ذوقه رفيعا فى كل شيء ، أحدى زوجاته هى الملكة « حتب حرس » . وصلتنا صورتها فى مقبرة ابنتها مرسعنخ « الثالثة » ، تبدو زوجة خوفو فى هذه المقبرة شقراء الشعر زرقاء العينين ترتدى ثوبا غير مألوف بالنسبة لثياب الاسرة المالكة . ثوبا فيه نوع من النتوء المثلث فوق الكتف . حيرت هذه الظاهرة (زرقة العينين والشعر الذهبى الاحمر) علماء الآثار ، قال بعض العلماء ان هذه الملكة أميرة من أصل ليبى ، وقال البعض انها مصرية ، وان شعرها الاصفر هو شعر مستعار او (باروكة) . أما ثوبها فموضة ملكية خاصة . ويبدو أن هذه الملكة كانت مدللة ومحبوبة . ويظهر انها استطاعت ان تستولى على الجزء الاكبر من قلب الملك خوفو وقد كان أمل كل زوجة من زوجات خوفو — ان ترى ابنها متربعا على العرش ذات يوم . وقد حدث هذا لابن الملكة « حتب حرس » فتولى ابنها (رع ددف) الملك بعد والده خوفو ، ووضع اسمه فوق مركب

خوفو الجنازية ودفنها جنوب الهرم . حتى اذا استيقظ والده يوم البعث ، وجد المركب مستعدا للاقلاع . وتاكد ان ثقته كانت فى موضعها . غير ان ما قدره ابن خوفو لم يقع بالطريقة التى قدره بها ، فقد خرجت المركب الاثرية قبل يوم البعث بزمن ، وأسلمت نفسها لمصرى يحمل اسم « أحمد يوسف » ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى يلتقى فيها « أحمد يوسف » بأسرة خوفو او اثاره . قبل ذلك كانت له قصة مع أم الملك خوفو . وهى ملكة كان اسمها « حتب حرس » .

.....

ليست هناك لخبطة

هناك ثلاث نساء تحمل كل واحدة فيهن اسيم « حتب حرس » فى عائلة خوفو .. أمه وزوجته وابنته ، كل واحدة منهن اسمها « حتب حرس » ، كانت الملكة الوالدة (حتب حرس) الاولى اذا سارت فى الشمس سارت وراءها الخادمات يحملن مظلة تحمى بشرتها الملكية . وذات يوم فكر الملك « سنفرو » زوجها ان يهدى اليها شيئا يسرها عملا بنصيحة الحكماء من قدماء المصريين التى كانت تقول : (أدخل السرور على قلب زوجتك) ، وأهدى اليها الملك صندوقا من خشب الارز الثمين المطعم بالذهب والعاج والخزف لحفظ المظلة بعد استعمالها . وحين ماتت الملكة الام قدر الكهنة ان هناك شمسا فى الحياة الاخرة ، وأيقنوا أن الملكة الام ستحتاج الى صندوق المظلة . وهكذا وضع الصندوق الثمين فى مقبرتها . كان ارتفاع الصندوق ٣٥ سم حين دخل المقبرة . نجا الصندوق من السرقة التى تعرضت لهما مومياء الملكة واحشاؤها المحنطة وحليها . مكث

الصندوق فى المقبرة الجديدة التى نقل اليها خمسة آلاف علم على التقريب ، اكتشفه الاثرى الانجليزى « جورج ريزنر » . كان ارتفاعه عند اكتشافه ثلاثة سنتيمترات أما بقية الصندوق فكانت ترابا مكوما الى جواره .

قال خبراء الترميم والاثار فى العالم كله بعد زيارة الأثر ورؤيته فى مصر أن ترميمه يستحيل ، وأن الأفضل أن يجمع التراب كما هو ويعرض فى المتحف ، وترك ريزنر بقايا الصندوق كما هى ، فقد داعبه الامل المستحيل ان يعود لأصله . ويسمع الاثرى الانجليزى عن أحمد يوسف . يسمع عن انجازاته فى ترميم الاثار المحطمة والقديمة . وطلبه ليريه الاثر ، ويحدثه ان كل من رآه أفتى باستحالة ترميمه — ويقبل صاحبنا التحدى — وينجح أحمد يوسف فى اعادة الصندوق الى أصله بعد انكفائه عليه ثلاث سنوات كاملة ، وطير هذا العمل شهرته خارج مصر . كتبت عنه « مجلة لايف » ومجلات الاثار المتخصصة . وتناقل علماء الاثار فكرته الجريئة . ان ينحت صندوقا من الخشب ويطعمه بنفس المواد ونفس الشكل الذى كان عليه صندوق الملكة الأم . كانت هذه مغامرة لا يقدم عليها أحد . . الا الرجل الذى صنع الصندوق أول مرة . أو رجل يعرف اسلوبه فى العمل .

كانت هذه بداية المعرفة بأسرة خوفو . اشتغل الرجل فى البداية مع أم الملك خوفو ، ثم توج اعماله بالعمل لخوفو نفسه . . وقبل هذا وبعده قصة حياة عريضة وعميقة مع الفراعنة .

• • • • •

الرجل كالفراعنة يخبىء اسراره ، ويؤمن بالصمت ولن يتحدث .

هكذا قال لى كل من يعرفونه .

قبل أن أراه قلت لنفسى ان التعامل مع الصمت امتع من التعامل مع الثرثرة . تذكرت النشيد الفرعونى القديم :

أنت أيتها البئر العذبة للصادى فى الصحراء

انها موصدة لا تفتح للثرثار ، ولكنها مفتوحة للصامت فعندما يأتى الصامت فانه يجد البئر . .

طرقت بابه ذات صباح . فتح بابا خشبيا وبقى باب من السلك بيننا .

قال بجد وتحفظ : أفندم .

قدمت له نفسى فظل وجهه على تجهمه . . واضح أن الاسم لا يعنى شيئا عنده . قلت له اسم الصديق الذى أرسلنى اليه . فتح الباب ودعانى الى الدخول وهو يبتسم . أخرجت له خطابا من أحد أساتذته العجائز أيام كان هو تلميذا . قرأ الخطاب واتسعت ابتسامته . . كيف حاله اليوم ؟

كان وجهه بلحيته البيضاء يبدو مضيئا حين يبتسم ـ يعرفونه فى المنطقة باسم الحاج أحمد ، ويبدو مثل رجل صوفى اعتزل الناس وانصرف لعبادته .

حجرته بسيطة وغريبة . فيها مئات الصور والاقنعة وحلى وآثار فرعونية ، وأكبر مجموعة من الصور لاخشاب الارز التى صنعت منها مركب خوفو ومراحل العمل فيها . تأملت الصور وقلت له متفلسفا : ان مركب الشمس التى . . . .

قاطعنى برفق . ان هذه التسمية ليست دقيقة . انها المركب الجنازية للملك خوفو . وحرصت بعد ذلك أن

اذكر اسمها الصحيح أمامه ، كما تعمدت أن أجامل خوفو حين أحسست أن صداقته له أمتن من صداقته لأستاذه الذى حملت منه خطاب التوصية ... وانفتحت أبواب البئر الصامتة .

.....

كانت الحياة حوله هى أولى مدارسه . لم يظهر فى طفولته نبوغا معينا الا فى التدمير . كلما وصل الى يده قلم بدأ يرسم به على حيطان البيت وملاءات السرير وقطع الأثاث . ثم بدأ يحطم الأوانى ويحاول ردها كما كانت ... وأدخله والده مدرسة الفنون التطبيقية بعد أن يئس من مستقبله . وكان الفن أيامها — كالأدب — مهنة الضائعين ، أو مهنة من لا مهنة له . أخيرا وصل مدرسة الفنون التطبيقية ، يستطيع أن يرسم هنا وأن يحطم الصلصال ويعيد تشكيله ، وأخطر من ذلك أنه يستطيع أن يتعلم قواعد الرسم والنحت . وتخصص فى الحفر والنقش والنجارة . وكانت التقارير عن أساتذة المدرسة تعد حسب مستوى طلبتهم فى الرسم ، وفكر أحد الأساتذة أن يكلف أحمد يوسف بأن يصلح لزملائه الطلبة رسومهم ، وكانت هذه أول تجربة عملية له فى الترميم ، وانتهت سنواته فى مدرسة الفنون . وصار معيدا فى المدرسة وكان عمره أيامها ثمانية عشر عاما .

اشتغل معيدا طوال عام كامل ، وأعلنت مصلحة الاثار عن وظيفة خالية .

.....

وساقه احساسه بمصريته وحبه لآثار الفن الى مصلحة الاثار . كان الممتحن فرنسيا هو « لوزيل

وكان المترجم هو « زكي طليمات » . سأله الممتحن كيف تصنع قالبا لتمثال . وكان هو بالصدفة قد سأل أستاذه ما دورى هذا السوال ، فانبأه أن هناك ثلاث طرق لصنع قالب لتمثال : طريقة بدائية ، وطريقة للمتقدمين فى الفن ، وطريقة نادرة لا يعرفها فى العالم غير افراد قلائل . وحدث الممتحن عن الطريقة الأخيرة . وذهل الرجل وأسلمه الوظيفة .. حزن أساتذته فى المدرسة لتركه العمل كمعيد . عرض عليه أستاذه مادورى أن يساعده فى أعماله الخاصة بأجر . فساعده كتلميذ بغير أجر . وطلب منه لوزيل أن يشترك معه فى مصنعه لصب القوالب نظير مرتب يعطيه له فساعده كتلميذ بغير اجر .

- لا تعلم المدرسة شيئا اكثر من الأصول . وتمنح الحياة بعد ذلك أسرارها لمن يبحث فيها عن المدارس .. أندريا الايطالى ومدرسته فى الرسم . مادورى الايطالى ومدرسته فى النحت . لوزيل الفرنسي ومدرسته فى صناعة النماذج . ستوبلر ومدرسته فى ترميم الصور الزيتية . وقد حضر لترميم متحف محمد محمود خليل . آلاف الذكريات الجميلة التى عاشها كطالب علم . كان يؤمن بهذه الحكمة المصرية الصناعية القديمة (لن يساعدنى الأستاذ الا اذا عملت عنده بغير اجر) ويكفيه كرما انه يعلمنى بغير اجر .

.....

وتساءل يوما فى مصلحة الاثار لماذا يحضرون الخبراء الأجانب لترميم التماثيل القديمة والاثار . أليست هذه آثارنا ؟ .. لماذا لا نشترك معهم فى العمل . وبلغ ذلك مدير المتحف المصرى وكان انجليزيا

اسمه « انجل باك » . استدعاه وقدم اليه علبة محطمة لأخناتون . تحامل احد جوانبها وظل واقفا بينما تحولت بقية العلبة الى حطام يرقد جوارها .

هل تستطيع ترميم هذا الأثر .

ــ نعم أستطيع .

اليك الأثر .

ــ اريد عاما لترميمه .

أمامك عامان . ان نجحت فيه تبقى معنا وتشترك مع الأجانب فى الترميم ولو فشلت تترك المصلحة .

ينبغى أن يدرس البيئة التى صنع فيها الأثر ليعرف تقاليد الصانع القديم : اخناتون وأول عقيدة للتوحيد فى مصر القديمة . آتون الاله ورمزه الحى هو الشمس . لم يعد يرمز للشمس بالهرم أو الصقر . صار قرصها الذى تخرج منه أشعتها وتنتهى بيد بشرية هو الرمز الجديد للاله . وبدا يعمل فى العلبة . كان أخناتون يريد دينا عالميا . يحاول أن يحله محل القومية المصرية التى سبقته ، وسارت عليها البلاد عشرين قرنا مضت . وعندما توحد الاله ولم يعد مكانه الارض تحرر الانسان وتحررت يد الرسام والنحات والحفار وانطلقت خطوط الفنان بالحرية . وعكف أحمد يوسف على العلبة وانتهى منها فى ستة أشهر . انتشر صيته على المستوى المحلى فى مصر وسمح له بترميم الاثار من يومها مع الأجانب .

. . . . .

ثلاث سنوات مع « ريزنر » . ثلاث سنوات تمتلىء بدراسة نظرية عن التاريخ القديم . احبه الأثرى الانجليزى فقد رفض ان يتقاضى اى نقود على عمله .

وانفق معه منذ البداية أن ينتدبه للعمل فى مصلحة الاثار حتى ينتهى من مهمته ، وهو يقبض مرتبه من مصلحة الاثار ، ودخله يكفيه ، وربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ويليق بعظيم سلطانك .

تلك مدرسة أخرى لشيخه محمود خطاب مؤسس الجمعية السنية فى مصر . رآهم يطمئنون فى ركوعهم وسجودهم ويمنحون العبادة حقها فالتحق بهم . ويوم قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : عمل التماثيل ورسم الصور حرام .

ابتسم التلميذ فى حب وخيل اليه يومها أن أستاذه الشيخ يقول له :

ــ عمل التماثيل السيئة ورسم الصور الرديئة حرام .

هذا هو الاسلام كما يفهمه . لا علاقة للاسلام بالتعصب . ولا يمكن للاسلام أن يقبل نصف العمل . على أن يؤدى الله نصفه الثانى . لا يقبل الاسلام أقل من جهد الكمال ممن يتبعه . ولئن لم يكن المسلم سيدا فى الارض فهو ليس مسلما ولو صلى على النبى عدد حبات مسبحة طولها سنة .

. . . . .

ومثلما يترقى الصوفى فى التذوق خلال انتقاله من مقام الى مقام حتى يصل الى الفناء عن ذاته ، فلا يكون له وجود الا بالحق ، فكذلك يترقى الحاج أحمد فى عمله ترميم الاثار يوما بعد يوم ، حتى يصل الى الفناء عن ذاته ، فلا يكون له وجود الا بالصانع المصرى القديم .

الف قطعة أعادها الى الحياة ، تعامل مع مواد عديدة كالحجر والخشب والنحاس والذهب والعاج

والخزف . ولكل قطعة عمرها الذى كانت حية فيه .
ولكل مادة طريقتها التى تعالج بها وتقاليدها التى تصلح
معها أو تعالج بها . وينتقل الى ترميم آثار الاقصر .
وهناك يلتقى بمدرسة يعترف بتأثيرها الكبير عليه ،
مدرسة مقلدى الاثار الذى يبيعون آثارهم للسائحين .
يسمون أنفسهم « الانتكشية » نسبة الى الانتيكة .
يتوارثون أسرار المهنة أبا عن جد ، ويعملون طبقا لنظام
الاسر المتخصصة ، كل أسرة تتخصص فى شىء ما وتعى
أسراره جيدا وتحتفظ بهذه الاسرار . شيخ الصنعة
عندهم جميعا هو الحاج حسين قناوى . رجل كان
يشتغل فى تقليد التماثيل بنفس أسلوب النحات فى عهد
الدولة القديمة . هذا التعبير الصامت الجليل الذى
يخضع لقانون عام هو الاتزان والبقاء المتأصل .

نحت حسين قناوى تمثالا من الخشب فى ثلاثة أشهر
وباعه بثلاثة آلاف من الجنيهات واشترى عشرة أفدنة
وانصرف تماما الى زراعة الارض وكف عن النحت .

صادقهم أحمد يوسف ليحل مشكلة اللون الازرق
المصرى القديم الذى تركه الفراعنة على جدران مقابرهم .
ولا يستطيع تحضيره غير هؤلاء المقلدين . وقاوموا فى
البداية أن يعطوه أسرارهم . وصادقهم خمس سنوات .
وراح يشترى آثارهم باضعاف ثمنها ويحدثهم أنه يريد
أن يراها وهى تصنع . أخيرا أصبح صديقهم حين عرف
أسرارهم . وصنع ذات يوم تمثالا بنفسه وأراه للحاج
حسين قناوى ليسأله هل هو أثر قديم أم حديث . فقال
أنه قديم . وكسره له ليريه باطنه الجديد . . وأفهمه يومها
أنه لا يريد أن يعرف أسرارهم ليتاجر بها ويكسب

السوق منهم ، وانما هو رجل يريد أن يعرف لأنه يريد أن يعرفه .

. . . .

سمعت ابا حاتم الصوفى يقول ، سمعت ابا نصر الطوسي يقول : سئل رويم عن أول فرض افترضه الله عز وجل علي خلقه ما هو . فقال : المعرفة ، لقوله تعالى .. وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون .. قال ابن عباس : الا ليعرفون .

. . . . .

فى شهر مايو سنة ١٩٥٤ اعلنت الصحف أن الأثرى المصرى كمال الملاخ قد اكتشف مراكب من خشب الارز هى مراكب الشمس . وكان هذا أخطر اكتشاف معاصر. نفس هذا الوقت . كان أحمد يوسف يقوم بعملية ترميم المقابر الأثرية بالاقصر . كان عمله فى المنطقة يمتص كل طاقته ، وكانت جدران المقابر ونقوشها الاثرية حقلا هائلا لعمله وتجاربه الفنية فى الترميم ، ومصدرا عظيما لمعرفته بالفنون والصناعات المختلفة عند قدماء المصريين .

تذكرنا لحظة البعث بلحظة الوفاة .

رست المركب الداكنة علي ضفاف النيل .. وانتهت طقوس الجنازة المهيبة ، وخرج جثمان الملك المحنط من حجرته فى المركب الى مثواه المظلم فى قلب الهرم الأكبر. اغلق الهرم وضمن الملك انه لن يخرج منه الا يوم البعث .

تحول المركب من النيل الى الأرض . نقل الى الارض. غادرة الكهنة والمنشدون والملاحون. خرجت منه القناديل . حمل منه الزيت المعطر . لم يبق عليه

الا منشئه ومهندسه . بدا فكه الى اجزاء . بدات اجزاؤه تدخل مقبرته الاخيرة . حفرة جنوب الهرم نحتت فى هضبة الهرم الصخرية وهى نهاية الهضبة الليبية . اشرف ابن الزوجة الليبية رع ددف على فك المركب . انتهى نقل اجزاء المركب الى الحفرة التى تمتد ثلاثين مترا فى الصخر .. القى المجداف الأخير باهمال فوق المركب . ما هذا ؟ يبدو أن المنازعات بين أبناء خوفو وزوجاته تدعو الى العجلة .. غطيت مقبرة المركب الجنازى ب ٤١ كتلة من الحجر . كل كتلة منها تزن ١٨ طنا . الصقت كل كتلة بالأخرى عن طريق استعمال نوع من الجبس النقى السائل .

هذه الكتل هى باب المقبرة . باب المقبرة يزن ٨٠٠ طن . وهو محكم لا يسمح لذرة من الهواء او التراب بالتسكع حوله . بعد ذلك غطيت الكتل بطبقة من الرديم المضغوط الصلب الذى يبلغ سمكه ٤٠ سنتيمترا . بعد ذلك بنى سور قوى فوق الرديم . سور يحيط بالهرم من جميع الجهات باستثناء الجهة الشرقية .

اخفاء محكم وتام . ويتأمل رعددف جبانة والده خوفو ويهمس :

اى خوفو العظيم . جسدك فى امان . ومراكبك سر مغلق .

ويسقط السكون الأبدى على الجبانة .

.....

وتمر خمسة آلاف سنة .

وكان هو يقف لحظة الاكتشاف . والقى أحمد يوسف نظرة طويلة على المركب بعد رفع الحجر الأول من أحجار الباب . كانت لحظة الاكتشاف مثيرة .. وانبعثت رائحة

نفاذة هى رائحة عصارة الخشب التى ظلت سجينة خمسة آلاف عام .

وأدرك من النظرة الاولى على المركب أنها مفككة الاجزاء . أيقن فى نفسه أنه سيصبح مسئولا عن ترميمها .

كانت المركب بالغة الضخامة وفريدة فى نوعها ، لا مثيل لها فى جميع الاثار المكتشفة من قبل ، ولم يعثروا معها على دليل لكيفية تركيبها واعادتها الى الاصل ، كما لم توجد من قبل فكرة عن صناعة المراكب من الناحية التكنيكية فى هذا العصر . ملأته الرهبة . ان مهمة القيام بترميمها وتركيبها ستكون مهمة عسيرة . وانصرف الحاج أحمد من فوره . كان قادما من الأقصر وعاد الى الاقصر . . ترك الصحافة والاذاعة والاثريين والفضوليين يتنافسون على التحديق فيه وانصرف . هذا الوليد الذى يتحلقون حوله سيصير أمره اليه فى النهاية . . وينبغى أن يبدأ استعداده له . يعلم أن المصلحة سوف تبعث فى طلبه . انهى أعماله فى الاقصر ، وانصرف لمهمته التى لم تكلفه بها الدولة بعد .

بدا دراسته النظرية على المراكب المصرية القديمة . اغراضها ومجالات استخدامها . كانت حصيلة طيبة . بدأ ينهمك فى دراسة كل ما يتعلق بأشكال المراكب وتاريخها . قام بتصوير ورسم كل اشكال المراكب المختلفة التى تزين جداران المعابد والمقابر فى الاقصر ، ودون كل ما حصل عليه من معلومات . وصلت حصيلته من الصور ٥٠٠ صورة . وجاءه التكليف بالعمل فى المركب . كانت أمامه مهمتان يجب أن تسيرا معا فى خطين متوازيين : نقل أجزاء المركب ، ودراسة صناعة المراكب الخشبية

الحديثة . كان يرجو أن يعثر فى قواعد الصناعة العامة على شىء ينير له الطريق لمعرفة تركيب مركب الهرم . وربما يكون هناك استمرار موروث فى هذا الفن .

....

كانت مهمته الاساسية التى كلفته بها الدولة هى نقل أجزاء المركب الاثرى من مقبرته الى مبنى الترميم . وقد استغرق نقل المركب عاما ونصف عام . وجرى العمل وفقا لاكثر من خطوة . فى الخطوة الاولى قام بتصوير كل طبقة من طبقات المركب بحيث توافر لديه البوم كامل بترتيب أخشاب المركب كما وضعت فى المقبرة . كان يؤمن أنهم وضعوا المركب طبقا لنظام معين وكان يأمل أن يساعده هذا النظام على اعادة تركيب المركب . وتجىء الخطوة الثانية وهى رفع الاجزاء الاثرية من الحفرة بغير أن يرتكز عليها أثناء رفعها مع المحافظة عليها . وكانت كل قطعة تستخرج من المركب توصف بدقة وتمنح رقما معينا .

تبين بعد عملية الرفع والتسجيل ونقل المحتويات الى مبنى الترميم أن الاجزاء الخشبية للمركب كانت مرتبة وموضوعة داخل الحفرة بعناية وحرص فى ١٣ طبقة تحتوى على ٦٥١ جزءا وتتكون هذه الاجزاء من ١٢٢٤ قطعة خشبية ، منها كتل بالغة الضخامة يبلغ طول الواحدة منها ٢٣ مترا قطعة واحدة ، ومنها أجزاء صغيرة يبلغ طولها عشرة سنتيمترات . تم نقل كمية كبيرة من الحبال التى وجدت مع المركب .

جلس اخيرا فى مبنى الترميم وسط ١٢٢٤ قطعة من الخشب . نظر حوله الى الاخشاب وداهمه خوف ثقيل بارد ... هذا البحر الخشبى حوله . كيف يعود الى

أصله . ما هى أبعاد المركب الجنازى الذى يرقد امامه . ما هو طوله . ما هو عرضه . كيف يبنيه ؟

انصرف العمال وبقى جالسا مع وليده المحطم . كان عليه مثل زوجة أوزيريس أن يرد الحياة فيما يراه من حطام أمامه .

....

كان النبى عليه الصلاة والسلام اذا حزبه أمر صلى . وكذلك الصحابة والتابعون وتابعو التابعين . ونادى قلبه الرحمة الخالقة فى الكون أن تساعده فى عمله . أخيرا سكت عنه الخوف .

كانت أول مهامه قبل تركيب المركب هى ترميم الاجزاء التالفة من الخشب . ولم تكن حالة التلف واحدة . هناك أجزاء ملتوية ينبغى أن تعود لاصلها المستقيم . وهناك أجزاء تالفة فى الكتل الاساسية فى بناء المركب . وينبغى أن تبتر ليحل محلها جزء من خشب الفاطميين القديم الطيب . وهناك أجزاء متحللة ينبغى أن يطلق العنان لخياله ليتصور شكلها قبل أن تتحلل .

غير أنه كان يعالج بالحب والخبرة كل جزء على حدة، مثل طبيب أطفال حاذق ورحيم . وانتهى ترميم أجزاء المركب وعاد يجلس وسط بحر الخشب مفكرا فى اعادته، ولمعت فى ذهنه فكرة . لم لا يستعين بشيوخ صناعة المراكب البدائية المعاصرة ، واحضر عشرة من شيوخ الصنعة ، فتأملوا قطع الاخشاب المتناثرة وقالوا :

ــ ليس هذا الخشب لمركب .

ثم شدهم منظر المجاديف العملاقة وقالوا : هذه مجاديف حقا ..

كان طول مجداف مركب خوفو تسعة أمتار . وطول

المجداف العادى متران . وآمن شيوخ المراكب بأن فرعون كان جبارا طوله ١٠٠ متر ، والا فكيف يستخدم مجدافا طوله تسعة أمتار . وقبل الكونصولتو على المركب . واستشار أساتذته فى مدارس بناء السفن . وكانت النتيجة سلبية كسابقتها . لم يثر عليه أحد بشىء .

....

قال تعالى : « وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر » .

والدسر قطع خشبية طولها عشر سنتيمترات . تدخل فى نقرتين بين الكتلة والكتلة لتزيد من أحكام المركب ، فلنجمع عدد الدسر فى مركب خوفو ، كان عددها ٤٥٥ دسرة . كان وزن المركب الكلى ٣٠ طنا . وبدا تركيبه للوهلة الاولى عملا يشبه المستحيل ، غير أنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

بعد أربع سنوات من العمل اليومى المتصل فى مركب خوفو ، عاد المركب الى الحياة .

يذكر أنه سأل شيخه عن معنى قوله تعالى :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

فحدثه الشيخ عن الاخذ بالاسباب .

هل هو الهام من الله ، هل هو جماع الخبرة والقراءة والعمل اليدوى والتخيل . أهى مدرسة المصريين القدماء . هل فقد شخصيته وتقمص أسلوب الصانع القديم . هذا الحب للاثر والالتصاق به ، هذا الرفق فى معالجته ، هذه المعرفة بأصول صناعة المراكب الخشبية ، وهناك وضع المركب فى الحفرة التى دفن فيها : هل يحمل هذا معنى خاصا فى بنائه . هل تكون

الاجزاء التى وضعت على يمين الحفرة هى نفسها الاجزاء اليمنى من المركب ، الضوء يتجمع فى بؤرة القلب ، واليد تعمل ، وثمة شىء يتخلق امامه على الارض .

فى البدء كانت الكلمة .. الكلمة المنقوشة . او المكتوبة . أو المهموسة سواء على جدران المعابد او المقابر او الكتب أو صدور أهل الصناعة .

بدأ فرز الاجزاء الاساسية للمركب الاثرى . بعدها راح يقارنها بالاجزاء الاساسية فى المركب الحديث ، واتضح أن تقاليد الصناعة المصرية القديمة للمراكب لم تزل مستمرة ، ثبت أن هناك نوعا من أنواع الاستمرار فى تقاليد الصناعة المصرية القديمة للمراكب .

لكن ما سر هذه الثقوب فى جسد المركب . ان عدد هذه الثقوب أو الفتحات هائل عددها ٤١٥٩ فتحة . ثم ما هو سر الحبال الكثيرة التى وجدت مع المركب ولماذا لم يعثر على مسمار واحد فى المقبرة . وكلما حلت مشكلة من هذه المشاكل ، كان مركب خوفو يعود الى الحياة يوما بعد يوم .

وخلال أربع سنوات . عاد المركب الى الحياة . وانكشفت أسرار صناعة المراكب المصرية القديمة .

. . . .

منح مركب خوفو كل اسراره بعد تركيبه . طول المركب ٤٣٫٥ متر . عرضه ستة أمتار . ارتفاع مؤخرته عن الماء ثمانية أمتار . وارتفاع مقدمته خمسة أمتار . فيه مقصورة لجسد الملك مساحتها تسعة أمتار . يفتح باب المقصورة على حائط خشبى فى يساره باب آخر امعانا فى احترام الملك ومنعا للاعين أن ترى شيئا حين يفتح امامها الباب . زودت مقصورة الملك بجهاز تكييف

من نوع غريب روعى فيه استخدام الفـراغ حول المقصورة .

يستغنى الصـــانع المصرى فى المركب تمـاما عن المسامير . ويجمع الخشب بالحبال عن طريق فتحات سحرية لا تظهر بعد تركيب المركب . بلغ عدد فتحـات الحبال ٤١٥٩ فتحة . وفى اللغة المصرية القديمة سبت « بكسر السين » معناها خياطة ، وبدلا من صناعة مركب كانوا يقولون خياطة مركب . السر فى اللجوء لهـذا هو الرغبة فى زيادة الاحكام . فان ربط الاخشاب بالحبال يؤدى الى زيادة الامان فى المركب فلا تغرق أبدا . ذلك أن المـاء يحدث أثرين عكسيين فى الحبال والخشب . كلما سار المركب فى المـاء ، تمدد الخشب وتقلصت الحبال واشتدت قبضتها عليه وزاد احكام المركب .

انتهى ترميم المركب وعاد الى الحياة .

أربع سنوات حتى أخذ شكله النهائى .

. . . . .

توقفت طويلا أمام المركب ؛ ابتسم الحـاج أحمـد ابتسامة خفيفة ثم قطب وجهه . تحدثت قليلا بصـوت خفيض ثم لفنى الصمت . . وران علينا صمت موحش . خيل الى ان المركب الجنازى قد صنع متفقا مع القواعد الجوهرية للسكون الابدى . سكون الموت . خيل الى أن خوفو لم يزل هناك فى مقصورته . كان وجـوده كثيفا ومرئيا وحاضرا أكثر من وجودى نفسه .

وقرأت له الفاتحة .

ه • ت • بحرى

قال صوت الزميل فى التليفون :
البقية فى حياتك .. بحرى .

وانهار الصوت على الخط الاخر . واحسست بفراغ وخوف .

بعد صدمة الذهول والمفاجأة . بعد كومة الاسئلة المعصوبة العينين والتى تدور حول وكيف ولماذا واين ومتى . بعدها يعود الفراغ الموحش . ويتسع الفراغ ويكبر . وتصغر الدنيا وتهون . مات صديقك بحرى هكذا .. فى لحظة .. اغمض عينيه وذهب .. لم تزل الدهشة تحتل نفسك . ثم تنقشع الدهشة . وترفع الاحزان فى أعماقنا رؤوسها الصغيرة ، وتتذكر موقفا من مواقفه تجاهك .. ربما كلمة حب وربما لحظة خصام .. وينحنى البدن كالقوس وتنخرط فى البكاء .. ثم تسير فى جنازة رجل لا تصدق تماما أنه مات .. انت لم تزل تحس انه – كصديق – يسير الى جوارك .. ان شيئا خطأ قد وقع للمسافات والابعاد . لماذا تسير خلفه بعد أن كنت تسير الى جواره .. ويبدو لك الأمر مثل حلم بالغ القسوة .. وتتأمل ذرات التراب التى علقت بحذائك وأنت تجلس فى المقبرة .. وتبدو لك الحياة اهون .. أليس التراب هو الأم الكبرى التى تحتضن الحياة فى النهاية . ويدهشك الصراع المرير الذى يمضى بك فى الحياة وهى لا تستحق .. ثم ينتهى القارىء من قراءة القرآن . ويصافح الرجال الرجال وينصرف كل واحد لشأنه . وتخلو انت بنفسك .

ذهبت الصدمة تماما وبدأ حزننا الحقيقى ومعه يبـدأ احسـاسنا الهادىء بالفقر .

ان اغلى ثروات الانسان هى صداقاته .. وأى شىء فى الدنيا يمكن تعويضه الا الانسان .. هو اثمن ما فى الكون .. وها قد ذهب من أصدقائنا صديق . ونحس بالفقر . ومثل تاجر فقد جزءا من ثروته . يبدأ التنقيب فى دفاتر النفس القديمة .. الاغنيات التى غنيناها معا .. الطعام الذى اقتسمناه سويا .. أيام العمل والسهر .. مذاق الاحـلام والالم .. المشاكل المشتركة .. الاسرار المهموسة التى لم يكن يعرفها غيرنا .. وتمضى فى التفتيش داخل كنز الذكريات المشتركة الذى نمـا خلال فترة الصداقة .. وهو كنز صنعه اثنان . وكان يعطى ثماره الحلوة لاثنين فلم يعد فيه بعد موت الصديق غير ظلال عليك أن تستدعيها من الذاكرة وحدك .
وأنت وحدك المسئول عما يسببه بعث حفل الحنين الفاجع .

هـ . ت . بحرى .

قرأت اللافتة النحاسية التى كان يضعها فوق مكتبه فى مجلة الجيل حين التقيت به منذ ١٥ سنة . كنت ابدأ التمرين على الصحافة . وكان هو يعمل سكرتيرا لتحرير مجلة الجيل . ولم يكن وجهه الجامد يشى بالصداقة او المشاعر . كان جادا صامتا ومنخفض الصوت هادىء الاعصاب ، ولا تعرف فيم يفكر ، سلمته أول موضوع لى فقراه وقال : طيب .

سألته هل اعجبك الموضوع ، فتجاهل السؤال بأن

سألنى : هل صورت الموضوع . وأفهمَنى كيف أصوره اذا جاء الغد . .

. انصرفت بأجنحة من الفرح وتركت حجرته مفتوحة . أيقنت أن الموضوع سينشر . أرسل ورائى ساعيا أدركنى وأنا أهبط السلم . قال الساعى : الاستاذ بحرى يطلبك . عدت اكتم قلقى . قال لى بهدوئه وأدبه: نسيتِ أن تغلق الباب وراءك . أغلقت الباب ورائى وجاشت بنفسى أحاسيس الاضطهاد التى كان يحسها اليونانيون ازاء الجالسين فى ذرى الاولمب . من يتصور نفسه . اذا كان هو سكرتير التحرير فاننى أنا . . وتوقفت قبل أن أتهور . مَن أنا . كنت لاشىء ، مجرد شاب يقف على الاعتاب الخارجية لبلاط صاحبة الجلالة الصحافة . وكنت أحب الكتابة الى الحد الذى قررت فيه أن أتغاضى عن اهانته وقررت بينى وبين نفسى أن أكرهه . وأن اتعالى عليه . ثم دهشت لأنه لم يلاحظ أننى أتعالى عليه . ظل يعاملنى بنفس التحفظ والجد . لعله لا يقصد الاهانة . لعله يتصور أننى ما دمت قد فتحت الباب فمن واجبى أن اغلقه . هل هو منظم لهذا الحد ؟

يوما بعد يوم . رحت أكتشف دقته ونظامه . واحتفاله بالمواعيد . انه لا يغتفر اى تأخير فى تسليم الموضوع . وهو يقول بغير أن يرفع صوته أو ينفعل . وكأنه يقرر حقيقة أزلية .

ــ المطبعة لا تنتظر الفن ولا العبقرية مع احترامنا للفن والعبقرية .

كان المحررون يفهمون أنه يسخر منهم . غير أنه كان يخفى سخريته وراء قناع مهذب من الجد . فلا تستطيع

حتى أن تعرف هل هو حقـا يسخر أم يقرر حقيقـة يعتقدها ، وكلما ازددت معرفة له ازددت دهشة من انتظامه . كان يشبه الخوجة أو المدرس الجاد الذى يدخل الفصل والساعة تدق . مدرس يعتقد أن أهم شىء فى أى عمل هو تقاليد هذا العمل .

ـــ لماذا لم ينشر الموضوع يا أستاذ بحرى .

● يا أستاذ بهجت الصحفى لا يسأل هذاالسؤال . تنتهى علاقة الصحفى بالموضوع بعد تقديمه وتبـدأ علاقته بموضوع جديد ..

ـــ منطق سليم لكنه يخلو من الانسانية ومن الرحمة . فمن المفروض أن يعرف الكاتب مصير موضوعه . ان الموضوع هو ابن الكاتب .

● هذا كلام عاطفى ولا معنى له . الموضوع ليس ابنا لكاتبه . ابن الكاتب هو ابنه الحقيقى الذى أنجبه من زوجته . يجب أن نتعلم كيف نسمى الاشياء بأسمائها . فى البداية ظهر لى بحرى مثل لغز محير . ثم وجدت مفتاحا لهذا اللغز على سور الازبكية . كتاب ألفه ه. ت. بحرى . اسمه جزيرة الفلاسفة . الكتاب يحكى قصة طائرة سقطت بركابها الثمانية فى جزيرة مهجورة وسط المحيط . الطعام يكفى ثمانية أيام ثم يجىء الموت . ويقرر ركاب الطائرة أن يقضوا هذه الايام فى الحوار . كل واحد منهم يتكلم يوما . ويتكلم الفيلسوف وعـالم الذرة والملحد ورجل الدين والكاتب والمرأة . يلخص كل واحد حياته . وفلسفته . وقيمه .

وتتصارع الافكار حول الله والخير والحب والشرور ، وكل واحد يقنع القارىء بوجهة نظره تماما ، فاذا قرأت

الفصل التالى بدت لك وجهة النظر الاولى مليئة بالثقوب . استولى الكتاب على مشاعرى تماما حين قرأته . كان كاتبه يملك القدرة على التعبير عن افكاره بشكل فنى مؤثر . هذا هو بحرى اذن . فنان يختبىء وراء اقنعة من الاهمية والجمود . وكان بحرى قد اهدى كتابه لصاحبة العيون الخضراء أو الزرقاء . . لا أذكر . ودهشت أكثر . هو رجل يملك احساسا . .

هو يعرف كيف يحب . وأنا الذى تصورته تمثالا لا يعنيه الا العمل . ذهبت اليه بعد قراءة الكتاب . سألته : انت صاحب جزيرة الفلاسفة . هز رأسه بالايجاب . قلت له : كتاب جيد لماذا لا تكتب ما دمت تملك هذه القدرة . ظل على وجهه طابع القضاة الذين لايمكن شراء ذمتهم بالمديح . قال بهدوء وكأنه يريد ان يفرغ من النقاش :

ليس الكتاب جيدا .

دافعت ــ رغم ذلك ــ عن رأيى فى الكتاب بحرارة وصدق فلم يبد عليه انه اقتنع . سألته فجأة عن صاحبة العيون الزرقاء فاحمر وجهه لثوان وقال :

ــ هذا موضوع خاص لو كنت أريد ان أقول لك من هى لقلت فى الكتاب .

انه يصدمنى بشكل رفيق . غير انه يخجل ويحمر وجهه . المسألة مسألة أقنعة اذن . ليست صرامته وقسوته وجموده غير أقنعة تخفى رقة مشاعره .

ه . ت . بحرى .

اللافتة النحاسية الان فى مبنى الاهرام القديم . ترك الجيل والتحق بالاهرام . تركت أنا الجيل واشتغلت فى صباح الخير . صرنا اصدقاء بعد ان افترقنا فى العمل .

كان مهذبا ورقيقا ومجاملا كصـــديق . اشـــتغلت فى الاهرام . عاد شبحه القديم يطـــل على ويفـــزعنى فى نومى . هذه المرة مع اضافات جديدة . تقاليد الاهرام . هيبـــة الاهـــرام . مطبعة الاهـــرام . . مواعيـــد الاهرام . انت الآن محرر فى الاهرام . يا استاذ بحرى فلقتنـــا .

غير انك لا تملك نفسك من الاعجاب به وتصديقه . ولقد أحسست أن بحرى قد وجد نفسه تماما فى الاهرام . هذه الدار الصحفية القديمة بتقاليدها العريقة الراسخة هى انسب الامكنة لتطبيق التقاليـــد . كان الاســـتاذ هيكل ينوى ان يجعل من الاهرام قمة للعمل الصحفى فى مصر . وكنت اعرف من بحرى اخبار المشروعـــات الجديدة . كان بحرى مسئولا عن المطبعة والتوضيب . (رسم الصفحات) . وكان يؤمن أن المصرى لا يفتقر الى القدرة على العمل وانما هو يفتقر الى أخذ نفسه بشىء من النظام والشدة . ان كلمة معلهش . وحقك عليه . وربنا يسهل . . كانت ملغاة تماما من قاموسه . كان يقول لى : نحن هنا فى مصر نكلف السماء أن تشتغل بدلنا . نؤدى ربع العمل ونقول ربنا يسهل . تصـــور فلاحا لم يلق البذور فى الارض ثم يجلس لينتظر الثمار . يكون مسطولا لو فعل ذلك . لم يكن يقيم وزنا لإى قيمة فى الدنيا جوار قيمة العمل . كنت صديقه . نسهر معا . . وناكل معا . وننام سويا . ولنا احزاننا المشتركة . وآمالنا المشتركة، ومع اختلافنا الشديد فى الانضباط فقد كنا أصدقاء ، فاذا حدث أن سلمت الموضوع بعد ربع ساعة من موعده ، انهارت الصداقة وذهبت فى شربه ماء ، وتجهم وجه التمثال ، ورفض أن يتسلم الموضوع .

يا أستاذ بحرى هذا الموضوع سيجمع غدا . ما هى قيمة ان يبيت الليلة فى أحضان المطبعة . كان يقول: النظام .. ثم يسكت . كان واضحا أنه يعبد النظام . وكان يجبر العاملين معه على احترام النظام .

ومضى العمل فى الاهرام.وكبرت كوكبه الفرسان التى اختارها الاستاذ هيكل . فرضت وجودها فى دنيا الصحافة وراحت تقاليدها تثمر . كنا نشبه أسرةمتكاملة تمتلىء بالاخوة الذين يتفاوتون فى تفكيرهم وعاداتهم ، ويجمعهم هدف واحد ، ويمضى بهم ولاء الحب تحت قيادة واحدة ، من أجل خدمة أفضل للقارىء . وكان بحرى لا يكف عن القراءة . كان يتابع تطورات الفن الصحفى فى أى كتاب يصدر . وكان دائم السفر للخارج كى يرى عن قرب ما قرأ عنه من بعد .. وكان يقوم بالتدريس فى الجامعة لقسم الصحافة ولكنه لا يتحدث عن ذلك . انما تعرف انت بالصدفة انه معلم . ان الخوجة القديم لم يزل يدخل قاعة المحاضرات والساعة تدق .

وانتشر الخبر يوما فى الاهرام القديم ان الاهرام يفكر فى بناء دار جديدة تتفق مع احلامه وتوسعه فى الخدمة . وظهر بحرى يومها وقد اكتسى وجهه بطابع الاهمية كأنه هو الذى سيبنى الدار الجديدة شخصيا ، ورغم ثقتى ان معلوماته فى الادب كانت ارقى بكثير من معلوماته الهندسية . فقد راح يرسم ويغير ما يرسمه.

وانتقلنا الى المبنى الجديد . وبدا بحرى يسير وسط المبنى مثل جنرال شديد الدهاء والحكمة . وانزلقت قدمه فى الصالة اللامعة فانكسرت يده . وقلنا له : ان الاهرام الجديد يحييك .

ولم يقطع بحرى صلته بالادب رغم كل شىء ، وان اخفى ذلك تماما عن الزملاء . كان يكتب قصصا قصيرة رفيعة المستوى . وكان يقول لى أحيانا . اغلق الباب وراءك . ثم يفتح درج مكتبه ويخرج أوراقا مرتبة ويبدأ فى قراءة قصته لى . كان يجتاحه ساعتها فرح يشبه فرح الذينيكتبون اول انتاج لهم . ثم يسألنى رأيى فى القصة . يتهمنى بالنفاق اذا قلت انها جيدة ، ويكتسى وجهه بالحزن لو قلت انها سيئة . وكانت قصصه القصيرة . تمتازبحوار شديدالنعومة والذكاء والتوهج. غير أنه لم يفكر ابدا فى نشر قصصه أو الحديث عنها . كان يخفيها مثل قصة حب تقاومه الظروف . وكان بحرى يحب . وكان كالعاشقين اذا اعطى تصور أنه يأخذ . وتعرضت حياته لاكثر من هزة عاطفية اثرتعليه وزادت من ميله للانطواء والحزن . وكم قاسى كثيرا من الحياة والوحدة . وكان يسأل أصدقاءه عن احوالهم فى الدنيا ويقوم بدور كونفشيوس ويدلى بحكمه التى لم يكن يطبقها على حياته الخاصة .

كانت له فلسفته الهادئة فى الحياة . وكان له رأيه الكلى فى الخير والشر والاديان . وكان يؤمن انالفضيلة هى الدين . كان له رايه فى المرأة والحب والزواج . وكنت أراه اكثر مما أرى ابنائى أو زوجتى . آخر مرة حدثنى فيها عن ولده . كان دائم الحديث فى الفترة الاخيرة عن ابنه الوحيد .. وكان قد بلغ من عمره السادسة عشرة . قال لى :

ـ البنات تحبه وتعطيه مواعيد وهو يعتذر .

قلت له : تريد أن اجاملك وأقول أن الولد سر أبيه . وضحك بحرى . واحسست يومها أنه يكبر فى السن .

دخل السادسة والاربعين من عمره . نحن نكبر فى السن عندما نتحدث بالزهو عن أولادنا ورجولتهم .

. . . .

هـ . ت . بحرى .

كان يقف بسيارته امام اشارة المرور الحمراء والساعة الخامسة صباحا من ليلة راس السنة . لا أحد يحترم اشارات المرور فى مثل هذا الوقت . غير أنه كان يتوقف أمام اشارة المرور الحمراء حتى ولو لم يكن هناك عسكرى مرور أو سيارات عابرة . ان اشارة المرور الحمراء تعنى لديه النظام . وهو يعبد النظام .

جاءت سيارة الاوتوبيس تسير بسرعة ستين كيلومترا فى الساعة . ضغط السائق على الفرامل ثم تذكر فجأة أنه نسى الفرامل فى الجراج . السيارة بدون فرامل . ربما قال لهم فى الجراج ذلك فقالوا له ياراجل قدم الخير وتوكل على الله وربك يسلم ...

ربما قال هو ذلك لنفسه .. لا أحد يعرف . كل ما قرره أحد عساكر المرور أن الاتوبيس حطم سيارة بحرى تماما وداخلها سبعة اشخاص . جرى العسكرى وراء السيارة . الاوتوبيس مخطىء ويجب ايقافه . كان بحرى ساعتها غارقا فى دمائه . انتقل الى المستشفى . خيطت جروحه على شظايا الزجاج فى راسه . أبدا ايها السادة . نفس الاسلوب الذى يمضى به الاوتوبيس هو هو السائد . ينعكس هناك وينعكس هنا . ربما الطبيب فى اجازة . وربما الجراح لم يعد من سهرة راس السنة . وربما المرضى خرج يشترى علبة دخان . أو سيجىء الطبيب بعد قليل . يا سيدى ضرورى فرامل العربية .

خليها على الله . او ربنا يستر أو توكل على الله ...
وبين كل كلمة وأخرى يعشش الاهمال ويبيض التراخى
ويفرخ الكسل وتمضى الحياة أو تضيع الحياة سيان .
ليس الانسان هنا اثمن شىء فى الكون . انما هو أرخص
ما فى الكون . لو كان بحرى هو المسئول عن سائق
الاوتوبيس أو المستشفى لما حدث لجريح ما حدث له .
النزيف مستمر وثمة أسلوب من الحياة يواجه هذا
النزيف . حين جاء الطب الحقيقى كانت الشرارة
الضعيفة التى تحرك جسد الانسان قد انطفأت .

انهزم أسلوب راق فى التفكير أمام أسلوب متخلف .
ذهب رجل كانت كل حياته ارساء لتقاليد العمل امام
رجال حياتهم اهدار رائع للتقاليد .

مات بحرى مثل أى فرد آخر ضحية اهمال رائع .

......

اتصور الان وانا اجلس فى مكتبى فى الاهرام اكتب
عن بحرى . أتصور اننى لو نزلت الى الدور الرابع
وانحرفت الى اليسار . وسرت فى الممر الطويل ووصلت
الى حجرته المطفأة . فسوف اجده كما كان يجلس امام
مكتبه . اتصور اننى لو سلمته الموضوع فسوف يقول
لى :

ـــ تسلمنى الموضوع يوم الاربعاء .. لماذا تأخرت ..
دائما تتأخر .. الا تنوى ابدا ان تحس بالمسئولية .

يا استاذ بحرى . لم اعتد ابدا تسليم موضوع بعد
يوم الاثنين . غير ان هذا موضوع خاص جدا وعزيز
جدا ومؤلم جدا .

يا استاذ بحرى ... اننى افتقدك كثيرا .

ملاحظة

الوجوه المنشورة فى هذا الكتاب كلها وجوه حقيقية لها وجودها المادى ، وقد نشرت باسمائها فى جريدة الاهرام خلال عامى ١٩٥٩ — ١٩٦٠ . باستثناء الوجوه الاربعة الاخيرة التى نشرت عام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ .

رسوم الكتاب للفنان

محمود رحمى

فهرس الكتاب

	صفحة
الاسد الحبيس	١٨
شــقاوة	[illegible]
البونجــز	[illegible]
مختار حســين	[illegible]
عكاشـــة	[illegible]
وادى الليلابه	[illegible]
مدرس الحساب	[illegible]
دهسبته الكارو	[illegible]
فلسطينيـــة	١٥٨
حروف موسيقية	[illegible]
حارس الحب	[illegible]
فى السيرك	[illegible]
محمد والسمكة	[illegible]
وجه من فتح	[illegible]
مروان	[illegible]
مركب خوفــو	[illegible]
هـ . ت . بحرى	[illegible]

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٠/٣٥٩٨

مطابع الأهـــرام التجارية



أحمد بهجت

وجـه فى الزحـام

فى زحام الحيـاة ..
تبدو الالوان متداخلة وغامضة ، يشيع
فيهـا لون واحـد ، لا نفرق بين درجـاته
المختلفة أو تفاصيله الدقيقة .. لون واحد ،
لا نفرق فيه بين تعبير عينين تطل منهمـا
العذوبة ، أو أحاسيس وجه يكتسى بالكآبة ..

. . .

لو اقتربنا من الانسان و
لو قمنا برحلتنا داخل نفسه ،
فى أعماقه .. وأى كنز من
نعثر عليه داخله ..

. . .

فى هـذا الكتاب ، يختار
الحياة أكثر من وجه يقدمه ،
على قصة قصيرة لها عالمه
الخاص ..



ق ج ع م